الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة عمار ثليجي – الأغواط

كلية : العلوم لإنسانية والإسلامية والحضارة
قسم: التاريخ

مذكـــرة ماستـــر

شعبة: تاريخ عام

تخصص: تاريخ المشرق الإسلامي

عنوان المذكرة

حركة الترجمة في المشرق الإسلامي إبان العصر العباسي الأول 132هـ – 232 هـ

تقديم الطالب:

قسمية جبير

تحت إشراف:

د. خالد الشارف

دفعة : 2020

عنوان المذكرة : حركة الترجمة في المشرق الإسلامي إبان العصر العباسي الأول 132هـ – 232 هـ

اللقب: قسمية الإسم: جبير المؤطر:الشارف خالد

ملخص: تهدف الدراسة الى ابراز البداية الاولى لحركة الترجمة في الدولة الاسلامية على وجه العموم وعلى الدولة العباسية في أوائل عهدها على وجه الخصوص .فقد تناولت الدراسة عوامل نشأة وازدهار هذه الحركة ،إضافة الى الاساليب والمصادر التي أعتمد عليها المسلمون في الترجمة .

كذلك أوضحت الدراسة جهود الخلفاء العباسيين في شأن الترجمة مع التركيز على جهود الخليفة المأمون إضافة الى ذلك تم استعراض جهود كبار المترجمين أمثال حنين بن اسحاق وآخرون .

وأخيرا أبانت الدراسة الأثر الحضاري للترجمة المتمثل في نهضة العلوم وازدهارها مثل علم الفلسفة والرياضيات والفلك والجغرافيا والطب فضلا عن دور المسلمين في نهضة هذه الأمة وتطورها ورقيها .

الكلمات المفتاحية : العصر العباسي الأول، الترجمة، المأمون، بيت الحكمة

Title of the thesis: The translation movement in the Islamic East during the first Abbasid period 132 AH - 232 AH

Name: Ghesmia First name: Jubeir Directed by: Al-Sharf Khalid

Abstract: The study aims to highlight the first beginning of the translation movement in the Islamic state in general and the Abbasid state in particular in its early era in particular. The study examined the factors of the emergence and prosperity of this movement, in addition to the methods and sources on which Muslims relied on translation.

The study also showed the efforts of the Abbasid caliphs in the matter of translation, focusing on the efforts of the Caliph al-Mamun. In addition, the efforts of senior translators such as Hanin bin Ishaq and others were reviewed.

Finally, the study demonstrated the cultural effect of translation represented in the renaissance of science and its prosperity, such as the science of philosophy, mathematics, astronomy, geography and medicine, as well as the role of Muslims in the renaissance of this nation and its development and advancement.

Key words: The first Abbasid era, translation, Al-Mamoun, House of Wisdom

إلى من علمني النجاح و الصبر... إلى من علمني العطاء بدون انتظار... أبي.

إلى من علمتني و عانت الصعاب لأصل إلى ما أنا فيه... إلى من كان دعاؤها سر نجاحي و حنانها بلسم جراحي... أمي.

إلى جميع أفراد أسرتي العزيزة و الكبيرة كل باسمه أينما وجدوا.

إلى ملاكي في الحياة أينما كان.

إلى أصدقائي رفقاء دربي من داخل الجامعة و خارجها.

إلى الأستاذ المشرف الدكتور خالد الشارف ، إلى أساتذتي الكرام الذين أناروا دروبنا بالعلم و المعرفة.

إلى كل من يقتنع بفكرة فيدعو إليها و يعمل على تحقيقها، لا يبغي بها إلا وجه الله و منفعة الناس.

إليكم أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع.

شكر وتقدير

أرى لزاما علي تسجيل الشكر و إعلامه و نسبة الفضل لأصحابه، استجابة لقول النبي ﷺ: **«من لم يشكر الناس لم يشكر الله».**

و كما قيل :

علامة شكر المرء إعلان حمـده فمن كتم المعروف منهم فما شكر

فالشكر أولا لله عز و جل على أن هداني لسلوك طريق البحث و التشبه بأهل العلم و إن كان بيني و بينهم مفاوز.

كما أخص بالشكر أستاذي الكريم و معلمي الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور خالد الشارف ، فقد كان حريصا على قراءة كل ما أكتب ثم يوجهني إلى ما يرى بأرق عبارة و ألطف إشارة، فله مني وافر الثناء و خالص الدعاء.

كما أشكر السادة الأساتذة و كل الزملاء و كل من قدم لي فائدة أو أعانني بمرجع، أسأل الله أن يجزيهم عني خيرا و أن يجعل عملهم في ميزان حسناتهم.

((رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ

أَمْرِنَا رَشَدًا))

صدق الله العظيم

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	
الشكر	
الآية	
الملخص	
مقدمة	أ – د
الفصل التمهيدي	1 - 14
الفصل الأول : الحركة العلمية في خضم العصر العباسي الأول 132هـ –232هـ	
1- قيام الدولة العباسية	17 - 22
2- إنقسام العلوم في العصر العباسي لعلوم نقلية وعقلية	23 – 24
أ. العلوم النقلية	24 – 27
ب. العلوم العقلية	28 - 34
3- أسباب إزدهار وتطور الحياة العلمية في ظل الخلافة العباسية	35 - 50
الفصل الثاني : حركة الترجمة في العصر العباسي الأول وأهم من شجعها	
1- حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي الأول	52 - 67
2- مراكز الترجمة والنقل في العصر العباسي الأول	68
أ. مراكز الترجمة والنقل في عهد أبو جعفر المنصور	69- 75
ب. مراكز الترجمة والنقل في عهد هارون الرشيد	76 – 85

قائمة المحتويات

3- الترجمة والنقل في عهد المأمون	86
أ. الترجمة في عهد المأمون	89 - 86
ب. المجالس العلمية والمناظرات في عهد المأمون	94 – 90
ج. أشهر المترجمين في عهد المأمون	102 - 95
الفصل الثالث : بيت الحكمة ودوره في تطور حركة الترجمة في العصر العباسي الأول	
1- تأسيس بيت الحكمة	116 - 104
2- الحياة العلمية ونشاط الترجمة في بيت الحكمة	117
أ. هيكلة بيت الحكمة والعاملين فيها	121 - 117
ب. دور المترجمين في تنشيط حركة التأليف والنقل والترجمة	125 - 122
ج. ترجمة التراث والفكر العالمي للغة العربية	129 – 126
3- أثر بيت الحكمة في إزدهار النهضة العلمية	130
أ. أثر بيت الحكمة في العالم الإسلامي (المدارس)	135 – 130
ب. دور أثر بيت الحكمة في إنقاذ التراث العالمي من الإندثار	138 – 136
ج. سقوط بيت الحكمة	142 - 139
الخاتمة	146 - 144
قائمة المصادر والمراجع	

مقدمة

مقدمة

قيام دولة الخلافة العباسية لم يكن مجرد بيعة خليفة دون اخر, أو انتقال الحكم من الامويين إلى العباسيين في حكم الجماعة الاسلامية بل يعد هذا الحدث ثورة شاملة في التاريخ الاسلامي ومنعطفاً مهماً في مسيرة التطور الاسلامي غيّر بشكل جذري المجتمع الاسلامي وترك انطباعاً عميقاً في جميع نواحي الحياه السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية وفتح امام المسلمين من غير العرب باب الظهور في تلك النواحي.

العصر العباسي الأول أو كما يُسمّى بالعصر الذهبي كان عصرًا مميزًا، بلغ فيه تطور الدولة العباسية وتقدمها أوجه، وازدهرت من جميع الجوانب السياسية والاقتصاديّة والأدبيّة والفكريّة، وقد بلغ العصر العباسي الأول ذروة مجده في عهد هارون الرشيد، حيث اهتمّ هارون الرشيد بإصلاح الدولة، وبدأ بالإصلاحات الداخلية واهتم بفن العمارة، فانشأ القصور الفخمة والمساجد الكبيرة، وبدأ باستخدام القناديل المضيئة في الساحات والطرق والمساجد، وبدأ الاهتمام بشكلٍ أكبر في الزراعة وتنظيمها، وبدأت حكومة الدولة العباسية ببناء القناطر الكبيرة والجسور وحَفر الترع والجداول التي تصل بين الأنهار، كما تم تأسيس ديوان للإشراف على تنفيذ الأعمال في الدولة، وتشجيع التجارة والتبادل التجاري بين مختلف ولايات الدولة، بالإضافة إلى حراسة طرق التجارة بين المدن المختلفة.

ومن أهم ما تميّز به العصر العباسي الأول هو توسيع رقعة الدولة العباسية، حيث امتدّت الفتوحات الإسلامية فيها إلى آسيا الوسطى والقوقاز والأناضول، بالإضافة إلى إعادة محاولة فتح القسطنطينية، ومما يجدر ذكره أنّ البرامكة كانوا من أقوى العائلات نفوذًا في ذلك العصر، وخصوصًا في عهد هارون الرشيد، حيث كانوا يُسيطرون على الوزارات ومناصب الدولة، وكان لهم نفوذ كبير.

يعتبر العصر العباسي الأول من أزهى عصور الدولة الإسلامية حضارةً وتمدناً ورقياً، وذلك للتطور الكبير للحركة العلمية وبذلك يمكن تسميته بعصر النهضة لمختلف النشاطات العلمية . هذه الحركة إجتمعت عدة عوامل ساعدت في تطورها ونهضتها، ومن أبرز هذه العوامل حركة الترجمة، وهذه الحركة تعد من العوامل التي تعين على التعرُّف إلى ثقافات الآخر؛ قصدًا إلى الإفادة مما هو مناسب منها، النقل والترجمة، وتعلم لغات الآخر، ومدى الإقبال على النقل والترجمة ، أو تعلُّم لغات الآخر، مؤشران لمدى قوة الأمة المتلقِّية؛ فالنقل والترجمة حركة إيجابية، فيها إيحاءٌ بقوة الأمة، وسعيها إلى ترسيخ القوة، علميًّا وثقافيًّا.

ولا جدَّال في أهمية النقل والترجمة، وأنهما ضرورة حضارية، وأنهما "محرِّض ثقافي يفعل فعل الخميرة المحفِّزة المنشطة"، وأنها "تسدُّ الخلل القائم بين الشعوب الأرفع حضارة، والشعوب الأدنى حضارة، وأنها "تعد وسيطًا مباشرًا في تعرُّف معرفة إنجازات الشعوب"، وأنها "عنصر أساسي في عملية التربية والتعليم"، وأنها "وسيلة لإغناء اللغة وتطوُّرها".

وتأتي هذه الدراسة محاولةً لبيان تأثير ظاهرة النقل والترجمة من اللغات المشهورة إلى اللغة العربية، في العهد العاسي الأول ، على التطور العلمي والثقافي والحضاري الإسلامي أولًا، ثم الإنساني ثانيًا، مع الوقوف على الجوانب التي ساعدت على النقل والترجمة، وتحرِّي وجود أي علاقة بين العرب، قبل الإسلام، والأمم المجاورة، شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا.

مقدمة

أهمية الموضوع:

كان لحركة الترجمة والنقل أهمية عظيمة في العصر العباسي، من خلال ما ساهمت به في نقل والحفاظ على التراث العالمي القديم بحيث لولا حركة الترجمة والنقل لإندثر وضاع خاصة وإمتداد عصور الظلام لأوروبا التي كانت تعد مهد مختلف العلوم سواء العقلية أو النقلية، كما لها الفضل في إثراء الحياة العلمية بكل جوانبها وذلك بترجمة كتب الفلسفة اليونانية وكتب الطب والفلك وغيرها وتطور هاته العلوم لتصبح أساس تطور العالم الآن .

أسباب إختيار الموضوع: إختياري للموضوع كان لعدة أسباب :

❋ **أسباب موضوعية :**

- العصر العباسي الأول يعد من أهم العصور والمحطات الثقافية والعلمية في التاريخ الإسلامي بالنسبة للتاريخ العالمي .
- الدور الكبير الذي لعبته حركة الترجمة والنقل في نهضة الحركة العلمية وتطورها وإنتشارها من جديد لمنح علوم جديدة .
- التطور العلمي والثقافي والرقي لكل مجالات الحياة في هاته الفترة إلى أن سمي هذا العصر بالعصر الذهبي .
- ظهور بيت الحكمة كمنارة علم وقبلة العلماء والمفكرين وطلاب العلم من الدولة الإسلامية وكل أصقاع المعمورة .

❋ **أسباب شخصية :**

- الرغبة الكبيرة في دراسة هاته الفبرة العظيمة من فترات زهوة الإسلام .
- الرغبة في إزالة اللثام حول أن المسلمين والعرب لم يكونوا مجرد نقلة بل مطورين بكل شيء ومحافظين على الأصول .

الدراسات السابقة :

تناولت الدراسات السابقة عن الدولة العباسية جوانب محددة، فهي عبارة عن دراسات تاريخية للدولة العباسية بصورة متفرقة، وذلك عندما يدرس الباحث جانب من حياة الدولة العباسية. ويوجد العديد من الباحثين والكتاب الذين تناولوا موضوع الترجمة بشكل عام أي بدون الخوض في غمار هذا اللأمر وتفسير الحركة وتجلياتها على العصر العياسي ومن بعده بل كانت دراساتهم مشتملة على الحياة العلمية كاملة في العصور العباسية ما بين تطور وإنحطاط، فلدينا **سعيد الديوجي في كتابه بيت الحكمة** حيث تكلم عن بيوت الحكمة في هذا العصر ودورها الجوهري في التطور العلمي والثقافي وأبرز العاملين بها وأهم مصادرعا وأقطابها .

الإشكالية : من خلال ما سبق تبلور لنا هذا الإشكال وهو :

✓ لأي مدى ساهمت حركة النقل والترجمة في تطور وإثراء الحركة العلمية والثقافية والفكرية في العصر العباسي كونها المسار الذي أتت منه جل العلوم القديمة من كل أنحاء العالم للعالم الإسلامي؟

تندرج تحت هذا الإشكال عدة **تساؤلات** وهي كالآتي :

- إلى أي مدى ساهم الخلفاء في تطور هاته الحركة ؟
- ما هي أهم إنعكاسات حركة الترجمة على العالم الإسلامي الأوروبي ؟
- ما أهم منارات والدور التي تبنت هاته الحركة وروادها ؟

المنهج المتبع :

لدراسة هذا الموضوع تم إتباع المنهج التاريخي لدراسة التسلسل والتطور التاريخي لحركة الترجمة في العصور الإسلامية وصولا للعصر العباسي وتطورها من خليفة لآخر .

أما المنهج الوصفي فكان لوصف حركة الترجمة والنقل وكذا الأوضاع الثقافية والعلمية في هذا العصر آثارها على المجتمع العباسي بشكل خاص والعالم بشكل عام .

خطة البحث : لدراسة مفصلة لهذا الموضوع تمّ هندسة الخطة على الشكل التالي :

قُسم البحث الى مقدمة واربعة فصول وخاتمة وثبت المصادر والمراجع .

مقدمة أوضحنا فيها المعالم الكبرى للبحث، ومدخل تكلمنا فيه عن حركة الترجمة وتطورها التاريخي وكونها وسيلة للتلاقح والتواصل الثقافي بين المجتمعات العالمية .

الفصل الأول : استعرضت في الفصل الاول النهضة العلمية في العصر العباسي الاول وتكلمنا بدايو عن قيام الدولة العباسية ثم استعرضت فيه انقسام العلوم في العصر العباسي الى عقلية ونقلية، ومجالس المناظرة والمساجد والوراقين وكيفية إعتناء الخلفاء بهاته الحركة .

الفصل الثاني : خصصت الفصل الثاني للتحدث حركة الترجمة والنقل في العهد العباسي الأول وإيجابيات وسلبات الترجمة في عذا العصر وكذا تكلمنا بشكل مفصل حول إسهام كل خليفة في هاته الحركة وأخذنا أبرز من ساهم فيها حيث تكلمنا عن أهم ثلاثة وهم المنصور راعي الحركة العلمية والرشيد من وضع حجر الأساس لها والمأمون من طورها لتصل لأرقى مستوياتها دون إجحاف حق الخلفاء الباقين، وعرضنا أهم شخصيات الترجمة وروادها في تلك الفترة .

الفصل الثالث : خصصت هذا الفصل للتحدث عن بيت الحكمة من حيث التعريف عن بيت الحكمة، موقع بيت الحكمة، وظيفة بيت الحكمة والعاملين فيه، بيت الحكمة وحركة الترجمة والنقل واهم المترجمين في بيت الحكمة. وافردت الفصل الثالث للتحدث عن اثر بيت الحكمة في ازدهار الحركة العلمية ودوره في نشر الحضارة العربية الى الغرب، وكيف أثر بيت الحكمة في نشأة المدارس في بغداد وانهيار بيت الحكمة الذي كان من اسبابه ضعف الخلفاء العباسيون الذين أدوا الى انهيار الخلافة العباسية وذلك بدخول التتار وتحطيمهم لبيت الحكمة.

الخاتمة: وقد احتوت على النتائج والتوصيات ثم عمدتُ في نهاية البحث إلى رصد ما تمَّت الاستعانة به من المصادر والمراجع الأساسية، مرتبة ترتيبًا ورقيًّا (ببليوجرافيًّا) حسب حروف الهجاء للاسم الأخير للمؤلف.

مصادر البحث ومراجعه الرئيسية:

اعتمدت في بحثي على عدد من المصادر العربية المتخصصة في التاريخ الاسلامي.

- ✓ **محمد اسحق بن النديم: الفهرست،** من المحتمل انه ولد في عهد القاهر الذي دام من 320 الى 323هـ وقد يكون ولد في عهد سبق عهد المقتدر او عهد تبع عهد الراضي. كان وراقا في بغداد وكان يبيع الكتب، وهو اديب وعالم، مشارك في انواع من العلوم من تصنيفاته الفهرست والتشبيهات، كتابه عبارة عن فهرست كتب فيه جميع الامم من العرب والعجم الموجودة منها بلغة العرب وصنفها في اصناف العلوم واخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وانسابهم وتاريخ موالدهم ووفاتهم وبلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع.

- ✓ **ابي العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر: (ابن خلكان) (608 –681هـ) (1282 – 1211م): وفيات الاعيان،** هو فقيه مؤرخ، اديب، شاعر، مشارك في غيرها من العلوم، ولد باربل، وتفقه على والده بمدرسة اربل ثم انتقل الى الموصل، ثم حلب، ثم قدم دمشق، ثم الى القاهرة، وتولى قضاء دمشق، وتوفي بها في رجب، ودفن بسفح قاسيون، تمتاز وفيات الاعيان بالبحث الدقيق الذي التزم به المؤلف ونسبته، ثم يذكر شيئا عن مكارمه وسيرته التي اشتهر بها، وقد عنى به الكثيرون، ورتب ابن خلكان معجمه هذا بالاعلام هجائيا وبدأ باول اسم يبدأ بالهمزة وآخره بحرف الياء وراعى في ذلك اول حروف الاسم وثانيه فقط كما انه التزم الايجا في اكثر مواطن الكلام وانه اطال واسهب في بعضها وروايته لكثير من الاخبار التي لا تخلو من مبالغة متوخيا في ذلك امانة الثقل وهو مع هذا افضل كتب التراجم.

- ✓ **ابن كثير: (ت 774هـ / 1373م) البداية والنهاية في التاريخ:** هو اسماعيل بن عمر بن كثير بن جعفر بن ورع القرشي البصري ثم الدمشقي، ابو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ فقيه، تناقل الناس تصانيفه في حياته يحوي كتابه معلومات وفيرة عن تاريخ العرب انتهى فيه الى حوادث سنة 767م، واشتهر بالدقة والضبط والتحرير، وافادني الكتاب فيما اورده من تنبؤات عن الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن بعض الصحابة وما سيقع لهم مستقبلا، اضف الى ذلك ما تناوله عن خبر الملاحم والفتن واشتراط الساعة.

- ✓ **موفق الدين احمد بن قاسم المعروف بابي اصيبعة: (668 – 596هـ) – (1270 –1200م): عيون الانباء،** نشأ في بيت علم وادب، وقد كان ابوه اشتهر بعلاج العيون وامراضها، فظهر ابنه وفتح عيناه على علم الطب وتطبيب العيون. وكان ابي اصيبعة طبيب، مؤرخ، اديب. ولد بدمشق وتوفى بصرخد جبل الدروز في الجمهورية السورية وقد جاوز التسعين ومن تصانيفاته عيون الانباء في طبقات الاطباء، وله شعر كثير.

الفصل التمهيدي

الترجمة ضرورة حضارية ونشاط فكري وعملية لغوية فرضها الإحتكاك بين الشعوب ذات الألسنة المتباينة، وتتطلب ترقية الترجمة وتحويلها من مجرد عملية لغوية شكلية إلى عملية حضارية عوامل تبنى على الوعي لأهميتها حتى تكون مؤثرة في تأويل المعرفة واكتسابها.

الترجمة ثقافة وحضارة وتواصل على ما أنجزته الشعوب في سبيل تقدم الإنسانية. فهي وسيلة فعالة تمثل صلة مباشرة بين الحضارات في جميع ا مالات، وأداة تعبير عن قوة ا تمع في استيعاب هذه المعارف، وهي سبيل لا غنى عنه في سبيل نشر الثقافة. لقد كانت من أهم وسائل الانتقال الفكري والمعرفي بين مختلف شعوب العالم على مر العصور. وكان من أهم أسباب تقدم العرب، وتطورهم في عهد الإمبراطورية العربية الإسلامية، قيامهم بالتعرف إلى ثقافات الشعوب التي سبقتهم، وذاك بواسطة الترجمة. أما الحضارة الإسلامية في الأندلس فقد كانت أهم موروث أخذه الأوروبيون عندما أقبلوا عليها بالترجمة والنقل، وصارت فيما بعد دافعا لهم ليعكفوا على دراسة لغات الشرق وتاريخه وآدابه ودينه في الحركة الواسعة التي عرفت بالاستشراق. ولم يتوقف دور الترجمة على مجرد النقل من لسان إلى آخر، بل تَبِعَتْها حركةُ النهضة التي نعيش جميعا في ظلها اليوم من أدنى الأرض إلى أقصاها.

لقد تعاملت الشعوب منذ الأزل بها في نقل المأثور الفكري كما هو الحال في التجربة العربية مع الفكر اليوناني والهندي والفارسي، ثم توسعت جهود الترجمة في جميع المراحل التاريخية لتصبح في يومنا هذا حتمية تبناها العالم بأسره.

الترجمة ليست عملية نقل حرفي من لغة إلى أخرى، ولا هي صناعة ميكانيكية تقوم بإحلال كلمة أجنبية مقابل أخرى مغايرة. إنها إعادة صناعة المادة الأدبية وإدخال محسنات إضافية عليها لتكون صالحة للتداول في مجتمع أخر، وهي بالتالي إعادة صياغة للنتاج الأدبي أو الفني بأسلوب جديد .

اولا : تعريف الترجمة:

ان الترجمة مشتقة من فعل"ترجم" ،وعلى نحو ما جاء في لسان العرب، يقال" ترجم كلامه بمعنى فسره بلسان آخر.[1]

وأما في معجم المنجد، فهي تحليل على" نقل الكلام من لغة الى لغة أخرى، وعلى التأويل والتفسير والشرح".[2]

الترجمة لغة :ترجم الكلام بينه ووضحه ،وكلام غيره نقله من لغة الى أخرى ،ولفلان ذكر ترجمته، والترجمان :المترجم جمع تراجم وتراجمة [3]،وفي حديث هرقل :قال لترجمانه ،الترجمان بالضم والفتح هو الذي يترجم الكلام أي ينقله من لغة الى أخرى ،والجمع التراجم .[4]

ومن خلال كتب اللغة نعرف ان الترجمة في اللغة العربية تدل على اربعة معان وضحها لنا الشيخ الزرقاني [5]رحمه الله:

أ. تبليغ الكلام لمن يبلغه ،ومنه قول الشاعر :

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان.

ب. تفسير الكلام بلغته التي جاء بها ،ومنه قيل في ابن عباس انه ترجمان القرآن.

ج. تفسير الكلام بلغة غير لغته ،وجاء في لسان العرب وفي القاموس أن الترجمان هو المفسر للكلام.

د. نقل الكلام من لغة الى أخرى .

ولكون هذه المعاني الاربعة فيها بيان جاز على سبيل التوسع إطلاق الترجمة على كل ما فيه بيان مما عدا هذه الاربعة ،فقيل ترجم لهذا الباب أي عنون له ،وترجم لفلان أي بين تاريخه ،وترجم حياته أي بين ماكان فيها ،وترجمة هذا الباب كذا أي بيان المقصود منه ،وهلم جرا [6] ،والترجمة وان كانت لغة تشتمل على معان اربعة لكنها انحصرت عرفا في النوع الرابع وهو نقل الكلام من لغة الى لغة ثانية واقتناع الناس بأن هذا المنقول هو الكلام الأصلي تماما بلا زيادة ولا نقصان [7] .

أما اصطلاحا فهي التعبير عن معنى كلام في لغة بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده [8] ،ولا يمكن أن تتحقق الترجمة الا بمعرفة المترجم لاوضاع اللغتين وأساليبهما وخصائصهما كما سيأتي.

---

[1] العلامة ابن منظور ، **لسان العرب** ، المجلد الثاني، دار الجيل بيروت، دار لسان العرب بيروت، 1988، ص 316 .

[2] المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 2001 .

[3] المعجم الوسيط 83/1 .

[4] لسان العرب 66/12 .

[5] محمد عبد العظيم الزرقاني ،من علماء الأزهر بمصر ،من كتبه **مناهل العرفان في علوم القرآن** ،انظر الأعلام 210/6 .

[6] مناهل العرفان 109/2، 110 .

[7] ترجمة القرآن ،عبد الوكيل الدروبي ص 19 .

[8] مناهل العرفان 111/2 .

والترجمة اصطلاحا هي : " نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة الى أخرى مع المحافظة على التكافؤ" [1].

وعرفه بعضهم بأنه نقل الكلام من لغة الى أخرى عن طريق التدرج من الكلمات الجزئية الى الجمل والمعاني الكلية.[2]

ومن هذه المنطلقات ،يمكن أن تتصور الترجمة على انها عملية يتم بها نقل المعنى المراد ترجمته من اللغة المصدر الى اللغة الهدف ،بشرط التحكم في كلتيهما واحترام نظام اللغة الهدف وادراك ثقافتهما ،بحيث لا يمكن فهم النص المراد ترجمته الا باستحضار الجو الثقافي الذي ظهر فيه.

يقول الأستاذ أبو نعمان محمد عبد المنان خان في تعريف الترجمة المطلق هو علم يبحث عن نقل لغة الى لغة أخرى وعادة ما يكون هذا النقل نقل مفاهيم النصوص المكتوبة أو الخطاب من لغة الى أخرى ،وهذا النوع من الترجمة يتحقق في نقل الكتب أو الرسالة أو العريضة أو الحوار أو المحاضرة من لغة الى لغة أخرى. [3]

خلاصة ما جاء في تعريفاتها الاصطلاحية في الكتب والمجلات أنها تعني نقل الكلام والمفاهيم من لغة الى لغة أخرى مع مراعاة التسلسل المنطقي وقواعد اللغة النحوية والصرفية والدلالية والمصطلحات والتقابلات وما الى ذلك مع الحفاظ على روح النص المنقول.[4]

[1] سعيدة كيحل، **تعليمية الترجمة دراسة تحليلية تطبيقية**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص 21 .

[2] ترجمة القرآن ،عبد الوكيل الدروبي ص 19 .

[3] أبو نعمان محمد المنان خان، **مذكرة علم الترجمة العربية الفورية**، جامعة دكا، السودان، 1992، ص 7 .

[4] جمال قطب الإسلام نعماني، **الترجمة ضرورة حضارية**، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ، المجلد الثالث، بنغلاديش، 2006، ص 18 .

ثانيا: الترجمة عبر العصور :

تعد الترجمة من أقدم أنواع النشاط الإنساني ،فهي ظاهرة ملازمة لتاريخ الإنسان من أقدم العصور ،ولكن من الممكن القول بأنها ظهرت بظهور الحاجة الى وسيلة للتفاهم بين ناطقي اللغات المختلفة. إذ إن تعدد الشعوب ،واختلاف اللغات التي أسهم أصحابها في الحضارة الإنسانية _جعلاها الأداة الوحيدة لسد حاجة التواصل المصاحب لكافة أنواع التبادل والصلات بين البشر فرادى وجماعات .وما يتولد عن هذه الصلات من اختلاط ناتج عن التجارة والحروب ،والاتصال الديبلوماسي والثقافي هذا التواصل غير المنتظم بين القبائل والشعوب المتجاورة ذات اللغات المختلفة قد ولد صناعة ،او وظيفة غير مستقرة تخضع للظروف يؤديها بعض الوسطاء_ممن توفرت لهم الظروف تعلم اللغات المتفاعلة مع لغتهم الأم بين الوفود التجارية ووفود الجيوش المتحاربة ،والبعثات الديبلوماسية ،وعمليات الاستعلام التي يقوم بها كل محارب للتعرف على خصمه .

ويصعب بطبيعة الحال تحديد البدايات التاريخية للترجمة ،ولعل النصوص الدينية والوثائق الرسمية ،وما الى ذلك من نصوص تسجل التعامل بين الدول والشعوب ،هي أقدم الترجمات من الناحية التاريخية.

ومن الثابت أن أقدم هذه النماذج للترجمة قد أتت من الشرق الأدنى القديم .فأقدم ما لدينا من نماذج مكتوبة هو ما تركه لنا السومريون والتي ترجع الى الألف الرابعة قبل الميلاد .وهي أشبه بمعاجم تحتوي على عدد من الكلمات كتبت على ألواح الطين باللغة السومرية وكتبت أمامها معانيها باللغة الأكادية .ثم عرفت بلاد آشور الترجمة فيما نشره "سرجون الأكادي" في حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد في أرجاء إمبراطوريته من نقوش مزخرفة بلغات عدة .كما كانت بابل في عهد "حمورابي" مدينة يتكلم أهلها عدة لغات .

ومن مصر الفرعونية نجد بعض النماذج الخاصة بالمعاهدات بين المصريين والحيثيين والمدونة بلغتين وترجع الى ثلاثة آلاف عام .كما نجد أشهر ما وصلنا منها وهو "حجر رشيد" والذي دون بثلاث لغات هي الهيروغليفية والديموطبقة واليونانية القديمة .

وأما في منطقة فارس فنجد نقش"بهستون" والمدون بثلاث لغات هي الفارسية القديمة والآشورية والبابلية وقد أرخ "دارا الأول" لحروبه وانتصاراته وأعماله فيه .

كما يشير العهد القديم لوجود نشاط ترجمي في الامبراطورية الفارسية القديمة وهو ما انعكس في سفر أستير 8/9 (وكتب حسب كل أمر به مردخاي الى اليهود والى المرازبة والولاة ورؤساء البلدان من الهند الى كوش.. بكتابها وكل شعب بلسانه) .كما تطور شكل خاص من الترجمة في المجتمع اليهودي في عهد" نحميا " حوالي 397 ق.م حيث جاء في سفر نحميا 8/8 (وقرأوا في السفر في شريعة الله ببيان وفسروا المعنى وأفهموهم القراءة) .وكانت هذه هي أولى محاولات ترجمة العهد القديم مشافهة وبشكل مباشر على الجمهور وذلك نقلا من اللغة العبرية الى اللغة الآرامية السائدة آنذاك كلغة رسمية للامبراطورية الفارسية والتي لا يعرف سواها اليهود .

ومن ثم فقد لعب العهد القديم دورا بارزا في تطور الفكر الترجمي على مر العصور .وذلك بالمحاولات الدائبة لنقله سواء من اللغة العبرية او الآمرية الى مختلف لغات العلم ،مما كان له الاثر في اثارة قضايا ومشكلات عديدة حول الترجمة وكيفيتها ونوعية النص وأهمية تحديد منهج المترجم ،ومشكلة الأمانة والالتزام بالاصل الى غير ذلك من مشكلات الترجمة .

وفي خلال القرون الوسطى كان مركز الترجمة والاشعاع الثقافي متمركزا في بغداد حاضرة الدولة الاسلامية ،حيث تم نقل الروائع الاغريقية القديمة الى اللغة العربية على يد التراجمة السريان ،وذلك في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ،ثم انتقل المراكز بعد ذلك الى طليطية الاندلسية في القرن الثاني عشر فترجمت فيها الروائع الاغريقية الى اللغة اللاتينية عبر مناهل الحضارة واللغة العربية ،كما ترجمت العديد من كنوز اللغة العربية الى اللغتين اللاتينية والعبرية ،حيث كانت الاندلس هي ثمرة علاقات حسن الجوار بين العرب واليهود .

- **الترجمة في عصر صدر الإسلام: (40هـ/ 660م):**

في عهد الرسول صلى الله عليه والسلام والخلفاء الراشدين زاد حجم الاتصال بالأمم الأخرى، وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الوفود تحمل رسائل منه؛ يدعو ملوك الأمم الأخرى إلى الدخول في الإسلام، وكانت الرسائل باللغة العربية، فتنقل إلى اللغات المرسلة لأهلها عن طريق المترجمين، وفي لسان العرب لابن منظور إشارة لهذا [1]

وفي السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وبعث عبدالله بن حُذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وبعث عمرو بن أبي أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة، كما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وبعوثًا أخرى إلى ملوك العرب في عُمان، واليمامة، والبحرين، وتخوم الشام.

ويذكر أحمد أمين في كتابه فجر الإسلام، رواية عن زيد بن ثابت الأنصاري، أنه قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: ((إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليَّ أو أن ينقصوا؛ فتعلم السُّرْيانية)) فتعلمتها في سبعة عشر (17) يومًا[2].

كون للنقل والترجمة أيُّ أثرٍ واضح في هذه المدة، وإن كانت هناك محاولات لتثبيت هذا؛ من منطلق أن الرسالة المحمدية استفادت من الأديان السابقة استفادةً مباشرة، من خلال ما أخذه الرسول محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم من بعض من عاصروه من أحبار اليهود والنصارى، كما مرَّ الحديث عنه؛ ولذا ينبغي التثبُّت من صحة هذا الزعم، وعدم الانقياد له، سعيًا وراء إثبات أن النهضة العلميَّة قد بدأت مع ظهور الإسلام بهذه الصورة، لا سيما إذا كان ذلك في سياق أخذ المسلمين عن الديانات والثقافات السابقة، فيما له علاقة مباشرة بالدين وشعائره.

وعلى أي حال: فإن القرن الأول الهجري – السابع الميلادي، لا سيَّما النصف الأول منه، كان يمثِّل مرحلة أولى من مراحل الاستقبال أو الأخذ، ولم يمضِ وقت طويل على مرحلة الأخذ التي نتجَتْ عن طريق الاتصال البشري، حتى ابتدأت حركة نقل الكتب وترجمتها في القرن الأول نفسه، يقول فؤاد سزكين: "كانت الترجمات الأولى من اللغة الإغريقية أو الفلهوية (البهلوية) والفارسية المتوسطة،

[1] ابن منظور: **لسان العرب**؛ مرجع سابق – 1: 426، (مادة ترجم): "وفي حديث هرقل قال لترجمانه".

[2] عبدالسلام هارون: **تهذيب سيرة ابن هشام** – ط 3 – د.م: المؤسسة العربية الحديثة، 1396هـ/ 1976م – ص: 375.

وبعدها ترجمت بعض الكتب من السُّرْيانية، ثم ابتدأت عملية الترجمة من السنسكريتية"، وهذا خلاف الانطباعة التي تركتها بعض الدراسات من أن النقل والترجمة من اللغة السُّرْيانية إلى اللغة العربية قد سبقت النقل والترجمة من اللغة الإغريقية (اليونانية) إلى اللغة العربية[1].

وتعلُّم اللغات الأخرى لا يعني بالضرورة النقل والترجمة عن ثقافاتها فقط، فقد تعلَّمها الصحابة رضي الله عنهم قصدًا إلى نقل الكتب؛ أي: المخاطبات، والمكاتبات بالرسائل القادمة أو المرسلة، وربَّما تعلمها آخرون قصدًا إلى التوسع في الاطلاع الذاتي، كما يذكر عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه تعلَّم اللغة السُّرْيانية على رجل نبطي من اليرموك، يقال له: سرح أو سرج [2]؛ وعليه ينتفي الحذر الذي ينادي به بعض المهتمِّين من إمكانية تأثير الثقافات الأخرى، تأثيرًا سلبيًّا مباشرًا على الثقافة الإسلامية، دون أن يؤثِّر الإسلام فيها.

- **الترجمة في العصر الأُمَوي (40 – 132هـ/ 660 – 749م):**

بدأت حركة النقل والترجمة في هذا العصر مع الخليفة الأُموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما (توفِّي سنة 60هـ/ 679م)، وكان محبًّا للاطلاع على سياسات الملوك وسيرهم، وكان لديه مَن يَنسخون له الكتب التي يبدو أنها كانت مترجمة عن اللغات اليونانية واللاتينية والصينيَّة، على إثر تسلُّمه لهدية من ملك الصين كانت كتابًا تُرجم في عهده، أو بُعيد عهده[3].

ثم تتواتر الروايات حول خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي أطلَّ على الخلافة ثلاثة أشهر فقط، ثم آثر التفرُّغ للعلم، فكان مولعًا بالصنعة (الكيمياء)، وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنةَ خمس وثمانين 85هـ، وقيل: سنة تسعين 90هـ، أو ما دونها[4].

وقد ورث عن جدِّه معاوية بن أبي سفيان مكتبة غنيَّة، كما تلقَّى علوم الأوائل على معلمه ماريوحنا الدمشقي – ويسمَّى أحيانًا: مريانوس كان صديقًا لوالد خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (توفِّي سنة 64هـ/ 683م)، ونديمه في صباه.[5]

وقد ترجم مريانوس لخالد بن يزيد، وترجم له أيضًا راهب آخر عن اليونانية يقال له: اصطفن الحصري، أو القديم كتبًا أخرى .

وتُرجمت له بعض الكتب عن الفارسية على يد جبلة بن سالم، وعُد من أساتذته يحيى النحوي.[6]

---

[1] ابن سعد: **الطبقات الكبرى** – 9مج – بيروت: دار صادر، د.ت – 7: 402

[2] توفيق يوسف الواعي: **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية –** المنصورة: دار الوفاء، 1408هـ/ 1988م – ص: 305.

[3] محمد ماهر حمادة: **الكتب والمكتبات في العصر الأموي** – المجلة العربية ع 4 – 5 مج 3 (جمادى الآخرة 1399هـ/ أيار (مايو) 1979م) – ص: 45 – 48.

[4] معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبدمناف القرشي، مؤسس الخلافة الأموية بالشام، وأحد دُهاة العرب، ولد بمكة المكرمة سنة 20 قبل الهجرة، وأسلم في السنة الثامنة يوم فتح مكة من كُتَّاب الوحي، ومن القادة، ومن رواة الحديث، اتَّسعت رقعة الإسلام في عهده، توفي رضي الله تعالى عنه بدمشق؛ انظر: ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ مرجع سابق – 4: 2.

[5] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: **كتاب الوافي بالوفيات** – ج 13 – باعتناء: محمد الحجيري – فيسبادن (ألمانيا): فرانز شتاينر، 1404هـ/ 1984م – ص: 270 – 273.

[6] يحيى النحوي: أسقُف في بعض كنائس مصر، تتلمذ على ساواري من اليعاقبة، عاش إلى أن قدم عمرو بن العاص (50 قبل الهجرة – 43هـ/ 572 – 663م)، فأكرمه عمرو، كان قد فسَّر كتب أرسطاليس، وله تصنيفات أخرى، وإسهامات عدَّة، ذكرها النديم في: الفهرست؛ مرجع سابق – ص:

ويذكر أن أول ما تُرجم لخالد بن يزيد هو كتاب: مفتاح النجوم (أو مفتاح أسرار النجوم)، لهرمس الحكيم الفيلسوف [1].

وهناك تفاوت في إطلاق الأحكام القاطعة في هذا المجال، فربما ذهب البعض إلى أن خالد بن يزيد يعدُّ أول عربي مسلم فكَّر بالنقل والترجمة، بل ربما عدَّه بعض الباحثين المؤسسَ الأول، الذي وضع حجر الأساس لظاهرة النقل والترجمة في العالم الإسلامي، وبهذا تغفل الجهود التي سبقَتْه على عهد جدِّه معاوية بن أبي سفيان، أو عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم.

وربَّما كان هذا هو الحال إذا قيل: إن ظاهرة النقل والترجمة قد انتظمت في عهده، وزاد الناقلون على ما كان عليه الأمر من قبل؛ فخالد بن يزيد لم يصدر عنه هذا التوجُّه من فراغ، بل لعلَّه خضع في تربيته ومجالس أبيه وجدِّه لما جعله ينصرف إلى العلم والحكمة والأدب، فاستطاع أن ينقل الكثيرَ من الكتب في الطب والفلك والفلسفة والصنعة، وجعلها متاحة في أماكن خاصَّة (خزائن الكتب/ المكتبات)، يرتادها المهتمُّون والدارسون، واستقدم مجموعة من النقلة لترجمة بعض الكتب عن اللغات السُّرْيانية والقبطية والفارسية واليونانية من مصر وغيرها.

وكان هو نفسه بصيرًا بالطب والصنعة، وقد خلَّف رسائل كثيرة في الصنعة (الكيمياء) تدلُّ على طول باعه في هذا العلم، ويذكر منها كتاب "الحرارات" وكتاب "الصحيفة الكبير" وكتاب "الصحيفة الصغير"، وكتاب "وصية أب إلى ابنه في الصنعة" وقد رآها محمد بن إسحاق النديم .

يمكن القولُ أن مكتبة معاوية بن أبي سفيان بدمشق يمكن أن تُعدَّ المركز الأول من مراكز التعريب أو النقل أو الترجمة إلى اللغة العربيَّة، وأن خالد بن يزيد قد طوَّر هذه المكتبة/ المركز الذي يُذكر أنه كان يُدَعى بيت الحكمة، فأغناها بكتب الحديث، وكتب الكيمياء والفلك والطب والفلسفة، وأنشأ فيها حركة لنقل الكتب الأجنبية، وترجمتها من اللغات السُّرْيانية واليونانية والقبطية واللغات الأوروبية الأخرى إلى اللغة العربية ، وجمع لها العلماء في مجالات شتَّى، فأعطى بيتَ الحكمة في دمشق طابعَه الخاص الذي يمكن أن ينظر إليه على أنه تطويرٌ للمركز الأول من مراكز النقل والترجمة، أو – في سبيل التمييز في درجة النشاط العلمي – يمكن أن يقال عنه: إنه يعدُّ في حياة خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان المركزَ الثاني من مراكز النقل والترجمة.

ورغم هذه النظرة للعصر الأُموي نجد من لا يغفل الجهود التي قام بها بنو أمية، فيقسم ظاهرة النقل والترجمة إلى أربعة أدوار:

- الدور الأول: ظاهرة النقل والترجمة في العصر الأُموي.
- الدور الثاني: ظاهرة النقل والترجمة من خلافة أبي جعفر المنصور إلى آخر عهد الخليفة هارون الرشيد "من سنة 136هـ/ 753م إلى سنة 193هـ/ 808م".
- الدور الثالث: ظاهرة النقل والترجمة من عهد الخليفة عبدالله المأمون إلى سنة 300هـ/ 912م.

---

314 – 315، وانظر أيضًا: صفحات متعددة من "**الفهرست**": ص: (309، 310، 311، 333، 345، 348)، حيث إسهاماته في النقل والتفسير.

[1] علي عبدالله الدفاع: **الفلك وأثره في الحضارة العربية والإسلامية** – المجلة العربية مج 4، ع 8 (1401/1هـ، 1980/11م) – ص: 97 – 102.

- الدور الرابع: ظاهرة النقل والترجمة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، ويشمل هذا التقسيم، كما هو ظاهر الخلافتَيْن الأُموية والعباسية.

ولعل من أشهر ما ترجم وآثار العديد من المشكلات والقضايا_ سواء على مستوى الترجمة والامانة في النقل او مستوى الجدل الديني _كان ترجمة معاني القرآن الكريم الى اللغة اللاتينية عام 1143 م.

ومع فيض التراجم التي غمرت أوروبا في عصر النهضة خاصة من اللغة الاغريقية بدأت تعقد المقارنات بين الترجمات القديمة والترجمات المعاصرة _آنذاك_ خاصة المتعلقة بالاعمال الدنيوية .وهو بهذا يؤكد هبوط مستوى الترجمات في عصره مقارنة بما سبقها من ترجمات خاصة تلك المتعلقة بترجمة الكتاب المقدس .

وفي القرن السادس عشر سيطرت شخصية" مارتن لوثر" على ميدان الترجمة ،من خلال بروز النزعة نحو ترجمة النص الديني الى الالمانية بصفة خاصة –كما أنه استطاع في كتابه (رسائل حول الترجمة) أن يصبغ بعض المبادئ حول مفاهيم الترجمة بصورة أي أنه حتى هذه الفترة كانت معظم الإثارات لقضايا الترجمة تنبع من المشكلات المتعلقة بترجمة النص الديني بصفة خاصة أيا كان نوعه .

أما في خلال القرنين السابع والثامن عشر فقد ساد مبدأ الحرية غير المقيدة في الترجمة حتى لقد أطلق على هذه الفترة اسم" عصر الخيانة الكبرى للترجمة " ،ذلك أن مترجمي هذه الفترة لم يسألو أنفسهم" هل تم انتزاع الدرجة الدقيقة للمعنى أو الوجدان في ذلك السطر أم لا ؟

وفي القرن التاسع عشر كانت معظم الكتابات حول الترجمة محاولة لتنظير قضاياها ومعالجتها معالجة موضوعية مع وضع الاحكام والقواعد التي ينبغي أن يسير وفقا لها المترجم .

هذا وتشهد الترجمة في القرن العشرين ازدهارا لم تبلغه من قبل ،وذلك عائد الى ما وصل اليه العالم من توسع في العلاقات الرسمية والتجارية والثقافية وغير ذلك من مجالات الاتصال بين الشعوب والافراد .

فلم تعد الترجمة قاصرة على نوعية محددة من النصوص ،بل انطلقت الى كافة المجالات ،وصارت الكتب تطبع بأكثر من لغة في آن واحد ،وفي أكثر من مكان ؛مما جعل من الجدير وصف عصرنا بأنه حقا" عصر الترجمة " .

ولم تحتل الترجمة هذه المكانة إلا لأهميتها القصوى في حياة الانسان المعاصر بل والقديم كذلك ،فهي الوسيلة السحرية لتوثيق عرى التفاهم بين الشعوب والأمم على مر التاريخ الانساني ،ونقل المعارف والثقافات بين الشعوب إذ أنها تلعب دور المحرض الثقافي.[1]

[1] شاهين محمد، **نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية**، مكتبة دار الثقافة والنشر والتوزيع، عمان ، 1998، ص 30 ص 50 .

ثالثا: تقنيات الترجمة :

تعد تقنيات الترجمة احدى أهم الدعائم الأساسية وأهمها التقنيات التي حددها فيناي وداربلنات هي :[1]

1. الإقتراض Emprunt :

وهي تقنية مباشرة تنصب أساسا على نقل المصطلحات الأعجمية إلى اللغة العربية وسبيلها في العربية التعريب ورحابتها في هذا المجال لا تضاهى، فقد تعاملت مع الفكر اليوناني بهذه التقنية إلى أن تمكن العرب من وضع المقابل .

وفي هذا تكون الأسماء الخاصة بالأعلام والدويلات والجرائد وأسماء الشوارع خاضعة للإقتراض نوجه الطلبة في درس الترجمة إلى الإستفادة من هذه التقنية بعد إستنفاذ كل جهود الترجمة ولكن في أمثلة كالأتي على الطالب أن يقترض مثلا الأسماء الخاصة بالأعلام "كوت ديفوار Cote D'voire" أو "فيرديناند دوسوسير Ferdinand de Saussure" وبهذا لا يجوز له الترجمة.

2. تقنية المحاكاة Le calque :

وهي إمتداد دلالي للإقتراض، ونستثمر في هذه التقنية نقل المعنى بصيغة عربية مناسبة وهو قريب من المعنى الإصطلاحي.

أي إستغلال ما كلامية موجودة في كلام العرب وإعطائها لمفهوم جديد في اللغة المصدر، بما وراء الطبيعة métaphysique مثلا ترجمة كلمة بعلم الخيال Science-fiction وكلمة وقد سماها الأستاذ عبد الواحد وافي بتعريب الأساليب وسببها احتكاك العربية بغيرها من اللغات .

وقد يحدث في تقنية المحاكاة الوقوع في الترجمة بطريقة خاطئة للمفاهيم ليست من ثقافة اللغة pleurer a chaudes larmes الهدف فحين نقول باللغة الفرنسية بكى بدموع حارة أم باردة عندما تقول أسخن الله عينه –أي أبكاه أقرّ عينه– أبكاه .

وهنا نطرح مشكلة الترجمة الحرفية والمتكافئة فقد أثبتت الأبحاث في مجال الترجمة أن اللغات مشتركة الأصول تحتمل الترجمة الحرفية أكثر من مختلفة الأصول التي تعوض هذه التقنية بالتكافؤ وهي الترجمة للفهم .

3. تقنية الترجمة الحرفية Traduction Littérale:

تفترض الجملة العربية الإسمية الإبتداء بالمبتدأ (معرفة) بينما يجوز في لغة ،كالإنجليزية الإبتداء بالنكرة في هذا المثال :

الإنسان فان man is mortal فلا تتحقق الترجمة الحرفية لغويا .

فأما من حيث إستخراج المعاني من البنى التركيبية فيكثر في الأمثال إستثمار الإختلاف وهنا تكمن صعوبة النقل الحرفي للمثل .

---

[1] إنعام بيوض منور، **الأساليب التقنية للترجمة " دراسة مقارنة لأساليب الترجمة من منظور فيناي دربلناي "** ، رسالة ماجستير، معهد الترجمةن جامعة الجزائر، ماي 1992، ص 69 .

يترجمها الطلبة عادة وحتى Tout ce qui brille n'est pas or ففي الفرنسية نقول بعض القواميس إلى اللغة العربية ب: ليس كل ما يلمع ذهبا .

فقد تؤدي هذه الترجمة الحرفية بعض الغايات ولكننا أن راعينا المكافئ الثقافي في اللغة العربية نكون قد حددنا المعنى بدقة، فالترجمة المكافئة هي : ما كل بارقة تجود بمائها .

فهذا المثل العربي مأثور في ثقافة اللغة الهدف وباستطاعة الطالب أن يصل إلى المعنى بيسر ان وجد مكافئ، وسنحلل بعض ترجمات الأمثال في الفصل التطبيقي ونقف على مثل هذه الصعوبات، وأن الحلول قائمة لا محالة في الإمكانية اللسانية والثقافية .

4. تقنية الإبدال La transposition:

هي إستبدال جزء من الخطاب بآخر دون تغيير معنى الرسالة، وهناك الإبدال الإجباريaprès son arrivé

والإبدال الإختياري ففي قولك باللغة الفرنسية ولك أن تختار في الترجمة : بعد عودته أو بعد أن يعود، كذلك في قولك il se tenta de faire oui par sa tête يمكنك الإختيار بين : حاول الإجابة بنعم وهو يحرك رأسه أو إكتفى بإيمائه.

يمكننا القول أن تقنية الإبدال تستند إلى مفهوم أجزاء الكلام والذي يتداخل مع التعويض عند جاكبسون حيث نعوض الأفعال بالصفات حسب مقتضى الحال وستتضح هذه التقنية في تطبيق درس الترجمة في الفصول التطبيقية للبحث .

5. تقنية التطويع Modulation:

نلجأ إلى هذه التقنية عندما نعجز عن إيجاد مرادف مناسب لما نريد ترجمته، فنعوض بعبارة تشرح وتفسر وترادف في المعنى ،ولكنها تختلف في المادة العجمية عن المادة الأصلية ،ونتيجة التطويع هي التنويع بين اللغتين وثقافتهما .

وفي هذا تستفيد الترجمة من النظريات اللسانية البنوية التي لا ترى في اللغات محاكاة بل وان لكل لغة تنظيمها الخاص لمعطيات التجربة الإنسانية ،ولكل لغة طريقتها في تقطيع الترجمة غير اللسانية [1].

وهناك أنواع من التطويع :

- ✓ التطويع المعجمي ويحدث في المفردات الخاصة .
- ✓ التطويع التركيبي ويحدث في تطويع البنى والتراكيب بين اللغتين لتعبر عن المعنى المقصود الواحد .
- ✓ تطويع مقامات الكلام : فالتطويع في التعريف والتقديم والتأخير والذكر والحذف والفصل والوصل والإيجاز والإطناب .
- ✓ وفي هذا تداخل مع التطويع التركيبي، ويمارس التطويع مع الفئات الفكرية الدلالية بينما يغلب على تقنية الإبدال الممارسة

[1] أنظر جورج مونان في اللسانيات والترجمة 61 ، « **les langues ne sont pas des calques universels d'une réalité universelle…** ».

مع الفئات النحوية .

6. تقنية التكافؤ équivalence :

وهي تقنية عالية تتطلب معرفة موسوعية عميقة وواسعة تساعد المترجم على إيجاد وضعية مرادفة في اللغة الثانية لوضعية اللغة الأصل وتستعمل هذه التقنية كثيرا في ترجمة الأمثال والكلام المأثور .

حيث تتم بتعويض الجانب اللغوي بكامله بما يقابله في اللغة الأخرى نظرا للإختلاف الثقافي وتأثير ذلك على ظلال المعنى بين اللغتين المنقول منها والمنقول إليها، فحين نقول salut بالفرنسية نترجمها بالعربية السلام عليكم ونستعمل أهلا وسهلا ونترجمها bien venu .

7. تقنية الزيادة L'addition :

وتدل هذه التقنية على إنتقال المترجم من الضمني إلى الظاهر دون إضافة معلومة أخرى أي محاولة اظهار المعنى الخفي بالشرح عندما لا تتوفر المقابلات في اللغة الهدف .

8. تقنية الحذف La soustraction:

وهي عكس الزيادة وتعني الإنتقال من الظاهر إلى الضمني دون فقدان أية معلومة حيث يتجاوز المترجم مستوى السطحي للنص الأصلي فيحذف بعض الكلمات دون أن يشوه المعنى إعتمادا على البنية العميقة للجملة.

9. تقنية التحويل Le changement:

هي تقنية نحوية ودلالية للنص الأصلي في إطار إحترام اللغة الثانية ومتلقيها [1]، ويلجأ لها المترجم في حالة كون الجانب الثقافي للنص المصدر يتعارض مع ثقافة النص الهدف .

تعتبر تقنيات العالمين فيناي ودرابلناي من الإسهامات اللسانية النادرة لحل المشاكل العملية للترجمة، فهي تؤكد على مراعاة الجوانب اللغوية وسياق النصوص.

[1] J.P Vinay, Jean Darbelnet, **comparative stylistics of French and English . A Méthodologie for translation,** M.J Yohn Benjamin publishing company . Amsterdam 1995, p 41-46 .

رابعا: الترجمة وسيلة للتبادل الحضاري :

ان للترجمة دورا كبيرا في تسيير التنمية البشرية، كالتبادل التجاري، وإشاعة المعرفة العلمية، ونقل التكنولوجيا وغيرها من العمليات الضرورية للإستفادة من علوم الآخر وتقنياته في تحقيق التنمية الهادفة إلى ترقية حياة الإنسان، فهي إذا أداة للتنمية .

وللترجمة في هذا السياق دور ثلاثي الأبعاد: لغوي وفكري ومعرفي وهي أبعاد مترابطة في حلقة متسلسلة متكاملة يؤدي أحدها إلى الآخر في علاقة خطية دائرية . أما دور الترجمة اللغوية فلا ينحصر في إيجاد مقابلات عربية لمصطلحات علمية جديدة، بل يتعداه إلى تأثير لتطوير اللغة دلاليا وتركيبيا، وقد أفردت بحوثا ودراسات عدة لهذا الأثر، ومازال الأمر يستحق المزيد نظرا للأهمية البالغة في عملية التطور اللغوي .

وأما دورها المعرفي فيتجلى في نقل المعارف والأدبي والثقافي عند اللغات والحضارات الأخرى، وهذا يقتضي التعريف بالمفاهيم والرؤى الجديدة، وذكر دلالاتها المعاصرة بدق، وشرحها دون لبس ضمن سياقها النصي وسياقها الفكري العام .

ولا تستقي الترجمة أهميتها من كونها تأتي بمصطلحات جديدة في شتى حقول العلم والمعرفة، وإنما لكونها ناقلة للمفاهيم عن طريق شرح دلالات تلك المصطلحات وإدراج مدلولاتها في المنظومة الفكرية العربية .

فاستيعاب المصطلحات وتراكيب إصطلاحية جديدة، وإيجاد مقابلات عربية لها وشرح دلالاتها وتيسير تداولها يؤدي إلى رفد الفكر العربي بمفاهيم محدثة وممارسات جديدة كانت غائبة أو مغيبة، وتوجيهه للعمل وفق منهجية محددة، ومن ثم خلق واقع فكري وسلوكي جديد ينهض بالحاضر ويؤسس للمستقبل .[1]

لعبت الترجمة ولازالت دورا عظيما في حوار الثقافات والحضارات وتلاقحها . وهي عامل رئيس لنهوض الحضارات، فبواسطتها يطلع الناس في بلدانهم الأصلية على حياة البلدان الأخرى وتاريخها، وحضارتها وحصيلتها من المعارف والعلوم والفكر، فتنتقل هذه العلوم والمعارف من بلد إلى الآخر ومن ثقافة إلى أخرى، ويحدث حوار تتفهم من خلاله ثقافة ما ثقافة أخرى، فيحدث التبادل والإغتناء ويتم النهوض والتطور، وقد يجلب هذا التفاهم شعوب الحضارتين، فيحدث الوئام والسلام، ويبعد شر الإنعزال والتعصب والحرب .

كما تستمد حركة الترجمة أهميتها من القرآن الكريم، ذلك لأن التاس خلقوا مختلفين في الأجناس، والشعوب والقبائل، واللغات والعادات وغيرها، مصداقا لقوله تعالى : { ومن آياته خلق السماوات والأرض وإختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين }[2]، وقد صارت الشعوب بحاجة للتعارف والتفاهم والإستفادة فيما بينها، مصداقا لقوله تعالى : { يا أيها الناس أنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير }[3] .

---

[1] لبانة مشوح ، **الترجمة والتنمية الفكرية –القطاع الإداري نموذجا–** ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 27 ، العدد 3-4 ، 2001 ، ص 286 .

[2] سورة الروم، الآية 21

[3] سورة الحجرات، الآية 13

ونحن كمسلمين حاملين رسالة عالمية للناس كافة، مطالبين بنقل هذه الرسالة إلى كل الشعوب العالم، ومن هنا صارت عملية إتقان لغاتهم للتواصل معهم وسيلة ضرورية لتحقيق هذا الهدف، بالإضافة إلى ترجمة كتب الفقه والتفسير وبعض الفنون الأدبية التي تبين حقيقتنا الحضارية البعيدة كل البعد عن التعصب والإرهاب، والمتميزة بالإنفتاح والتسامح .

فالترجمة قدر مشترك بين كل الحضارات والأمم ،لا توجد أمة ولا حضارة لم تأخذ عن غيرها ،ولم تختلف الحضارة العربية عن هذا الدور ،فحفظت تراث الإنسانية كلها وزادت عليه ونقلته الى من تلاها .ومن طلب اليها أن تورث الناس إلا شيئا جديدا من ابتداعها فقد طلب اليها ما يناقض الحضارة في فضيلتها الكبرى ،وهي فضيلة السماحة والحرص على تراث بني انسان ،لقد كانت الترجمة دائما جسرا للتواصل بين الشعوب والحضارات على مر التاريخ ،تعزز التلاقي والتلاحق الحضارتين ،وترعى التقارب الثقافي بين الشعوب ،وتدحض الصدام ،وتدعم الحوار والتبادل الثقافيين بين أمم الأرض ،وتسهل التواصل بين الأمم و تفتح النوافذ على الثقافات الأخرى للشعوب الأخرى ما دامت معرفة الآخر تقود تدريجيا الى معرفة الذات عن طريق" المقارنة" و "التواصل" .كما كانت تغني اللغات وتجعلها "حية" على الدوام ،وتوفر الأرضية للبحث والابداع ليقف عليها أهل البحث العلمي والابداع قبل الشروع في أبحاثهم أو بناء نظرياتهم أو نشر ابداعاتهم [1].

- وتكتسب الترجمة مكانة هامة في مجال انتقال العلوم والفكر والأدب من مجتمع إلى آخر للأسباب التالية:

1- الترجمة محرض ثقافي يفعل فعل الخميرة الحفّازة في التفاعلات الكيماوية، إذ تقدم الأرضية المناسبة التي يمكن للمبدع والباحث والعالم أن يقف عليها ومن ثم ينطلق إلى عوالم جديدة ويبدع فيها ويبتكر ويخترع.

2- تجسر الترجمة الهوة القائمة بين الشعوب الأرفع حضارة والشعوب الأدنى حضارة.

3- الترجمة هي الوسيلة الأساسية للتعريف بالعلوم والتكنولوجيا ونقلها وتوطينها.

4- الترجمة عنصر أساسي في عملية التربية والتعليم والبحث العلمي.

5- الترجمة هي الأداة التي يمكننا عن طريقها مواكبة الحركة الثقافية والفكرية في العالم.

6- الترجمة وسيلة لإغناء اللغة وتطويرها وعصرنتها.

[1] عباس محمود عقاد، **أثر العرب في الحضارة الأوروبية**، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1998، ص 32 .

خاتمة:

نخلص إلى أن فكرة كون الترجمة، كانت حكرًا على العصر العباسي فقط، وهي فكرة ليست صحيحة بالمطلق؛ فاتصال العرب بالمؤلفات المكتوبة باللغات الفارسية أو اليونانية أو السريانية أو حتى السنسكريتية، من الصعب تحديد زمانه بضبط دقيق؛ ألن التقاليد العلميّة والنشاط الفكري في شمال الجزيرة العربية، لم يتوقف قط، وأكيد سيكون العرب قد اتصلوا بهذه الثقافة، وتعرفوا عليها، وإن لم يكن ألمر بشكل منظم ومنهجي، ولكن، على أألقل، كانوا يأخذون منه حسب الحاجات العملية، والعرب لم يكونوا معزولين؛ بل كانوا على صلة دائمة بالثقافة الساسانية، وبلغتها الفهلوية، والبعض آالخر كان على دراية بالثقافة البيزنطية. والصراع بين الدولتين العريقتين، لم يكن صراعًا عسكريًّا فقط؛ بل كان صراعًا فكريًّا، وهو ما كان صداه يصل إلى العرب بالضرورة، سواء جراء الرحلات أو التجارة. فالتجار العرب قبل إلسالم، كانوا على احتكاك بما يروج في شمالهم، من معارف وتحضر؛ إذ لم يكونوا متغيبين عن ما يروج في شمالهم من حراك ثقافي وغليان سياسي، مما يجعلنا نؤكد على أن الترجمة كانت من قبل إلسالم، هذا إذا فهمنا، طبعًا، من الترجمة محاولة نقل تراث آالخرين ولو شفويًّا، إال أن هذه الترجمة ستزداد قوة بعد إلسالم، وإن بدأت بشكل محدود ويغلب عليها طابع الفضول، كما عند خالد بن يزيد، لتتحول، شيئا فشيئا، إلى ترجمة تخضع لضوابط، أملتها القرارات السيادية في العصر ألموي؛ بتعريب الديوان؛ فكت ّاب الديوان، وخاصة المسؤولون عن الخراج، يحتاجون إلى الحد ألدنى من الحساب، مما يعني؛ الحاجة إلى الرياضيات، ومن ثم، ضرورة تعريبه. والحدّ ألدنى من معرفة التوقيت والتقويم، مما يعني؛ الحاجة إلى الفلك، ومن ثم، ضرورة ترجمة أساساته أيضًا، وهكذا في كل ما يخص تسيير دواليب إلدارة. لكن الترجمة ستعرف في العصر العباسي منعطف ًا جديدًا؛ حيث سيعمل خلفاء بني العباس، كما رأينا، إلى مأسسة عملية الترجمة، ونقل تراث ألوائل، وذلك بتشكيل بيت للحكمة، يسهر على هذه العملية، إلى درجة أن الترجمة أصبحت ظاهرة اجتماعية بامتياز، فاستحق أن يكون عصرهم عصرًا ذهبيًّا للترجمة؛ إذ ستدخل المنطقة إلسالمية في تالقح حضاري وتثاقف قل نظيره.

لقد لعبت الترجمة، بحق، دور الرابط الذي سمح للحضارة الفتية أن تأخذ الشعلة، وتستمر، وتعطي دفعًا ونفسًا جديدًا، جعل إلنسانية ترتقي إلى ألمام بإضافات جديدة.

إن استجالب علوم الأوائل إلى الحضارة الإسالمية، أدى إلى استئناف العلم لمساره وبأفق مختلف تمامًا، فمع المسلمين تم تصحيح وتدقيق منجزات القدماء، كما تم ترتيب أألفكار، وإعادة ضبط إلشكاليات؛ بل قاموا بالتشكيك في بعض المعطيات، ليس التقنية فقط؛ بل حتى النظرية منها، وبحثوا عن حلول لها، سواء في الرياضيات، أو الفلك، أو الطب، ...إلخ.

الفصل الأول : الحركة العلمية في خضم العصر العباسي الأول

132هـ -232هـ

إن فضيلة العلم ظاهرة ظهور الشمس وذلك لقوله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [1]،وأيضاً ما جاء في حديث النبي صلوات الله وسلامه عليه والعلم يزين الملوك : (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم) [2] . أكثر مما يزين الرعية، وإذا كان الملك عالماً صار العلم ملكاً [3]، عندما ظهر الإسلام كان من أهم ما دعا إليه القرآن طلب العلم والعمل على تحصيله ، وحث الحديث على طلب العلم ولو كان في الصين. كما استعان الرسول صلى الله عليه وسلم بأسرى حرب بدر على تعليم المسلمين إذا شاءوا افتداء أنفسهم [4].

وقد أعتبر الفقهاء أن من أول حقوق الأمة علي الخليفة(نشر العلوم والشريعة وتعظيم العلم وأهله ورفع مناره ومحله ... ومخالطة العلماء والأعلام الفصحاء لدين الإسلام، ومشاورتهم في موارد الأحكام ومصادر النقض والإبرام) [5] ، كانت عناية الجميع في أول الأمر مقصورة على العلوم الدينية، وما يتعلق بالقرآن وتفسيره، والحديث وروايته، واستنباط الأحكام الفقهية والفتاوى الشرعية فيما يجد من مشاكل خلقها تبدل الأيام وتقدم الفتوح وكذلك كان أول ما انتشر من العلوم في عهد الأمويين مرتبطاً بالدين ودراسة الدين، مع بعض العناية بالترجمة والعلوم الفلسفية الأخرى [6] .

أما النهضة العلمية التي نعنيها فيمكن أن تتبع ظهورها في عصر الرشيد إذ بدأ في جمع الكتب القديمة المختلفة على نطاق واسع وشيدت دار خاصة ووكل الإشراف على هذه الدار إلى علماء نابهين تقدميين . فلما جاء عصر المأمون نشطت حركة الجمع نشاطاً ملحوظاً وأرسلت البعثات إلى مختلف البلاد بحثاً عن المخطوطات القديمة ومؤلفات اليونان والفرس والهنود وزودت هذه البعثات بالأموال، وكان الخليفة فوق كل ذلك يستغل في الوصول إلى هذا الهدف كل ماله من نفوذ أو صداقة وقد نجحت هذه المحاولة إلى أبعد حد وجمعت الكتب التي زاد عددها زيادة كبيرة واطلق المأمون على الدار التي ضمت الاف الكتب المتنوعة إسم (بيت الحكمة) وقد إختار المأمون للأشراف على الدار الجديدة العالم النابغة (سهل بن هرون) [7].

وخلاصة القول كانت الثقافة العربية الإسلامية مزيجاً من عقلية عربية لها طبيعة خاصة هي نتاج بيئتها، وحياة اجتماعية خاصة يعيشها العرب في جاهليتهم ودين إسلامي أتى بتعاليم جديدة، ورسم للحياة مثلاً اعلى يخالف المثل الذي كانت ترسمه تقاليد الجاهلية، وفتح إسلامي مد سلطانه على فارس وما حولها، وعلى مستعمرات رومانية كثيرة، فأذاب ما كان للفرس من دين ومدينة وعلم وما كان للمستعمرات الرومانية من دين ومدنية وعلم في الدولة العربية الإسلامية جميعها، وكون منها مزيجاً واحداً مختلف العناصر.

---

[1] الزمر : الآية : 9.

[2] ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج1 ، ط2 تونس دار سحنون، (باب فضل العلماء والحث على طلب العلم)، (1413هـ – 1992م) ، ص: 223

[3] محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا، **الفخري في الآداب السلطانية**، بيروت، (1386هـ - 1966م) ، ص : 5-7.

[4] علي حسني الخربوطلي، **الحضارة العربية الإسلامية**، المطبعة العربية الحديثة، 1975، ص: 232

[5] حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، ج1، دار الجيل بيروت، (1411 هـ - 1991م)، ص:404

[6] علي حسني الخربوطلي ، المرجع السابق ، ص 223

[7] علي محمد راضي، **عصر الاسلام الذهبي: المأمون العباسي**، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، 1970م – ص: 68.

المبحث الأول: قيام الدولة العباسية

لم يكن قيام الدولة العباسية مجرد تغيير في نظام الحكم أو نقلا له من دولة الى أخرى أو مجرد بيعة خليفة دون آخر [1] .

فقد كانت ثورة مهمة في تاريخ الإسلام ولها من الأهمية ما للثوريين الفرنسية والروسية في تاريخ الغرب وذلك لفعالية الثورة وقدرتها على التغيير الجذري في المجتمع الإسلامي فقد تجاوز صداها حدود العصر العباسي الأول [2] .

ومن العوامل التي ساعدت رجال الدعوة العباسية على المضي قدما لتحقيق أهدافهم إن الدعوة قامت على أساس ديني وأنها أيضا نظمت تنظيما دقيقا واستغلت نار العصبية التي كانت مشتعلة بين القبائل العربية في خراسان التي كانت تمثل مهد الثورة العباسية هذا إضافة الى استفادتها من العناصر الإيرانية الساخطة على الحكم في خراسان [3] .

المطلب الأول: زعامة الثورة

نجد أن الدعوة كانت تقوم حول إمام من آل البيت مسؤول عنها ويريد دقة الحركات السياسية ويرعى التنظيمات ويوجه الدعاة ويقودهم .

وقد آلت الإمامة الى بني العباس وقدر لهم قيادة هذا التنظيم والكفاح من أجله حتى النصر [4].

واتفق بني العباس بعد أن فقد البيت العلوي رئاسته في القرن الثاني للهجرة على ابن عبد الله ابن العباس على اعتبار أنه شيخ كبير ووقور من آل البيت ،فأصبح علي بن عبد الله بن العباس في عام 5100 هـ شيخ آل محمد وقادرا على أن يتكلم بأسمهم دون أن ينازعه أحد فاغتنم هذه الفرصة الذهبية [5].

باعتبار أن الجيل الثالث من العباسيين هم الذين حققوا هذا النجاح وهو جيل على المؤسس ثم جيل ابنه محمد ثم جيل حفيده إبراهيم وولى الخلافة اثنان منهم هما أبو العباس عبد الله ابن محمد ثم أبو جعفر المنصور بن محمد . وقام بتنظيم هذه الدعوة كل من علي بن عبد الله ابن عباس وقد رأس الدعوة أكثر من عشرين سنة حتى مات عام 117 هـ وإليه يرجع الفضل في تنظيم الدعاة والنقباء في كل من العراق و خراسان وولى أمر الدعوة بعده ابنه محمد 117-125 هـ ،ومن ثم بعده إبراهيم وهو الذي وصل بالدعوة الى مرحلة الذروة [6] .

---

[1] علي عبد الرحمن العمرو، **أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول**، القاهرة ، 1978، ص 68 .

[2] حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف، **العالم الإسلامي في العصر العباسي**، دار الفكر، مدينة نصر، القاهرة، مصر، د ت، ص 11 .

[3] الشيخ أحمد كنعان، خلاصة تاريخ ابن كثير، **تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من الممالك**، القسم الأول، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ص 60.

[4] حسن أحمد محمود، أحمد إبراهيم الشريف، مرجع السابق، ص 12 .

[5] نفسه ، ص 14.

[6] نفسه ، ص 16.

وكان يساعد الأئمة طائفة من الدعاة الذين كانوا من طراز واحد وقدرات عسكرية خلافة وإخلاص للدعوة و يساعد هؤلاء الدعاة طائفة أخرى من النقباء ويأمرون بأمر الدعاة ولكل داعية اثني عشر نقيبا وهناك طبقة أقل من النقباء هم العمال وكان لكل نقيب سبعون عاملا يديرون الجهاز السري ويساعدون النقباء [1] .

مركز الدعوة العباسية :

نجد أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قد أخذ من الحميمية مقرا له ومنها أخذ يرسل الدعاة والنقباء والعمال الى الجهات الملائمة لهذه الدعوة وكان أهمها خراسان والتي تشمل كل الهضبة الإيرانية حتى بلاد ما وراء النهر وبها تجمعت كل العناصر المعارضة للأمويين والساخطة على سياستهم [2] .

وجاء اختيار الإمام محمد لخراسان كمسرح لهذه الدعوة الجديدة من الكلمة التي وجهها لدعاته حينما وجههم الى الأمصار المختلفة ،إذ قال فيها :(أما الكوفة وسوادها فشيعه ععلي وولده وأما السجدة وسوادها فعثمانية تدين بالحياد ،وأما الجزيرة فحدودية مارقة ،وأما الشام فلا يعرفون إلا آل سفيان وطاعة بني مروان وعداوة راسخة وجهل متراكم ،وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبوبكر وعمر ولكن عليكم بخراسان فإن هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ،هناك صدور سليمة وقلوب فارغة ولم تقتسمها الأهواء ولم يتوزعها الدغل وهم جند لهم إيران وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولفات ضخمخة بعد فإنني أتفاءل أن المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق [3] .

ورحل الدعاة الى خراسان وهم متنكرين في زي أصحاب المصالح المشروعة تجارا ومعلمين ومتصوفة وأصحاب الحوانيت وكانوا يدعون الناس في ستر وكتمان [4] .

سقوط دولة بني بني أمية وقيام دولة بني العباس :

كانت الأحوال السياسية منذ مطلع القرن الثاني الهجري تنبئ بحدوث انقلاب كبير في الدولة الأسلامية ،حيث أخذ الضعف يدب في أجزاء دولة بني أمية ،وانقسم بين الخلافة الأموي على نفسه فنجد أن الحرب التي وقعت بين الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك وبين يزيد بن الوليد عبد الملك وكان كل منهم تناصره قبيلة فكان الخليفة الوليد تناصره قبيلة مضر وعبد الملك تناصره القبيلة اليمنية وانتهت الحرب بمقتل الوليد عام 126 هـ [5] .

---

[1] نفسه ، ص 18.

[2] أحمد مختار العبادي، **التاريخ العباسي**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ت، ص 21-22.

[3] نفسه، ص 24.

[4] علي عبد الرحمن العمرو، المرجع السابق، ص 80 .

[5] حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، دار الجيل، بيروت، ج 2، د ت، ص 18 .

ونجد أنه على الرغم من النجاح الكبير الذي حققته الدولة الأموية سواء في فتوحاتها أو في سياسة التعريب التي قامت بها الدولة إلا أن المعارضة التي واجهتها سواء من العناصر أو الأحزاب كانت من أهم العوامل التي أدت الى سقوطها.

فبعد وفاة الإمام محمد بن علي العباسي عام 125 هـ ،الذي قد أوصى بالإمامة من بعده لإبنه ابراهيم دخل الصراع بين الأمويين والعباسيين في مرحلة جديدة من طور التخطيط الى طور العمل واتصل ابراهيم الإمام بأبو مسلم الخراساني الذي قام بالدعوة العباسية في خراسان وقضى على سلطان الأمويين فيها ويرجع اليه الفضل في قيام العباسية [1] .

وتسلم أبو مسلم الخرساني مقاليد الأمور في خرسان عام 128 هـ، وقد ساعدته الإضطرابات التي عمّت خراسان في ذك الوقت من تحقيق سياسته فاستفاد من الشقاق الذي كان بين اليمانية والمضرية فاستمال إليه السيانيين وضمهم الى صفوفه وعسكر بجنده 7 أشهر في ظاهر مرو قاعدة خراسان وتم له السيطرة على البلاد من غير خراسان وحتى يتم له ذلك عمل على التخلص من شيوخ القبائل الذين كانوا يتنازعون في السيادة .

ومن هذه الأثناء حدث أمر مهم وهو وقوع كتاب ابراهيم الإمام الذي أرسله الى أبو مسلم الخراساني يأمره فيه بقتل كل من يتكلم العربية في خراسان في يد مروان سبأ محمد آخر خلفاء بني أمية الذي من جانبه أمر بالقبض على ابراهيم الإمام وسجنه في حران وقتله وتؤيد الدعوة العباسية أبو سلمة الخلال وولي عهده أخاه أبا العباس عبد الله بن محمد وأوصاه بمواصلة المسير الى الكوفة.

ولما قتل ابراهيم سار رسوله الى الحميمية وسلم وصيته الى أبي العباس وتوجه الى الكوفة ومعه كبار بني هاشم من ولد العباس.

ومن بينهم أخوه أبو جعفر المنصور وعمه عبد الله بن علي الذي طلب منه ابن أخيه أبي العباسي أن يقاتل مروان بن محمد الذي عسكر الى الموصل وهزم ثم فر الى حلان واتخذها مقرا له ثم عبر الفرات وظل عبد الله بن عبد الله بن علي يلاحقه الى أن التقى به في معركة فاصلة في قرية بوصير بالفيوم في مصر فهجم جنود العباسين على عساكره وقتل مروان بن محمد في 26 ذي الحجة 132 هـ ،وأخذ رأسه وأرسل الى السفاح في الكوفة وانتهت بذلك الدولة الأموية وقامت دولة بني العباس على يد أبي العباس السفاح [2].

[1] نفسه ، ص 19.

[2] أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 19.

المطلب الثاني : خلافة بني العباس

نجد أن العباسيين قد نجحوا كثيرا في تجميع الفئات الساخطة على الحكم الأموي تحت قيادتهم وذلك لأنهم إستطاعوا فهم مطالب هذه الفئات ورفع الشعارات التي تتجاوب مع التطلعات فقد رفعوا كما ذكرنا سابقا (الدعوة إلى الرضا من آل محمد) لإرضاء الفئات التي كانت ترى أن الأمويين مقتصبيين للخلافة وإن آل البيت هم أحق النّاس بها ودعوا إلى العدل والمساواة كما دعوا إلى الحكم بكتاب الله وسنة رسوله لإرضاء بعض الفقهاء وغيرهم ممن كانوا يتهمون بني أمية بعدم مراعاة أحكام الدّين في سلوكهم [1]. تسلم العباسيون الخلافة سنة 132هـ – 749م، واستمروا في الحكم حتى سقوط دولتهم سنة 656هـ – 1258م، بمعنى أنهم حكموا 524 سنة وقد اتخذوا من العراق قاعدة لحكمهم ومن بغداد آلت تشييدها أبو جعفر المنصور في سنة 145هـ عاصمة لهم [2] .

الأسس التي قام عليها الحكم العباسي

1. الوراثة في الحكم :

لقد تجاوز العباسيون تماما فكرة إنتخاب الخليفة سواء في صيغتها الإسلامية العامة التي تدعو إلى إختيار أصلح المسلمين ليكون خليفة أم في صيغتها القبلية التي تدعوا إلى إختيار أصلح أفراد القبيلة أو البيت الحاكم لتولي الخلافة وقدروا على إعتماد قاعدة الوراثة في الحكم وقد حاول أبو العباس أول الخلفاء العباسيين تقديم التبرير الشرعي لهذه القاعدة التي أخصنا الله برحم رسول الله وأنبتنا من شجرته وأنزل بذلك كتابا فقال فيه (لا أسالكم عليه اجرا إلا المودة في القربى) قاصدا بذلك الى أن الله تعالى فرض على المسلمين أن يرث رسوله أقرباؤه [3] .

وقد ترتب على مسألة تبني الخلافة العباسية لمسألة الوراثة في الحكم أن أثيرت مسألة ولاية العهد حيث سار الخلفاء العباسيون على نفس الخطى التي سار عليها الأمويون من قبلهم ووقعوا في نفس أخطائهم فاتبعوا أسلوب العهد لأكثر من واحدة فقد عهد أبو العباس بالخلافة لأخيه أبي جعفر المنصور ثم الى ابن أخيه عيسى ابن موسى ،فلما آلت الخلافة الى المنصور حاد عن خطة الوراثة المباشرة فنحى ابن أخيه عيسى وعهد لابنه المهدي بالخلافة على أن يتولى عيسى من بعده ولكن المهدي قام حين تولى الخلافة بخلع عيسى وبايع ولديه الهادي ثم الرشيد وقد حاول الهادي حين تسلم الخلافة أن يخلع أخاه هارون ويبايع لإبنه جعفر ولكن وفاته حالت دون ذلك وحينما جاء هارون الى الحكم عهد لأولاده الثلاثة الأمين والمأمون والقاسم وقسم البلاد بينهم فخص الأمين بالعراق وخص المأمون بالشرق وجعل مركزه مرو والقائم بالغرب وأعطى منهم الفرصة للدفاع عن حقه مما أدى الى الفرقة وقيام الفتن والحروب الداخلية وهكذا فقد كان العصر العباسي عصر صراع مستمر في الأسرة الحاكمة بين مبدأ العهد لأكثر من واحد ورغبة كل خليفة في أن يخلفه ابنه في الحكم .

---

[1] نخبة من الباحثين العراقيين، **حضارة العراق**، ج6، بغداد، العراق، 1984، ص 15-16.

[2] نفسه ، ص 18.

[3] هشام يحي الملاح، **حضارة العراق**، ج6، بغداد، العراق، د ت، ص 16.

2. الاستناد الى الدين في الحكم :

لقد حاول الخلفاء العباسيون أن يظهروا تمسكهم بالدين واستنادهم الى أحكامه في إدارة البلاد فقد قال داوود بن علي يخاطب الناس عند البيعة لأبي العباس (لكم ذمة الله وذمة رسوله وذمة العباس ،إن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فيكم بسنة رسوله) ،لذا فقد أخذ الخلفاء العباسيون يحيطون أنفسهم بالفقهاء ويظهرون تمسكهم بالدين .

على ضوء ما تقدم فقد أقام الخلفاء العباسيون صلة مباشرة بينهم وبين الفقهاء والقضاء وأخذوا يعينون القضاة بأنفسهم ولم يتخلوا عن هذا الحق حتى نهاية الدولة العباسية كما استحدثوا منصب قاضي القضاة للاشراف على أعمال القضاة وتنظيمها كما أنشأوا قضاء المظالم وهو نوع من القضاء الاداري الذي يستهدف أنصاف المظلومين ،وخصوصا إذا كان الظالم من رجال الإدارة.

ولقد ترتب على هذه السياسة أن ارتفعت مكانة الخلفاء في نظر العامة وأخذوا ينظرون اليهم باعتبارهم حماة الدين والشريعة وأخذ الفقهاء يتنافسون للحصول على تأييد الخلفاء لمذاهبهم ووجهات نظرهم.

وقد أتخذ الخلفاء العباسيون بعض الشارات والرسوم لتأكيد تمسكهم بالدين ومتابعتهم لسياسة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فأخذ خلفاؤهم يرتدون بردة النبي في المناسبات العامة كصلاة العيدين والجمعة وإعلان الجهاد كما تلقب خلفاؤهم منذ عهد المأمون بلقب (إمام) لتأكيد الصفة الدينية لمنصب الخلافة [1] .

3. المساواة بين الأقوام ووحدة الأمة :

لقد رفعت الثورة العباسية شعار المساواة بين المسلمين في مواجهة الحكم الأموي ،ولذا فقد ازداد إشراك الموالي في الإدارة والجيش خلال العصر العباسي على أمل تحقيق وحدة الأمة من خلال تشجيع التعاون والتفاهم بين مختلف العناصر التي تتألف منها لقد أشرك العباسيون ارستقراطية الفرس في الحكم والإدارة فاتخذوا منهم الكتاب والوزراء ولكن هؤلاء استغلوا مناصبهم من أجل المحافظة على امتيازاتهم الخاصة مما سبب التذمر وأبعد جماهير الناس على تأييد الخلافة العباسية .

أما على المستوى الاقتصادي العام في الدولة فقد رافق قيام الدولة العباسية في عهدها الأول ازدهار التجارة وتوسع المدن التجارية في الشرق الإسلامي.

لقد حاولت الخلافة العباسية معالجة الوضع الإقتصادي من خلال استحداث نظام الحسبة للاشراف على الأسواق ومراقبة الخدمات في المدن ولكن ذلك لم يكن كافيا لمعالجة الموقف مما أفسح المجال للقوى المحلية والبيروقراطية الإدارية المتمثلة في الوزراء وكتاب الدواوين وأعوانهم للعمل لا من أجل ربط مصالحهم بمصالح الدولة العامة وتحقيق الاندماج بين مختلف الأقاليم وإنما من أجل استقلالية

[1] نفسه ، ص 17.

هذه الأقاليم والمنافسة مع المركز في تحقيق المزيد من المكاسب في مجال التجارة الداخلية والخارجية مما ساعد في النهاية على انفصال هذه الأقاليم عن مركز الخلافة [1] .

4. الجيش :

لقد كان الجيش هو الأداة الرئيسية التي أوصلت بني العباس الى الخلافة واعتمدوا عليها في الحكم وكان يتألف في البداية من الجند الخرساني الذي تكون من أبناء القبائل العربية الذين استوطنوا في مرو منذ الفتح العربي لهذه البلاد وبعض الموالي من الفرس الذي اعتنقوا الإسلام وأخذوا يتطلعون الى التسوية مع العرب في العطاء .

لقد كان تماسك الجيش وانضباطه في عهد الخلفاء الأوائل احد أسباب قوة الدولة العباسية ووحدتها ولكن حينما انقسم الجيش بسبب الصراع بين الأمين والمأمون على الخلافة لم يعد تكويناته القديمة لذا فقد أنشأ المأمون بعد انتصاره على أخيه الأمين وتركه للاستقرار في بغداد فرقة جديدة يستند عليها مما جعل الخرسانيين يفضون من حوله أما العرب فقد التقوا بعد مقتل الأمين حول العباس بن المأمون ضد المعتصم من ثم فقد كان من الطبيعي بالنسبة للمعتصم حينما تولى الخلافة أن ينكر بقادتهم ويتجه الى غيرهم في تأليف جيشه [2] .

لقد وجد المعتصم نفسه في وضع حرج بعد أن فقد ثقة العرب والفرس وأخذت الأخطار تهدد الدولة في الداخل والخارج على السواء ففي الداخل كانت ثورة بابك الخرمي على أشدها وفي الخارج كان البيزنطيون يهددون حدود الدولة لذا فقد المعتصم الى تكوين جيشه بصورة أساسية من الأتراك الذين جاءوا من بلاد خرسان وبلاد ما وراء النهر وكانوا لا يزالون على خلق البداوة ولم يستوعبوا بعد قيم الحضارة العربية الإسلامية ومن ثم فقد اتسمت طباعهم بالخشونة والشدة ،لذلك نفر منهم الناس وحصلت بينهم وبين أهل بغداد مصادمات ومعارك في الشوارع مما جعل المعتصم يدرك ضرورة الابتعاد عن بغداد فانتقل بهم الى سامراء سنة 221 هـ ،835 م ،حيث اتخذها عاصمة له وهكذا بدأت الخلافة تعتمد على جيش غريب في نعته وعاداته وقيمه بعد أن كان جيشها هو الأمة فلا عجب أن وقعت تحت رحمته وتوجيهاته [3] .

---

[1] نفسه ، ص 20.

[2] هشام يحي الملاح، المرجع السابق، ص 21.

[3] نفسه ، ص 22.

المبحث الثاني : انقسام العلوم في العصر العباسي إلى عقلية ونقلية

شهدت الدولة العباسية نهضة علمية في شتى ضروب المعرفة، فظهرت الكثير من العلوم، مثل علوم القرآن، والتفسير، والحديث، وهي العلوم المعروفة عندهم بالعلوم النقلية. أما في مجال العلوم العقلية فقد ازدهرت الفلسفة، والهندسة وعلم النجوم، والموسيقى، والطب، والرياضيات. أن حركة الجمع للكتب بدأت بجمع القرآن الكريم والآحاديث الشريفة في عهد الخلفاء الراشدين بالتحديد في عهد آخر هؤلاء الخلفاء. وفي عهد الأمويين جمعت المقالات وتفاسير للفقهاء النابهين وأخذت النهضة في عهدهم تزداد [1] .

وكان الاهتمام مركزاً على علوم الدينية وكان نصيب العلوم الدنيوية محدوداً ولو أن إحتكاك العرب بالروم والفرس قد خلق جواً جديداً فتغيرت بعض العادات والتقاليد العربية. وقد بدأت دراسة العلوم الدينية في ضوء المنطق وبخاصة علم الاصول وبدأ بحث ما جمع من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بحثاً دقيقاً وبخاصة من ناحية التواتر وصدق الرواية [2].

وقد كان للعلوم العقلية والنقلية منهجاً خاصاً في البحث والتأليف، وكان منهج البحث والتأليف في العلوم النقلية فإعتمد على الرواية وصحة السند فالمؤلفون في التفسير في ذلك العصر يعتمدون على نقل ما روى من تفسير الآيات عن الصحابة والتابعين وكذلك الشأن في الحديث [3].

كان لإتساع رقعة الدولة العباسية ووفرة ثروتها ورواج تجارتها أثر كبير في خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل حتى أصبح كثير من الناس طلاباً للعلم وأنصاراً للأدب، كما طاف فريق كبيرمنهم البلاد سعياً إلى موارد العلم [4] .

ونجد في تاريخ الثقافة الإسلامية أن السواد الأعظم من الذين إشتغلوا بالعلم كانوا من الموالي خاصة الفرس وكانت اللغة العربية هي الوسيلة الوحيدة للتفاهم بين المسلمين إلى أن أزال المغول الخلافة العباسية من بغداد في القرن السابع الهجري. في الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو أعجمي في لغته[5] . العلوم الإسلامية هي هذه الطائفة من العلوم التي نبعت من طبيعة الحياة الإسلامية وهي التي تتعلق بالدين ولغة القرآن ويطلق عليها بعض المصنفين (العلوم النقلية) وكان الباحث في العلوم النقلية ليس له إلا أن ينقل ويروى، فالمفسر والمحدث ليس لهما إلا أن يرويا ما تلقياه عن طائفة عن أخرى مرفوعة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وليس للغوي إلا أن ينقل اللغة من العرب، أو عمن سمع منهم مباشرة أو بواسطة [6] .

---

[1] علي محمد راضي، المرجع السابق، ص 68

[2] نفسه ، ص 69.

[3] احمد امين، **ضحى الاسلام**، ج2 ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة 1964، ص: 16

[4] محمد جمال الدين سرور ، **تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق**، الطبعة الثانية، القاهرة 1967، ص: 201

[5] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 262

[6] احمد شلبي ، **موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية** ، ج3، الطبعة السادسة ، القاهرة 1978 ص: 237

ولكن تسمية هذه العلوم بالعلوم النقلية في العصر العباسي لم تعد تسمية دقيقة، وذلك لأن علماء هذا العصر إستباحوا لأنفسهم أن يعتمدوا على العقل والمنطق في التدليل على ما يذهبون إليه. فأصبح المحدث يحكم على هذا الحديث أو ذاك بأنه موضوع لأنه يخالف العقل والمنطق، وأصبح يفتي في مسألة فقهية لم يرد فيها نص صريح بإجتهاده وتفكيره [1] .

وفي العصر العباسي الأول إشتغل الناس بالعلوم الدينية، وظهر المتكلمون، وتكلم الناس في مسألة خلق القرآن[2]، والعلوم الإسلامية تدين للعصر العباسي بما وصلت إليه من دقة وتنظيم مما نالته من تطور في هذه الفترة من التاريخ [3] .

كان هناك نوعان من الدراسة، إشتغل بها المسلمون: دراسة دينية حول القرآن والحديث ودراسة دنيوية حول الطب والفلسفة والكيمياء والمنطق والرياضيات والتاريخ والجغرافيا. وقد عبر ابن خلدون عن هذين النوعين تعبيراً صادقاً، فقال أن العلوم صنفان، صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه. الأول يشمل العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وتشمل العلوم النقلية، علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والبيان، والآدب[4] .

المطلب الأول: العلوم النقلية

أ. علم القراءات :

ومن العلوم التي إشتغل بها العباسيون علم القراءات، ويعتبر المرحلة الأولى لتفسير القرآن. وتتركز النواة التي بدأ بها هذا العلم في القرآن نفسه وفي نصوصه نفسها، وبعبارة أخرى في قراءته ، ويرجع السبب في ظهور بعض هذه القراءات إلى خاصية الخط العربي، إذ أن الرسم الواحد للكلمة الواحدة يقرأ بأشكال مختلفة تبعاً للنقط فوق الحروف أو تحتها [5]، ومن أشهر أصحاب القراءات في العصر العباسي الأول يحي بن الحارث الذماري المتوفى سنة 145هـ - 762م، وحمزة بن حبيب الزيات المتوفي سنة 156هـ - 772م ،في خلافة أبي جعفر المنصور، وأبو عبد الرحمن المقرئ المتوفى سنة 213هـ - 828م، وخلف إبن هشام البزار المتوفي سنة 229 هـ - 843م [6].

ب. التفسير:

أتجه المفسرون في تفسير القرآن اتجاهين يعرف أولهما باسم التفسير بالمأثور، وهو ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم

---

[1] احمد شلبي المرجع السابق ، ج3 ، ص: 237

[2] حسن ابراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج2 ، ص: 265

[3] احمد شلبي، المرجع السابق، ج3 ، ص: 247

[4] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 264

[5] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 1 324

[6] ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، **آتاب المعارف**، دار الكتب العلمية، (1407هـ-1987) ، ص: 294-295

وكبار الصحابة، ويعرف ثانيهم باسم التفسير بالرأي، وهو ما كان يعتمد على العقل أكثر من إعتماده على النقل. ومن أشهر المفسرين عبد الله بن العباس، إبن جريح [1].

ج. الحديث:

ومن أهم مصادر التشريع الإسلامي (الحديث) وهو ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير لشئ رآه، ويأتي في الأهمية بعد القرآن الكريم. وقد جمع البخاري نحو 7257 حديثاً بما فيها الأحاديث المكرره ، فإذا حذفنا المكرر منها أصبح عددها نحو اربعة آلاف واختارها البخاري من ثلاثمائة ألف حديث ولم يثق ابا حنيفة الا بستة عشر حديثاً.

وفي القرن الثاني الهجري، أخذ العرب يدونون الأحاديث النبوية واتاحوا الفرصة لظهور طائفة من أئمة الحديث الذين ظهروا في العصر العباسي واشتهر منهم الإمام مالك والإمامان محمد بن اسماعيل البخاري، مسلم بن الحجاج القشيري [2].

د. الفقه :

الفقه معروف هو احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهى منتقاة من الكتاب والسنة ولمعرفة الفقه كان لابد من محو الامية من العرب وذلك بممارسة الكتابة. وانقسم الفقه إلى طريقتين طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز.

إن اختلاف ائمة الفقه في بعض النصوص الفقهية واستنباط الأحكام منها أدى إلى تعدد المذاهب واشتهر من هذه المذاهب اربعة هى مذهب مالك امام اهل الحجاز، مذهب أبي حنيفة إمام أهل العراق، ومذهب الشافعي وكان يسير اولاً على طريقة اهل الحجاز، ثم جعل مذهبه وسطاً بين الطريقتين، ومذهب احمد بن حنبل وكان من كبار المحدثين. واختص هو وأصحابه بالمذهب الحنبلي الذي يبعد عن الإجتهاد مما ادى إلى قلة عدد المتمسكين بمذهبه[3] .

هـ. علم الكلام:

ومن العلوم التي اشتغل بها العباسيون علم الكلام، ويقصد به الأقوال التي كانت تصاغ على نمط منطقي أو جدلي، وعلى الأخص المعتقدات، كما يسمى المشتغلون بهذا العلم (المتكلمين). وكان يطلق لفظ المتكلمين أول الأمر على من يشتغلون بالعقائد

[1] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 266 - 267

[2] حسن ابراهيم حسن، ص 330

[3] عبد الرحمن بن خلدون، **آتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر**، ج1، المكتبة التجارية الكبرى،(ب . ت)، ص: 448 – 445

الدينية، غير انه اصبح يطلق على من يخالفون المعتزلة ويتبعون اهل السنة والجماعة[1] ، وكان لتعاليم المعتزلة اثر كبير في النهضه الثقافية في العصر العباسي الاول ولا سيما في مسألة القرآن. ومن ابرز متكلمي المعتزلة ابو الهزيل العلاف [2].

و. الأدب :

شهد الأدب نقله قوية ايام العباسيين الذين قربوا اليهم الفرس بصورة خاصة اعترافاً بفضلهم في قيام دولتهم. فكان منهم الوزراء والقادة والولاة كما كان منهم الشعراء والادباء الذين انتهجوا في شعرهم مناهج جديدة في معاني الشعر وموضوعاته وأساليبه وكان أشهر هؤلاء الشعراء ابو فراس الذي نظم في الخمر والغزل والصيد.

ومما لا شك فيه ان هناك اسباباً ساعدت على ارتقاء الشعر في العصر العباسي، وظهور مفاهيم جديدة فيه ومن هذه الاسباب اختلاف صور الحياة في العصر العباسي واختلاف قيم الاشياء عما كانت عليه من قبل في العصور السابقة وكذلك احتكاك العرب بالفرس وثقافتهم عامة والشعر بشكل خاص، ومن هذه الاسباب ايضاً أثر الثقافة الأجنبية عامة والفارسية خاصة في الشعر والادب العباسي، وانتشار الشعوب التي قامت على الحط من شأن العرب ونقد أشعارهم ومنها كذلك تشجيع الخلفاء والامراء والولاة والقادة والوزراء للشعراء هذا فضل عما كان من خلاف بين الفرق كالشيعة والمعتزلة والخوارج، واستعانة كل فرقة بعدد من الشعراء للدفاع عن مبادئها ومحاولة الانتصار على خصومها [3] ، ولم يكن النثر اقل شأناً وثراءً من الشعر في العصر العباسي. فظهر في هذا المجال عبد الله بن المقفع الذي نقل كثيراً من كتب الفهلوية الى العربية ومنها كتاب كليلة ودمنة، وعبد الحميد الكاتب الذي يعتبر شيخ صناعة الكتابة، وابن قتيبة الذي نادى بالتجديد في الكتابة، الجاحظ البصري الذي اتصف بحرية الفكر وغيرهم كثيرون .

ز. علم النحو :

برزت الحاجة الى علم النحو بعد الفتوحات الكبرى التي حققها العرب، واختلاطهم بغيرهم من الامم ادى الى فساد اللسان العربي فاندفع عدد من الحريصين على اللغة وسلامتها الى وضع قواعد واسس اللغة العربية حيث يذكر الزبيدي ذلك بقوله : (... فتفطن لذلك من نافر بطباعة سؤ افهام الناطقين من دخلاء الامم بغير المتعارف من كلام العرب. فعظم الاشتقاق من قشو

---

[1] محمد بن اسحق النديم، **الفهرست**، بيروت دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1999 ، ص: 263 ، يقال له: النديم وابن النديم، وقد رجَّحت إطلاق النديم في هذا البحث، دون أن يسبق بلفظة ابن، متابعًا فيه من رجَّح ذلك، وممن رجح النديم على ابن النديم: لطف الله قاري، في بحث له نشرَه في مجلة: الفيصل، بعنوان: ترجيح لقب النديم سبق إليه باحثون إيرانيون - الفيصل ع 180 (جمادى الآخرة 1412هـ/ ديسمبر 1991 - يناير 1992م) - ص: 121، وأكَّد على ذلك في بحث عنوانه: النديم الورَّاق مؤرخ العلوم، من كتابه: إضاءة زوايا جديدة للتقنية العربية الإسلامية - الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1416هـ/ 1996م - ص: 217 - 258، وهو بحث سبق للمؤلف أن قدَّمه للمؤتمر السنوي الثالث عشر لتاريخ العلوم عند العرب، المنعقد في معهد تاريخ العلوم بجامعة حلب سنة 1409هـ/ 1989م،

[2] حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص:2 337

[3] بشير رمضان التليسي، د. جمال هاشم الذويب، **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار المدار الإسلامي، 2002م، ص: 4- 275

وغلبته، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم، إلى إن سببوا الأسباب في تقيدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه) [1] ، وقد تصدى لتقويم اللغة العربية ووضع منهاج لها بعض العلماء العرب كان اولهم ابوالاسود ظالم بن عمرو الدؤلي ثم تلميذه نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز فوضعوا للنحو أبوابا وأصلوا له أصولاً.

وظهر في العصر العباسي الخليل ابن احمد الفراهيدي زمن الخليفة هارون الرشيد فهذب اللغة، واخذ عنه سيبويه فأكمل تفاريعها ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار قدوة لمن كتب في النحو من بعده ، ثم برز عدد من العلماء المهتمين بعلم النحو منهم أبو علي الفارسي، وأبو القاسم الزجاج اللذان وضعا مختصرات للمتعلمين وعلى إن علم النحو لم يتوقف حيث تركه أبو الأسود الدؤلي أو الخليل بن أحمد ولكن استمرت جهود العلماء غيرة على اللغة ، ثم تتابعت طبقات النحويين بين مؤلف مطول، ومتوسط، ومختصر كل تلك الجهود كانت تهدف للمحافظة على سلامة اللغة دون لحن، لان ذلك يؤثر في القراءة لاسيما في كتاب الله العزيز[2].

[1] نفسه ، ص 240 .

[2] بشير رمضان التليسي، د. جمال هاشم ، المرجع السابق ، ص: 276

المطلب الثاني : العلوم العقلية

أ. التاريخ :

أن مصادر التاريخ الاسلامي كثيرة متنوعة، فمن أهم المصادر التاريخية المصادر النبوية وهي القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والشعر الذي أثر عن العصر النبوي، مثل شعر حسان بن ثابت الذي نظم القصائد الكثيرة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهجاء أعدائه، إلا أن كثيراً من الشعر المنسوب اليه قد دس عليه [1]، أما العلوم العقلية كالطبيعة والرياضة والطب اكثر ما تعتمد على معقولية الحقائق والاجتهاد، إما عن طريق المنطق وإما عن طريق تجربة الحقائق وبحثها علمياً، فإذا ذكرت حقيقة فقلما يعنون بقائلها، ولكنهم يعنون بوضعها تحت قواعد المنطق، وهل من قوانينه ما يؤيدها أو ما يناقضها، وكذلك قد يحثونها علمياً ليصلوا الى نتيجتها فيحكموا عليها بالخطأ أو الصواب [2].

ب. الترجمة :

قامت حركة الترجمة في الدولة العباسية بمساعدة الفرس، ونشأ من ذلك اختلاط العنصرين العربي والفارسي، اتجهت ميول الخلفاء العباسيين إلى معرفة علوم الفرس واليونان، فعنى أبو جعفر المنصور بترجمة الكتب ونقل له حنين بن اسحق بعض كتب ابقراط وجالينوس في الطب ، وقد زادت العناية بترجمة الكتب في عهد هارون الرشيد بعد أن وقع في حوزته بعض المدن الرومية الكبرى، فأمر بترجمة ما عثر عليه المسلمون من كتب اليونان ، كما نشطت حركة الترجمة بفضل تشجيع البرامكة للمترجمين وإدرار الأرزاق عليهم.

وفي عهد المأمون قويت حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية، خاصة من اليونانية والفارسية الى العربية، فأرسل البعوث إلى القسطنطينية لإحضار المصنفات الفريدة في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب[3] .

ج. علم الخرائط :

وأول من قام برسم الخرائط المصريون القدماء، على الرقم من قلة معلوماتنا عن خرائطهم، فان النصوص التاريخية وبعض النقوش،على جدران المعابد، تدل على أن المصريين القدماء رسموا خرائط لأرض مصر وقد اخذ اليونان خرائط المصريين القدماء وتوسعوا فيها واضافوا إليها، وأيضا الرومان أضافوا إليها فناً جديداً وساعدهم على ذلك اتساع معارفهم، بسبب تكوين امبراطورية شاسعة الارجاء في عهد الاسكندر الاكبر والبطالمة والرومان، فقد رسموا خرائط على اساس تقسيمها الى مناطق حرارية، موزعة بين خطوط وهمية متساوية في الطول مختلفة في العرض، حتى يتمكنوا من ضبط مواقع البلاد .

---

[1] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص:289

[2] جمال الدين سرور ، المرجع السابق، ص 201

[3] بن النديم، المصدر السابق، ص: 304 - 303

هذا التفوق في رسم الخرائط عند المسلمين لم يظهر إلا بعد أن توطدت أقدام المسلمين في البلاد التي كانت تتمتع بحضارات سابقة، وذلك في العصر العباسي الأول، حيث ترجمت كتب اليونان وغيرها. بل أن الخليفة العباسي المأمون امر برسم صورة يظهر فيها العالم بأجوائه ونجومه وقاراته وبحاره ومواطن سكناه وصحاريه ومدنه. بحيث أن الخريطة التي عرفت باسم الصورة المأمونية، واجتمع على صنعتها عدد من جغرافي عصره [1].

د. علم الجغرافيا :

انتشرت بين العرب قبل الاسلام كثير من المعارف الجغرافية وخاصة فيما يتعلق بالانواء وعلم النجوم لمعرفة الجهات والمسالك والطرق الصحراوية وانتاج الممالك المجاورة، ومدى أهميتها في التبادل التجاري وبخاصة ان العرب كانوا يقومون بدور الوسيط التجاري. فكان لقريش نفسها في كل عام رحلتان رحلة في الشتاء، ورحلة في الصيف، ورد ذكرهما في قوله تعالى:{ لإيلاف قريش ايلا فهم رحلة الشتاء والصيف}[2] .

عرف المسلمون علم الجغرافيا وتنبهوا لاهميته بين العلوم نظراً للحاجة اليه في الحل والترحال، وفي العبادة والحج وطلب العلم، وفي الزراعة والتجارة وفي ذلك يقول الجغرافي المقدسي .. (إن الجغرافيا علم لابد منه للتاجر والمسافر،والملوك والكبراء، والقضاة والفقهاء). وقد شجعت وحدة الدولة الإسلامية، وما وفره الحكم في الدولة الاسلامية من استقرار فضلاً عن أن الاسلام كان يحث المسلمين على السفر والترحال في طلب العلم ونشر الدين. لذا قام المسلمون بنشاط واسع، فجابوا البلاد شرقاً وغرباً واقاموا علاقات تجارية مع بلدان لم يسمع الأوربيون عنها في العصر الوسيط، أو شكوا في وجودها. وكان المسلمون سباقين الى تصحيح كثير من المعلومات الجغرافية التي توصل إليها علماء الجغرافيا قبلهم من الاغريق أو غيرهم [3].

هـ. علم النجوم والرياضيات والكيمياء :

ولم يكن لبعض علوم العجم كالنجوم والكيمياء والرياضيات والفلسفة والطب، مكان ملحوظ بين العلوم التي اشتغل بها المسلمون في العصر العباسي الاول ولكنها ازدهرت بعد ذلك، لان همتهم كانت مقصورة في الغالب على نقل الكتب.

كانت هناك طائفة من المسلمين اخذوا يشتغلون بهذه العلوم كجابر بن حيان الذي اشتهر في الكيمياء، وعمران بن الوضاح وشهاب بن كثير في علم الحساب، جعفر بن البلخي في علم النجوم[4] .

---

[1] عبد المنعم ماجد، **تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى**، الطبعة الثانية، مكتبة الانجلو المصرية ،1973، ص 219 - 211

[2] قريش، الآية 2

[3] بشير رمضان التليسي، جمال هاشم الذويب، المرجع السابق، ص: 283

[4] حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج2، ص: 289

و. علم الفلسفة :

وهي كلمة يونانية الاصل معناها الحكمة، وفيلسوف معناها محب الحكمة، وقد كانت الفلسفة قديماً وأيام العرب لا يقصد بها دراسات الحكمة وحدها ، وهذا العلم لم يعرفه العرب إلا في عصر متأخر في الإسلام، في العصر العباسي الأول، وليس قبل ذلك فهو لم يظهر الا بقيام حركة الترجمة ولكن العرب اضافوا إلى ما ترجم شروحاً وافية[1] ، فقد أثار إدخال الفلسفة في الدين عداوة بعض رجال الدين مثل الغزالي الذي يعتبر واضع أسس السنة، ولكن الفلاسفة انبروا للدفاع عن أنفسهم، ولاسيما ابن رشد، الذي ألف كتاب (تهافت التهافت) وشبه الغزالي بالجاهل الشرير.

ز. علم الطب:

هو العلم الذي يدل على نهضة العرب في العصور الوسطى مع أن معرفة العرب به قبل الاسلام لم تتعدَ بعض الأفراد لحاجة الناس إليهم في شئون صحتهم، وذلك على عكس الشعوب التي فتحها العرب، وكانت على معرفة جيدة بهذا العلم وقد نهض هذا العلم على ايدي المصريين القدماء من قبل، ولدينا برديات عديدة محفوظة في متاحف لندن وبرلين ونيويورك تدل على ان المصريين القدماء كانوا على علم بأصناف الطب وما يلحق البشر من أمراض، وأنهم ألفوا فيه الكتب، وقد اخذ اليونان علم المصريين بالطب واضافوا اليه معلومات اخرى، وان كان الأساس في علمهم به مستمداً من المصريين [2].

هذا العلم عرفه المسلمين بالنقل في اول الامر وذلك في العصر العباسي حيث كان اغلب النقلة من الذين تعلموا في مدرسة جند نيسابور بفارس، التي كانت باقية الى ذلك الوقت لم يأخذ العرب الطب عن الفرس، وإنما أخذوه من كتب اليونان مباشرة، وهي التي كانت تدرس في هذه المدرسة أو في غيرها، ومن أشهر ناقلي كتب الطب يوحنا بن مأسويه وحنين بن اسحق وغيرهم .

ح. علم الصيدلة :

أسهم العلماء المسلمون بنصيب كبير في علم الصيدلة، ولدينا كتب متعددة تبين جهود العلماء المسلمين وقد كانت قبل تحضيرها توجد دكاكين العشابين (العطارين) التي تحتوي على نباتات ضرورية لصنع العقار اذ كانت اغلب العقاقير تحضر من الاعشاب الطبيعية ولقد تم علم الصيدلة بفضل جهود عدد من العلماء المسلمين يمكن ان نختار ابرزهم على سبيل الاستدلال.

والخلاصة فيما قدمه ان احمد إبراهيم بن خالد (ابن الجزار) لعلم الصيدلة انه كان يعرف اسم النبات باللغات العربية واليونانية، وبالفارسية، والسريانية، واللاتينية، ومن ثم يبين قوة الدواء من بارد أو حار اي درجة الحرارة والبرودة، من يابس أو رطب وبعد ذلك يتبعها بالتعريف العلمي وكان يصف الدواء بشكل مفصل انواعه والردئ منه والجيد، كما يتطرف الى الخصائص العلاجية

[1] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، : ص 242 - 211

[2] نفسه

والحالات التي يؤخذ فيها، والدواء حسب التنظيم الصيدلي المتبع كالاشربة، حبوب وغيرها ثم يذكر طرق تحضير هذه الأدوية، وذكر الجرعات [1].

المطلب الثالث : حركة الترجمة في الحضارة الإسلامية

سارت تعاليم الإسلام إلى جزءٍ كبير من العالم المعروف خلال القرنين السابع والثامن للميلاد (الأول والثاني من الهجرة)، واستطاعت قيم الإسلام وجهود الأسلاف أن تؤسس – في أقل من قرن من الزمان – أكبر وأقوى دولةٍ عرَفَتْها القرون الوسطى.

دخل المسلمون شاطئ الفرات عام (633م – 12 هـ)، وانتصروا على الروم عام (634م – 13هـ)، ودخلوا دمشق عام 634م – 13هـ، وحقَّقوا نصر اليرموك الرائع عام (636م – 15هـ)، وانتصروا على الفرس في القادسية عام (637م – 16هـ)، وخضعت لهم سوريا عام (638م – 17هـ)، وجميع فارس عام (642م – 22هـ)، ومصر عام (639 – 642م/ 18 – 22هـ)، وأذربيجان عام (642م – 22هـ)، وأفغانستان عام (661م – 41هـ)، وتونس عام (674 – 55هـ)، وبخارَى عام (674م 55هـ)، والسند عام (708م – 90هـ)، ومراكش عام (708م – 90هـ)، وإسبانيا عام (711 – 712م/ 93 – 94هـ)، وسمرقند عام (712م – 94)، وفتحوا خلال القرنين الثامن والتاسع الميلاديين معظمَ جُزر البحر المتوسط، وأصبحوا سادة الدنيا بلا منازع.[2] وقد امتدَّت بقعة الإسلام من الصين شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا.

وكما نرى فإنه من خلال هذه الحركة العالَمية الإسلامية التي لم يشهد العالم مثلَها – في هذا الوقت الوجيز – وصل الإسلام إلى العالم القديم كلِّه تقريبًا، ومعروف أن الإسلام ليس دينًا وحسب، بل هو دين تدخُلُ الحضارة الإنسانية في نسيجِ تعاليمه، ويفتح للناس ميادين المعرفة والعقل على امتداد الكون والنفس والحياة.

ولم يكُ ممكنًا أن يقف المسلمون عند حدود الفتوحات الجغرافية، بل كان لا بد للعرب والمسلمين أن يستوعبوا خلاصة الحضارات الأخرى التي سبقَتْهم، وأن يعرضوها على دينهم وطبيعتهم الحضارية، وإلا كانت مجرد فتوحات دنيا لا فتوحات دين، وبالتالي يقررون كيف يمكن أن يأخذوا من هذه الحضارات ما يتلاءم مع حضارتهم، ويرفضوا ما سوى ذلك؛ ولهذا عمدوا إلى تجنيد جيوش من المترجمين؛ لينقلوا إليها العلوم والنظم والأفكار السابقة، في ظل مناخهم الإسلامي وأنساق حياته، وبالتالي ينقلونها دون تأثر بمناخها وطبيعة حياتها وسلبياتها.

وبما أن أبرز لغات الحضارة القديمة كانت اليونانية والفارسية والسريانية والهندية، فقد ركزوا على هذه اللغات ، وقد كانت السريانية – في الغالب – مجرد لغة وسيطة بين العربية واللغات الثلاث الأخرى؛ لتيسير نقل علومها ومعارفها الحضارية.

---

[1] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، : ص 299 – 241

[2] أكرم ضياء العمري: **السيرة الصحيحة: محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية** – 3ج – ط2 – الرياض: مكتبة العبيكان، 1417هـ/ 1996م – 1: 130 – 131.

وعهد إلى المترجمين في القرنين الثاني والثالث للهجرة (العصر العباسي)، بنقل أهم المؤلَّفات اليونانية إلى العربية، والتوفيق بينها وبين متطلبات الحضارة الفكرية الإسلامية؛ كالطب والفلك والجغرافيا والكيمياء والفيزياء .[1]

وقد أصبح كتاب (القانون في الطب) لابن سينا عمدةَ الطب، وأساسًا لتقسيمه في الغرب، وقد بقي طوال خمسمائة سنة النصَّ المعتمد عليه في كليات الطب الأوروبية.

أما في الرياضيات: فأوروبا مَدِينةٌ لأشهر أعلامه من المسلمين، وهو الخوارزمي، مبتكر علم الجبر، وناشر الأرقام الهندسية التي تدعى في الغرب بالأرقام العربية حتى اليوم.

أمَّا في علم الطبيعيات: فقد دُرِّس كتاب العلامة ابن الهيثم المعَنْون (كتاب المناظر)، في مدارس أوروبا حتى القرن السابع عشر، وكذلك في علمي الكيمياء والفيزياء ومعهما الفلك.

إن أهم ما أدرَكَتْه العصور الوسطى في العلوم الطبيعية هي: مبادئ البحث التجريبي، فبَيْنَ الطرق العديدة التي اتبعَتْها هذه العلوم؛ كالمراقبة والقياس والعد والاستقراء والاستدلال والتجرِبة، احتلَّت التجرِبة مكانًا رفيعًا ، وكان المسلمون السبَّاقين؛ إذ وضعوا أسسها قرب نهاية القرن الخامس الهجري .

وقد تكاثر الكيماويون العرب بشكل واضح، حتى إن المتطبِّب عبداللطيف البغدادي يذكر أن معاصريه من الكيميائين كانوا يعرفون ثلاثمائة حالة للتمويه.

يقول (درابر) "Draper": "إن المسلمين هم الذين أنشؤوا في العلوم العملية – علم الكيمياء – وكشفوا بعض أجزائها المهمة، ومِن اختراعاتهم (ماء الفضة) حامض النتريك، وزيت الزاج (حامض الكبريتيك)، وماء الذهب (حامض النيتروهيدروكلوريك)، وحجر جهنم (نترات الفضة)، والسليماني (كلوريد الزئبق)، والراسب الأحمر (أوكسيد الزئبق)، ومِلح البارود (كربونات البوتاسيوم)، والزاج الأخضر (كبريتات الحديد).

وهم الذين اكتشفوا الكحول، والبوتاس، وروح النشادر، والزرنيخ، والإثمد، والقلويات، وهم الذين استَخدَموا ذلك العلم في المعالجات الطبية وصنع العقاقير، فكانوا أوَّلَ مَن نشر تركيب الأدوية والمستحضرات المعدِنية وتنقية المعادن، وغير ذلك من المركَّبات والمكتشفات التي تقوم عليها معظم المصنوعات الحديثة"[2] .

وكان من أبرز عباقرة المسلمين في الكيمياء الأمير خالد بن يزيد (الأموي)، المتوفَّى سنة 90هـ، والإمام جعفر الصادق، والرازي أبو بكر محمد بن زكريا، وجابر بن حيان (الكوفي)، وأبو المنصور الموفق بن علي، المتوفى في القرن الرابع الهجري، والمجريطي

[1] رحاب خضر عكاوي: **موسوعة عباقرة الإسلام في الفيزياء والكيمياء والرياضيات**، (4/ 5، 6)، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1994م، ص 8.

[2] نفسه، ص 11.

مسلمة بن أحمد، والطغرائي أبو إسماعيل مؤيد الأصبهاني، والعراقي السماوي محمد بن أحمد، والجلدكي علي بن أحمد عز الدين، المتوفى في القرن الثامن الهجري [1].

والمطَّلع على كتاب ابن أبي أصيبعة (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) يعجب من كثرة أسماء مترجمين وأطباء لم يسمع بهم من قبلُ.

وهناك مجموعةٌ مِن النقلة نستطيع أن نتعرَّف عليهم من قائمة ابن أبي أُصَيْبعة، وردَتْ في الباب التاسع من طبقاته، بعنوان (طبقات الأطباء النقلة)؛ الذين نقلوا كتب الطب وغيرها من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي.

والقائمة تبدأ من أيام الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، الذي تولى الخلافة عام (136هـ - 753م)، الذي يعدُّ عهده بداية النقل المنهجي لعلوم اليونان والسريان والفرس والهنود [2] ، ولهذه القائمة دلالتها على الأهمية التي احتلَّها هؤلاء الناقلون المؤرَّخ لهم.

❋ **أهمية حركة الترجمة:**

والحق أن حركة الترجمة كانت بداية حركةٍ علمية نشطة، فقد حفَّزت المسلمين إلى الإفادة مما اطَّلعوا عليه من كتب التشريحِ العديدة، مما تُرجم لأبقراط وجالينيوس وغيرهما؛ لأن الدين الإسلامي لا يبيح المثلة بالإنسان حيًّا أو ميتًا؛ فكانت هذه المترجمات خير ما وضح لهم مبهمات هذا الموضوع، كما أخذت مصنفاتهم الطبية تعكس جوانب عديدة من الطب اليوناني [3].

كما أن الترجمةَ قد دفعت إلى ظهور حركة تأليف في بعض المعارف؛ فقد بدأ المترجِمون يضعون الرسائل والكتب ليستعملها الطلاب على شكل ملخَّصات في شتى أنواع العلوم، وبخاصة الطبية منها، ثم ما لبثت هذه الحركة أن توسَّعت بين العلماء العرب الذين أخذوا يكتبون على أسس متينة من المعرفة، فقد ظهرت في الطب والفقه والتاريخ واللغة مثلًا كتب كثيرة، وبعضها بعدة أجزاء؛ بحيث كان بعضها أشبه بالموسوعات، كما كان المؤلف الواحد يصنف عشرات الكتب في مختلف المواضيع مدللًا على سَعة معرفته بمختلف العلوم [4] .

وكما يتبيَّن لنا؛ فإن المسلمين لم يتعامَلوا مع هذه المترجَمات بطريقة حَرْفية جامدة، بل سرعان ما قاموا بتفعيلها في إطار نظامِهم الثقافي والتعليمي، يقول أحمد علي الملا في كتابه (أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية):

---

[1] أحمد فريد رفاعي: **عصر المأمون، الفصل العاشر**، ص (417) وما بعدها، وأيضًا ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الباب التاسع نقلًا عن عبدالفتاح غنيمة، (4/ 19 - 21).

[2] أحمد شحلان: **دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية** - ص: 257 - 284. في: حلقة وصل بين الشرق والغرب - أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون - الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1406هـ/ 1985م.

[3] سالم جبارة: **الترجمة والنقل في العصر العباسي** - الموقف الأدبي ع 202 و203 (2و3/1988م) - ص: 142 - 157.

[4] أسعد الحكيم: **حقيقة الترجمة** - الموقف الأدبي ع 202 - 203 (2 و3/1988م) - ص: 55.

(إذا كان المسلمون قد نقلوا وترجَموا كثيرًا من التراث العلمي للأمم الأخرى؛ كاليونان والفرس، فإنهم لم يلبثوا أن اعتَمَدوا على أنفسهم وعلى المناهج العلمية التي ابتكروها؛ فافتَتَحوا المدارس والمعاهد والجامعات، وألَّفوا الكتب والمراجع والأبحاث، وأقاموا المراصد والمشافي والمختبرات، يدفعهم إلى ذلك نشاط وثَّاب، وهمَّة عالية لَفَتَت الأنظار إليهم، وانتزعت الإعجاب بهم، حتى لهج أعداؤهم بالاعتراف لهم بالفضل والسبق).

ولم يلبث المسلمون أن انطلقوا إلى عالم الإبداع في كل الفنون والعلوم، ونجحوا في إقامة حضارة أصبحت الحضارة الأعظم خلال عشرة قرون، وإلى هذه النقلة الحضارية يشير ياسين خليل في كتابه (التراث العلمي العربي)، فيقول: (إن مكانة التراث العلمي العربي تتعيَّن باتجاهين [1]:

- ✓ **الأول**: بما حقَّقه العرب مِن تراجم ونقل من لغات أمم أخرى إلى اللغة العربية، فحفِظوا بذلك تراثًا ضخمًا من العلم؛ إذ لولا ذلك لضاعت معارف كثيرة، ولبَدَأ الإنسان من جديد في طلب المعرفة والعلم، ولتأخَّر رَكْب الحضارة الإنسانية عدة قرون.
- ✓ **الثاني**: بما أضافه العرب وابتكروه من وسائل ومعارف وعلوم جديدة لم تكن معروفة من قبل، وما قاموا بتطويره في الاتجاه العلمي الصحيح، فأنجزوا بذلك الشيء الكثيرَ في جميع حقولِ المعرفة الإنسانية والرياضية والطبيعية والهندسية والتكنولوجية وغيرها؛ مما كان له أبلغ الأثر في النهضة الأوروبية، وبالتالي ترجمت مؤلَّفات العلماء العرب إلى اللغة اللاتينية، وتعرَّف عليها المفكِّرون والعلماء، فأفادوا منها في تطوير العلم والانتقال به إلى مرحلة تطويرية جديدة.

وكان لهذا النشاط الإسلامي الإبداعي الدؤوب – الذي امتصَّ خلاصة الحضارات السابقة – أثرُه في بروز العصر الذَّهبي للحضارة الإسلامية في الفترة بين سنة 82 وسنة 699 هجرية (700 – 1300 ميلادية)، ولهذا سُمِّيت هذه القرون الستة بعصر النهضة الإسلامية، وكانت هذه النهضة أساس النهضة الأوروبية في العلم، التي بدأت حوالي عام 803 هجرية (الموافق 1400 ميلادية).

وتؤكِّد ذلك المستشرقة سيجريد هونكه في كتابها (شمس الله تسطع على الغرب)؛ حيث تقول: "ولعل أكبر دليل على هذا هو أن الغرب بقي في تأخر ثقافيًّا واقتصاديًّا طوال الفترة التي عُزل فيها عن الإسلام ولم يواجِهه، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسيًّا وعلميًّا.

واستيقظ الفكر الأوروبي من سُباته – الذي دام قرونًا – على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية؛ ليصبح أكثر غنى وجمالًا، وأوفر صحةً وسعادةً [2] .

---

[1] شحادة الخوري: **واقع الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي** – الفيصل ع 239 (جمادى الأولى 1417هـ/ سبتمبر – أكتوبر 1996م) – ص: 57 – 62.

[2] علي عبدالله الدفاع: **لمحات من تاريخ الحضارة العربية والإسلامية**، مكتبة الخانجي مصر، ص (117 – 121).

وهكذا أصبح المسلمون قادة الحضارة الحقيقيين، المستوعبين لحضارات الماضي، والقادرين على نقدها، ومعالجة سلبياتها، وتقديم خلاصتها الإيجابية للعالم، وفي الوقت نفسه أصبحوا المبدعين في كل العلوم، تَتَتَلْمذُ أوروبا وغيرها عليهم، وتجلس تحت أقدامهم.

المبحث الثالث : أسباب إزدهار وتطور الحياة العلمية في ظل العصر العباسي الأول

شهدت الحركة العلمية في العصر العباسي ازدهارا كبيرا في شتى الميادين، يعود سببه إلى ظهور الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم وانتشار حركة الترجمة واهتمام الخلفاء بها، إضافة إلى التوسع في التعليم العام وبناء المدارس والمؤسسات الثقافية مثل دور العلم والربط فضلا عن المساجد. ومن العلماء البارزين في اللغة والادب والشعر الخليل بن أحمد الفراهيدي في علم النحو والعروض (نظم الشعر) والجاحظ في الادب والبلاغة والاصمعي في الادب واللغة, كما تميز الامام بن ثابت الكوفي المعروف بابي حنيفة والقاضي ابي يوسف في علم الفقه. أما شعراء هذا العصر فمن أبرزهم أبو العتاهية وعباس بن الأحنف وابو تمام الطائي والبحتري والمتنبي والشريف الرضي وأبو العلاء المعري وأبو نواس ومن المؤرخين البارزين محمد بن جرير الطبري واليعقوبي وبرز في الجغرافية المسعودي أما في الرياضيات والفيزياء فقد برز أبو الحسن بن الهيثم وفي علم الجبر محمد بن موسى الخوارزمي وفي الكيمياء جابر بن حيان وغيرهم كثيرون ممن ترجمت مؤلفاتهم إلى اللغات الاوربية واستفيد منها في النهضة الاوربية الحديثة. وقد اهتم الخلفاء بالعلم والعلماء فقربوهم وشجعوهم فكان لذلك أثره الكبير على الرقي الفكري في هذا العصر، وأبرزهم الخليفة هارون الرشيد الذي اشتهر بتقريبه العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والكتاب وتشجيعهم على البحث والتأليف وتوفير كل ما يحتاجون اليه في بحوثهم ودراساتهم.

المطلب الأول: العوامل المؤثرة على إزدهار العلوم

1. تشجيع الخلفاء :

لقد شهد العصر العباسي مجموعة من الخلفاء ذوي الشخصيات العلمية الواعية التي تدرك دور العلم في بناء الدولة والمحافظة على كيانها ،فكان لتشجيع هؤلاء الخلفاء للحركة العلمية الأثر البارز في ازدهارها في العصر العباسي ،وكان هذا التشجيع ماديا ومعنويا [1] ، فالتشجيع المادي يعني صرف مبالغ كبيرة على العلم وسد حاجة العلماء ليتفرغوا للتأليف والترجمة أما التشجيع المعنوي فيعني تقريب العلماء واستقبالهم في مجالس الخلفاء مما يكسبهم هيبة في أعين الناس ،والحقيقة أن الأمثلة على هذا التشجيع كثيرة ومنها أن أبا جعفر المنصور قرب العلماء وشجع على ترجمة الكتب السريانية والأعجمية الى اللغة العربية [2] ،كما كرم الرشيد العلماء وكان يعطي الكثير منهم مخصصات ثابتة من بيت المال [3] ،أما في عهد المأمون فقد بلغ تشجيعه للعلماء انه كان يعطي وزن الكتاب المترجم ذهبا [4] ،كما خصص يوم الثلاثاء من كل أسبوع لعقد مجلس علمي للمناظرة [5] يحضره أشهر الفقهاء والعلماء في عصره ولم يقتصر تشجيع العلماء على الخلفاء بل كان الولاة يقتدون بالخلفاء في هذا الجانب حيث أجرى عبد الله بن طاهر والي خراسان على أبي عبيد القاسم بن سلام مرتبا شهريا بقيمة عشرة آلاف درهم مقابل تأليفه لكتاب (غريب الحديث) [6] .

2. الاستقرار الداخلي :

إن ازدهار أي حركة علمية مرتبط الى حد كبير بالاستقرار الداخلي للدولة ،وقد شهد العصر العباسي بعض الاستقرار بعد ان انتهت مرحلة الفتوحات العسكرية بنهاية العهد الأموي ،ورغم وجود بعض المواجهات مع البيزنطيين إلا أن هذه المواجهات لم تكن حربا منظمة تهدف الى توسيع الدولة بل كان الهدف تثبيت الحدود وحماية الثغور[7] ،وكان لهذا الاستقرار أثره في ازدهار الحياة العلمية فقد وجه الخلفاء العباسيون اهتماتهم لرعاية العلم كما أن الأموال التب كانت تصرف على إرسال الجيوش الى مناطق الفتح قد تم توفيرها وصرف جانب كبير منها على رعاية الحركة العلمية .

3. اختلاط العرب بغيرهم من الأمم :

بعد بناء مدينة بغداد في عهد أبي جعفر المنصور سنة 145 هجرية ،أصبحت هذه المدينة عاصمة لدولة تضم عدة قوميات ،وقد تعايشت هذه القوميات في مدينة بغداد وكان من النتائج الايجابية لهذا التعايش تمازج الثقافات العربية والفارسية والهندية واليونانية

---

[1] مفتاح محمد ذياب، **مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية**، طرابلس، الهيئة القومية للبحث العلمي، 1992، ص 24

[2] السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر، ط2 ، 2003، ص 319

[3] صلاح النبراوي، **هارون الرشيد**، دار الرشيد، طنطا، 2002، ص 268

[4] أحمد فؤاد، **التراث العلمي للحضارة الإنسانية**، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص 34

[5] المسعودي ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005، ج 3 ، ص 432

[6] البغدادي أحمد بن الخطيب، **تاريخ بغداد**، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، ج 12، ص 406

[7] يوسف العش، **الخلافة العباسية**، دار الفكر، دمشق، 1998، ص 81

فبلاد العراق والشام كانت مهدا لثقافات كبيرة واسعة وكانت بها مدارس علمية ساهمت في تطوير الحياة العلمية مثل مدرسة الرها ونصيبين وحران وجنديسابور [1] ،وقد ساهم الفرس بدور بارز في النهضة العلمية التي شهدها العصر العباسي حيث (أعطوا للثقافة العربية عقولهم وتجاربهم ،وأصبحوا طليعة حركة الترجمة من الفارسية الى العربية) [2] .

4. تزايد عدد المؤلفين والكتب:

لقد شهد عصر صدر الإسلام والعصر الأموي البدايات الأولى للتدوين وكان التركيز كما ذكرنا على العلوم الدينية، وفي العصر العباسي وصلت أغلب العلوم إلى مرحلة النضج الفكري فمع منتصف القرن الثاني تقريبا بدأت بعض العلوم تنفصل عن غيرها وتستقل بنفسها[3] وكان هذا الزخم في التأليف من عوامل إزدهار الحياة العلمية في العصر حيث أصبح الشغف بالكتب وقراءتها من الظواهر المنتشرة على نطاق واسع إذ يحدثنا الأصمعي عن إسحاق الموصلي * فيذكر أن كتبه بلغت ثمانية صندوقا، ولم يكن الشغف بالكتب مقتصرا على مدينة بغداد بل تعداها إلى بقية إرجاء البلاد الإسلامية حيث بلغ عدد الكتب في مكتبة الصاحب بن عباد في قرطبة حوالي 206000 كتاب [4].

5. إزدهار صناعة الورق :

عرف الصينيون الورق منذ طويلة، وقد إنتقلت صناعة الورق إلى المسلمين عندما فتح المسلمون سمرقند ووجدوا مصنعا للورق فتعلموا صناعته وانتقل إلى بغداد وسائر البلاد الإسلامية [5]، وكان للفضل بن يحي البرمكي * الفضل في تأسيس أول مصنع لصناعة الورق في بغداد سنة 178هـ – 794م [6]، وكان إنتشار هذه الصناعة من عوامل إزدهار الحياة العلمية في العصر العباسي حيث ساعد الورق على زيادة التأليف في مختلف العلوم .

إذا إعتبرنا الدولة العربية الإسلامية تمثل الإطار المكاني لهذا البحث فإن العصر العباسي الأول يمثل الإطار الزماني له، وعليه يمكننا حصر أماكن المؤسسات التعليمية خلال المائة سنة الأولى من عمر الدولة العباسية (132هـ – 232هـ/ 743م – 846م) تلك الفترة التي زخرت بمختلف التيارات الثقافية وشهدت مرحلة إطلاع المسلمين على تراث غيرهم نتيجة لنشاط حركة الترجمة إضافة الى

---

[1] نفسه، ص 236

[2] حسن أحمد محمود-أحمد إبراهيم الشريف، الرجع السابق، ص 195

[3] محمود عباس حموده، **تاريخ الكتاب الإسلامي في المخطوط**، دار الغريب، القاهرة، د ت، ص 118

* إسحاق الموصلي ولد سنة 150هـ يرجع إلى أصل فارسي وكان راويا للشعر والمآثر وله مجموعة من الكتب منها كتاب أخبار حماد عجرد وكتاب أخبار ذي الرمة وكتاب أخبار المغنيين المكيين، توفي بالكوفة سنة 235هـ ، ينظر جمال الدين بن يوسف القفطي، **أنباء الرواه على أنباء النحاه**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ج 1، ص 250

[4] نفسه ، ج1، ص 252

[5] إبن نديم، المرجع السابق، ص 23

* ولد سنة 147هـ وهو ينتمي إلى الأسرة البرمكية التي إشتهرت في عهد الرشيد وقد تولى الوزارة كما تولى ولاية خرسان وعرف بفضله وبلاغته وكرمه على أهل العلم توفي سنة 193هـ، أنظر إبن خلكان، ،ج4 ، ص 27

[6] عبد اللطيف الصوفي، **لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات**، دار طلاس، دمشق، 1987، ص 9

أن أبرز سمات هذه الفترة من الناحية التعليمية أنها تعد مقدمة لفترة ظهور المدارس كمؤسسات تعليمية قائمة بذاتها تحت إشراف الدولة ،وإن كانت المؤسسات التي تتناولها الدراسة في الفترة المحددة لها تقوم بالدور الذي قامت به المدارس فيما بعد .

المطلب الثاني: المؤسسات الدينية

1. الكتاتيب :

الكتاب هو موضع تعليم الصبيان[1] والجمع كتاتيب ومكاتب ،وقد أشتق اسمه من التكتيب وتعليم الكتابة ،وقد عرفت الكتاتيب كمؤسسات تعليمية منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث وجدت في المدينة لتعليم الكتابة ،كذلك عرفت الكتاتيب في عصر الخلفاء الراشدين وعصر الدولة الأموية وعندما جاء العصر العباسي الأول (132 هـ-232هـ /749م -846 م) كان من الطبيعي أن يتزايد عدد هذه الكتاتيب بحكم فترة الازدهار العلمي التي ميزت العصر العباسي الأول والذي أصبحت فيه بغداد مقصدا لطلاب العلم الذين وجدوا التشجيع المادي والمعنوي من قبل الخلفاء العباسيين ،وقد وردت في المصادر إشارات كثيرة تدل على وجود الكتاتيب في العصر العباسي الأول منها أن شعيب بن جبير (ت 154 هـ/779 م)كان يجلس عند معلم في مكتبه [2] كما أن أبا نواس (ت198 هـ/318 م) قد تردد على الكتاب في البصرة في صغره [3] ،وكان النضر بن شميل [4] (ت 203 هـ/816 م) يقول"كنا ثلاثة في كتاب واحد أنا وأبو زيد الأنصاري وأبو محمد اليزيدي) [5] ،كما أن سعيد بن وهب الكاتب (ت 208 هـ/823 م) قد رثى ابنه الذي توفى وله عشر سنين بأبيات من الشعر منها :

وإذا ما رأيت كتّابه لم أر فيه ريحانة الكتاب [6]

ولم يقتصر إنشاء الكتاتيب على عامة الناس بل ساهم الخلفاء العباسيون في إنشاء كتاتيب لبعض الفئات الخاصة من المجتمع حيث أنشأ يحي بن خالد البرمكي (190 هـ/806 م) بأمر من الخليفة هارون الرشيد (ت170_193 هـ/766_809م)كتاتيب خاصة للأيتام[7]، ولم تكن الكتاتيب في العصر العباسي مقتصرة على المدن بل وجدت هذه الكتاتيب على ما يبدو في بعض القرى إذ يقول الجاحظ (ت 255 هـ/868 م)" دخلت يوما قرية ووجدت فيها معلم كتاب "[8] .

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، بيروت، 1993، ج1، ص 699

[2] ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، بيروت، دار صادر، 1969، ج2، ص 473

[3] ابن المتوكل (عبد الله بن معتز)، **طبقات الشعراء**، تح : عبد الستار أحمد، دار المعارف، القاهرة، 1956، ص 194

[4] النظر بن شميل، ولد بمرو ونشأ بالبصرة كان لغويا وشاعرا بالاضافة لمعرفته بأيام العرب ينظر: **وفيات الأعيان**، ج5، ص 397

[5] الزبيدي محمد بن حسن، **طبقات النحويين اللغويين**، دار المعارف، القاهرة، د ت، ص 62

[6] ا ابو الفرج الأصفهاني، **الأغاني**، دار احياء التراث العربي ، بيروت.، 1975 ، ج20، ص 353

[7] عمرو بن بحر الجاحظ ، **البيان والتبيان** ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، ج2، ص 45

[8] نفسه، ص 83

إن كل هذه الإشارات تدل على كثرة الكتاتيب في العصر العباسي الأول وهذه الكثرة تعد انعكاسا لثقافة هذا العصر ووعي الملمين بأهمية تعليم أولادهم استجابة للأوامر الدينية من جهة وللضرورات الحياتية من جهة أخرى فالخلفاء العباسيون شجعوا العلم وقربوا العلماء مما شكل حافزا مهما للاتجاه للتعليم .

أما عن مكان وجود الكتاب فقد كره العلماء المسلمين أن يكون تعليم الصبيان في المسجد لأنهم لا يتحفظون من النجاسة على رأي الإمام مالك ،وربما أيضا بسبب الخوف من تشويشهم على المصلين والمرجح أن الكتاتيب لم تكن بعيدة عن المساجد بل كانت عبارة عن مبان ملتصقة بها لأن من واجبات المعلم تعليم الصبيان الصلاة وتعويدهم المحافظة عليها ويؤكد هذا ما رواه الشافعي (ت 204 هـ/819 م) حيث قال : "كنت يتيما في حجر أمي فدفعتني الى الكتاب فلما ختمت القرآن دخلت المسجد) [1] ،ولكن هذا لا يعني أن كل الكتاتيب كانت ملصقة بمساجد فقد كان أبو محمد اليزيدي (ت 202 هـ/817 م) يدرس الصبية بحداء دار أبي عمرو بن العلاء،كما كان يعقوب بن السكيت [2] (ت 242 هـ/856 م) يؤدب مع ابنه في بغداد صبيان العامة[3].

أما من الناحية العمرانية فقد كان الكتاب عبارة عن مبنى بسيط لم تزخرف جدرانه وأثاثه بسيطا حيث كانت الكتاتيب تفرش بالحصر التي يجلس عليها الصبيان حول المعلم ،وكان المعلم يستعين في تعليمه للصبيان بأحد الصبيان البارزين يسمى "العريف" ويكون مستواه يفوق مستوى الصبيان فعندما سئل مالك بن أنس (179هـ/795 م)عن المعلم يجعل للصبيان عريفا قال (إن كان مثله في نفاده)[4] وقد اشترط ابن سحنون في العريف أن يكون قد ختم القرآن فلا بأس أن يعينه [5] ،ومما يؤكد وجود العريف ما ذكره حيث قال (كنت يتيما في حجر أمي ، ولم يكن معها ماتعطي المعلم وكان المعلم قد رضى مني أن أخلفه إذا قام)[6] .

أما ما كان يتلقاه الصبية في هذه المرحلة التعليمية فإن القرآن الكريم كان المحور الرئيسي الذي يدور حوله التعليم بالكتاب ويؤكد هذا ما ذكره ابن خلدون محاولا تفسير هذا الأمر حيث قال (اعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه الى القول من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث ،وصار القرآن أصل التعليم الذي يبني عليه ما يحصل من الملكات)[7] .

---

[1] احمد بن عبد الله الأصفهاني، **حلية الأولياء وطبقات الأصفهاء**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1985، ج9، ص 73

[2] يعقوب بن السكيت أحد القراء المشهورين في مدينة البصرة وقد درس النحو في بغداد وله كتاب أسماه "الجامع" تحدث فيه عن القراءات، وتوفي سنة 242هـ ، ينظر **وفيات الأعيان**، ج6، ص 395

[3] ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، تح: ياقوت الحموي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج5، ص 644

[4] ابن سحنون، **آداب المعلمين**، تح: محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، 1989، ص 91

[5] نفسه، ص 80

[6] الأصفهاني، **حلية الأولياء**، ج9، ص 73

[7] ابن خلدون، مرجع سابق، ص 505

ويعتبر أحمد شلبي أن تعليم الصبيان القراءة والكتابة هي مرحلة ةمنفصلة عن تعليمهم القرآن الكريم وأن لكل مرحلة مكان مخصص[1] ،ويذكر هذا الباحث بعض الأدلة التي يعتبرها كافية لدعم رأيه منها أن تعليم القراءة والكتابة كان من أعمال الذميين وأسرى بدر، وليس لهؤلاء بطبيعة الحال أي صلة بالقرآن الكريم[2]، كما يذكر وصف بعض الرحالة لطريقة التعليم في الكتاتيب وكيف كان تعليم القراءة والكتابة مفصولا عن تعليم القرآن الكريم، والحقيقة أن هذا الرأي يحتاج إلى بعض المناقشة فمسألة الإستعانة بأسرى بدر لتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة لا تعني أن هؤلاء الأسرى قد إمتهنوا هذا العمل بل كانت مهمة مؤقتة أراد بها النبي صلى الله عليه وسلم أن يستفيد من موهبة هؤلاء الأسرى العلمية في تعليم الصبيان القراءة والكتابة مقابل إطلاق سراحهم .

قبل أن نختم كلامنا عن الكتاتيب يجب الإشارة إلى نقطة مهمة تناولها بعض العلماء المسلمين الذين برزوا في مجال التربية وهي طبيعة العلاقة بين المعلم والمتعلم في الكتاب، وتبرز أهمية هذه النقطة من أن هذه العلاقة تمثل أحد شروط نجاح العملية التعليمية ولعل من أبرز من تحدث عن هذا الجانب إبن سحنون الذي يرى أن هذه العلاقة يجب أن تتسم بما يلي :

- يجب أن تسود هذه العلاقة الرحمة والشفقة من قبل المعلم نظرا لصغر سن الصبيان من جهة وخدمة للعلمية التعليمية

وضمان إستيعاب الطالب للمادة العلمية من جهة أخرى، ومن مظاهر رحمة المعلم بطلابه (ألا يمنعه من طعامه وشرابه إذا أرسل وراءه) [3] ،كما يشدد إبن سحنون على عدم تكليف التلاميذ ما لا يطيقون من الأعمال مثل تكليفهم فوق أجرته شيئا من الهدايا أو إرسال بعضهم في طلب بعض، ولا يجب أن يستخدم المعلم الصبيان في مصلحة خاصة إذ لا يجوز له يرسل الصبيان في حوائجه[4].

- العدل بين الصبيان إذ يرتبط العدل كقيمة بالتشريع الإسلامي بشكل عام بإعتباره من أبرز مقاصد الشريعة الإسلامية،

وكان من الطبيعي أن يطبق هذا المعنى على علاقة المعلم بطلابه، ففرص التعليم مكفولة للغني والفقير [5] إذا استثنينا قصور الخلفاء باعتبارها مؤسسات تعليمية خاصة بأبنائهم فإن بقية المؤسسات التعليمية كانت أبوابها مفتوحة لجميع الطلاب بدون شروط، وقد أكد إبن سحنون على تطبيق العدل بين الطلاب وإستند في هذا على قول الرسول صلى الله عليه وسلم: { أيها مؤدب ولي ثلاثة صبيان من هذه الأمة فلم يعلمهم سويا فقيرهم مع غنيهم، غنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين } .

2. المساجد :

لقد ارتبط تاريخ التعليم الإسلامي بالمساجد ارتباطا وثيقا ،حيث أصبح المسجد المكان الرئيسي الذي انتشرت منه التعاليم

[1] أحمد شلبي، **التربية الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1982، ص 46.
[2] نفسه ، ص 47.
[3] ابن سحنون، مصدر سابق، ص 21
[4] نفسه، ص 80
[5] ابن سحنون، مصدر سابق، ص 85

الإسلامية كما أصبح مقصدا للعلماء وطلبة العلم على حد سواء ،وقد رأينا كيف كان المسجد أحد أبرز المؤسسات التعليمية قبل العصر العباسي ،ومن الطبيعي أن تتطور هذه المؤسسة خلال العصر العباسي كما كيفا حيث زاد عدد المساجد تبعا لازدياد عدد المسلمين واستجابة للحاجة الملحة لهذه المساجد لأداء الشعائر الدينية واتخاذه مكانا للتعليم ،وقد اشتهرت في العصر العباسي الأول بعض المساجد لعل من أبرزها المسجد الذي بناه أبو جعفر المنصور (158-136 هـ/753-775 م) خلال بنائه لمدينة بغداد ليتخذها عاصمة للدولة .ولعل من أبرز ما ميز المسجد عن الكتاب في دوره التعليمي يتمثل في جانبين مهميين:

أ. اتساع نطاق العلوم التي تدرس في حلقات المساجد وتنوعها من علوم قرآنية الى حديث وفقه ونحو وشعر ومناظرات كلامية بينما لاحظنا في كلامنا عن الكتاتيب محدودية المنهج الذي يتلقاه الطالب بحكم صغر سنه والذي تركز على حفظ القرآن الكريم والإطلاع على مبادئ بسيطة من بعض العلوم الأخرى .

ب. ارتفاع المستوى العلمي لمعلمي الحلقات العلمية في المساجد وانتشار شهرتهم العلمية مقارنة بمعلمي الكتاتيب الذين كان يكفيهم حفظ القرآن الكريم والإطلاع على بعض العلوم ليقوموا بمهمتهم في تعليم الصبيان ،ولعل هذا الفراق قد أتى من اختلاف المستوى العلمي بين صبيان الكتاتيب وطلاب الحلقات العلمية بالمساجد فيونس بن حبيب الضبي [1](ت 183 هـ/799 م) مثلا (كانت حلقته بالبصرة ينتابها الأدباء وفصحاء الأعراب والبادية) ،كذلك كان مجلس الشافعي (يحضره أهل الحديث وأهل الفقه وأهل الشعر وكان يأتيه كبراء أهل الفقه والشعر فكلا يتعلم منهم ويستفيد) [2] .

لقد كان التعليم في المساجد يتمتع بقدر من الحرية بحيث سمح للمتعلم أن يراعي ميوله ومواهبه وينظم الى الحلقة التي يرغب في تعلم علومها فتنوع المناهج في الحلقات العلمية كان من العوامل التي ساعدت على ظهور المواهب العلمية في شتى المجالات ،و لا شك أن هذه النقطة مما يثر الإعجاب فهي خطوة رائدة على طريق حرية التعليم وعدم إجبار الطالب على دراسة علوم قد لا يميل اليها ،كما كانت من جهة أخرى حافزا للتنافس الشريف بين معلمي الحلقات العلمية يدفعهم الى اتقان تدريسهم والإحاطة بجوانب المواضيع التي يدرسونها .

وقد أشار بعض الباحثين [3] للتدليل على وجود الأطفال في المساجد الى أن علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس كانا يندسان بين الكبار في حلقات المساجد فعل الرغم من قناعتنا بإمكانية وجود بعض الصبيان المتفوقين في حلقات المساجد إلا أن ما ذكره هذا الباحث لا يستقيم مع الوقائع التاريخية فعلي بن أبي طالب قد تجاوز مرحلة الطفولة عند بناء المسجد النبوي [4] ولم يكن مضطرا للتسلل لحضور حلقات العلم في المساجد ،ولكن هذه الرواية قد تنطبق على عبد الله بن عباس الذي ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات

[1] يونس بن حبيب الضبي ولد سنة 90 هجري وقد اشتهر في علم النحو وأخذ عنه كل من الكسائي والفراء وسيبويه وله كتاب "معاني القرآن" وتوفي سنة 183هـ ، ينظر **وفيات الأعيان**، ج7، ص 244

[2] حسن أحمد محمود، مرجع سابق، ص 206

[3] ابن منظور، مصدر سابق، ص 699.

[4] الأصفهاني، **الأغاني**، ج17، ص 4

،ومن جهة أخرى فإن الصبيان المتفوقين لم يكونوا مضطرين للإندساس بهذه الطريقة في حلقات المساجد بل كانت هذه الحلقات مفتوحة للجميع .

- **منهج حلقات المساجد :**

لقد رأينا في حديثنا عن الكتاتيب محدودية المنهج الذي يتلقاه صبي الكتاب بحكم صغر سنه ولتركيز هذا المنهج على حفظ القرآن الكريم الذي يعتبره المسلمون أساسا للصبي ينطلق بعده الى تلقي العلوم الأخرى فإن المساجد باعتبارها المرحلة الثانية من التعليم قد شهدت تنوعا في المادة العلمية ،وقد راعى هذا التنوع ميول الراغبين في تلقي العلم فأصبح هناك نوع من التخصص في المادة العلمية فبعض العلماء كانت حلقته العلمية تتناول مختلف العلوم بينما تخصص البعض الآخر في علوم يعينها فالشافعي مثلا كان يحضر مجلسه العلمي أهل الحديث وأهل الفقه وأهل الشعر بينما كان ليونس بن حبيب النحوي حلقة نحو في مجلس البصرة،كما كان لأبي حنيفة (ت150 هـ/767 م) حلقة لتعليم الحديث في مسجد بغداد [1] .

إن أبرز ما يميز نظام التعليم في المساجد الحرية الكاملة لطالب العلم في الالتحاق بالحلقة التي يرغب فيها تبعا لميوله العلمية وكان لهذا الجانب دور مهم في ظهور مواهب عدد من العلماء فتحدد الحلقات العلمية وتنوع العلوم بها قد خلق مناخا للإبداع والمنافسة الشريفة بين العلماء لاجتذاب طلاب العلم الى حلقاتهم فقد حماد [2] يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب الى أصحاب العربية يتعلم منهم إلا أن هذا لم يمنع ارتباطا بعض الطلاب بحلقات معينة للقدرة العلمية التي امتز بها معلمو هذه الحلقات حيث قال الحسن بن محمد الصباح :(ما قرأت على الشافعي حرفا إلا وأحمد حاضر وما ذهبت الى الشافعي مجلسا إلا وجدت أحمد فيه)[3] ،كما قال مطرف بن عبد الله : (صحبت مالك عشرين سنة) [4] .

قبل أن ننهي حديثنا عن المساجد كمؤسسات تعليمية لابدّ من إلقاء نظرة على الجزء الغربي من الدولة الإسلامية لتتعرف بإيجاز على النظم التعليمية في المساجد ومدى تشابها مع بلاد المشرق، ويعتبر مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط أول مسجد بني في إفريقيا سنم 21هـ بعد إستكمال فتح مصر وإستقرار المسلمين بها وهذه الخطوة لا تبدو غريبة من حيث التوقيت حيث سار بناء المساجد في ركاب الفتوح الإسلامية لغرض إقامة الصلاة ولغرض تعليم المسلمين الجدد مبادئ الإسلام واللّغة العربية، ومن هذا المنطلق أصبح مسجد عمرو بن العاص أول منارة لنشر العلم في ربوع شمال إفريقيا، ولعل أكبر دليل على الدور التعليمي الذي لعبه هذا المسجد أنه جدد بناؤه وتمّ توسيعه عدة مرات ليتسع للمصلين وطلاب العلم وقد وصل عدد الحلقات في هذا المسجد إلى أربعين حلقة،كان من بينها حلقة الإمام الشافعي التي درس بها سنة 182هـ بعد إنتقاله من العراق إلى مصر [5]، وتذكر بعض الروايات أن

---

[1] سعيد إسماعيل علي، **معاهد التربية الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص 164

[2] حماد بن ميسرة بن مبارك وقد عرف بحياد الرواية لمعرفته بأيام العرب وأشعارها وأنسابها وكان مقربا من خلفاء بني أمية وقد توفي سنة 155هـ ينظر : **معجم الأدباء**، ج3، ص 246.

[3] الأصفهاني، **حلية الأولياء**، ج3، ص 80.

[4] ابن كثير، **طبقات الفقهاء الشافعيين**، تح: أحمد عمر هاشم، مكتبة الثقافة، القاهرة، 1993، ص 147.

[5] محمد عطية الأبراشي، **التربية الإسلامية وفلاسفتها**، دار الحلبي، القاهرة، 1969، ص 79

أول من درس في هذا المسجد عبد الله بن عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب[1]، ثم توالى مجيء الصحابة والتابعين حيث إستقر للتدريس به سعد بن مسعود التجيبي وهو من أفراد البعثة العلمية التي أرسلها عمر بن عبد العزيز لنشر العلم في مصر وبلاد المغرب [2].

المطلب الثالث: المؤسسات المدنية

1. منازل العلماء :

رأينا عند كلامنا عن الكتاتيب والمساجد أن أهم ما يميزها أنها كانت مؤسسات تعليمية عامة تفتح أبوابها لكل الراغبين في طلب العلم، أما منازل العلماء فلا نستطيع إعتبارها مؤسسات تعليمية عامة لسببين :

أ. إن المنازل قد أعدّت أصلا للراحة فالعالم الذي يقضي يومه معلما في الكتاب أو صاحب حلقة علمية في المسجد يحتاج إلى وقت يستريح فيه من عناء التدريس، كما أن هذا العالم يحتاج إلى وقت للإطلاع والتأليف فالإمام الشافعي مثلا كان جزأ الليل إلى ثلاثة أجزاء : الأول يكتب فيه والثاني يصلي فيه والثالث ينام فيه، وبالإضافة إلى هذا فهناك بالتأكيد إلتزامات عائلية تأخذ جزءا من وقت العالم في المنزل .

ب. ضيق المنازل بحكم طبيعة مهمتها عن إستقبال أعداد من الطلاب، فمهما كان إتساع المنزل فلن يرقى إلى المهمة التعليمية التي يقوم بها المسجد مثلا .

والمرجح هنا أنها إستعملت كمؤسسات تعليمية لظروف خاصة وربما في أوقات معينة فقد يسمح المعلم لبعض تلاميذه الموهوبين الذين يتوسم فيهم خيرا، بالتردد عليه في منزله ممّا يدلنا على هذا أن إبن هرمز (قال يوما لجاريته: من بالباب فلم تر إلا مالكا، فرجعت فقالت له ما ثم إلا ذلك الأشقر فقال لها: دعيه فذلك عالم الناس) [3] فقبول المعلم لتلميذه هنا نوع من التكريم المعنوي لهذا التلميذ، كذلك من الأمور التي لها علاقة بهذا الجانب حالة المعلم المالية فعلي بن مبارك الأحمر النحوي [4](194 هـ - 810م) إذا حضر الطلبة إلى منزله (رأوا منزلا كمنازل الملوك ينفح منه الطيب ويوسع لهم في المأكل والورق والأقلام والمداد ويريهم بِشرا وسرورا) [5] ، كذلك كان منزل مالك مبسوطا بأنواع المفارش لمن يأتيه من طلاب العلم [6].

---

[1] محمد حسنين محاسن، **أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين**، دار الكتاب الجامعي، العين، 2001، ص 138.

[2] عبد الرحمن عثمان حجازي، **التربية الإسلامية في القيروان**، المكتبة المصرية، بيروت، د ت، ص 143.

[3] موسى ابن عياض، **ترتيب المدارك وتعريف المسالك**، تح : أحمد بكير، دار الحياة، بيروت، د ت، ج1، ص 120.

[4] هو علي بن مبارك بن علي النحوي وكان من علماء النحو وقد نشأ ببغداد وقد جعله الرشيد مؤدبا لولده الأمين وأوصاه الوصية المشهورة وقد توفي سنة 194، ينظر: **وفيات الأعيان**، ج2، ص 313.

[5] أبو فلاح بن العياد الحنبلي، **شدرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الميسرة، بيروت، 1979، ج1، ص 299.

[6] ابن كثير، مصدر سابق، ص 330.

إن منازل العلماء لم تكن مؤسسات تعليمية عامة تقوم بنفس دور الكتاتيب والمساجد ولكنها كانت مقتصرة على عقد المناظرات العلمية بين العلماء وإستعملت هاته المنازل بشكل محدود لتعليم الطلاب حيث إقتصر إستقبال الطلاب حيث إقتصر إستقبال الطلاب على الموهوبين منهم فأبو حنيفة (كان له مجلسان للدرس والتحديث إحداهما في منزله يحدث فيها خاصة تلاميذه وأولاده، والثاني في المسجد يحضر إليه العامة والتلاميذ) [1].

2. حوانيت الوراقين :

وصل الشغف بالكتب في العصر العباسي الأول إلى درجة كبيرة نتيجة لنشاط حركة الترجمة وتشجيع الخلفاء للحركة العلمية إلاّ أن هناك عاملاً آخر ساهم في سهولة سهولة الحصول على الكتاب وزاد من رواج بيعه وهو إزدهار صناعة الورق، حيث ظهرت هذه الصناعة في الصين، ثم إنتقلت إلى المسلمين بواسطة مجموعة من الأسرى من سمرقند (وقد طوّر العرب صناعة الورق وخطوا بها خطوات واسعة في طريق الإتقان والجودة) [2]، وكان من أبرز نتائج هذين العاملين أي الشغف بقراءة وإقتناء الكتب وإزدهار صناعة الورق ظهور حوانيت خاصة بالوراقين، وقد عرف ابن خلدون دور الوراقين بقوله: (وجاءت صناعة الوراقين المعانين للإستنساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور المكتبية) [3]، ولم تكن حوانيت الوارقين مقتصرة على مهمة بيع الكتب بهدف الربح المادي وإنما كانت مؤسسات تعليمية يلتقي فيها العلماء والشعراء وطلاب العلم وتعقد فيها المناظرات فقد كان لعبد الله بن محمد الازدي دكان ببغداد (يورق فيه ويجتمع اليه عامة أهل الأدب ويحصل فيه بينهم من المحاضرة والمذاكرة مالا يحصل في غيره من أندية الأدب)[4] ،كما كان الشعراء يعقدون مجالسهم في حوانيت الوراقين حيث ذكر ابن أبي شقيقه الوراق أن الشعراء كانوا يجتمعون في دكان والده (وأن أبا العتاهية حضرهم يوما فتناول دفترا ووقع على ظهره شعرا)[5] .

من جهة أخرى كانت هذه الحوانيت مكانا للمفاضلة بين الكتب والمذاهب اللغوية حيث قال أبو بكر بن دريد البصري الحافظ (ت224 هـ/839 م) (رأيت رجلا من الوراقين بالبصرة يفضل كتاب كتاب المنطق ليعقوب بن السكيت ،ويقدم الكوفيين)[6] ،وكذلك مما يدل على الدور التعليمي الذي لعبته الحوانيت وعلى ثراء هذه الحوانيت بالكتب أن الجاحظ كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر[7] .

---

[1] محمد أبو زهرة، **أحمد بن حنبل**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947، ص 39.

[2] محمود عباس حموده، مرجع سابق، ص 81.

[3] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 382.

[4] ابن نديم، مصدر سابق، ص 207.

[5] الجاحظ، **الحيوان**، تح: عبد السلام هارون، مصطفى البابي الحلبي ،القاهرة، 1965، ط2، ج1، ص 5.

[6] عبد الكريم بن محمد السمعاني، **الأنساب**، دار الجنان، بيروت، 1988، ج5، ص 586.

[7] محمود عباس حمودة، مرجع سابق، ص 34.

إن أكبر دليل على انتشار حوانيت الوراقين هو وجود سوق خاصة بها في مدينة بغداد حيث يذكر الحموي أن علان الشعوبي (ت218 هـ/833 م) قد امتهن الوراقة وفتح به دكانا في سوق الوراقين ببغداد [1] ،وهكذا لعبت حوانيت الوراقين دورا تعليميا جعلها من المؤسسات التعليمية ،ولكن هذا الدور كان محدودا بحكم ضيق هذه الحوانيت عن استيعاب أعداد كبيرة من الطلاب مثلما رأينا في كلامنا عن الكتاتيب والمساجد فضلا عن انشغال أصحابها بالنسخ والتجليد وغيرها من الأعمال المتعلقة بهذه الحوانيت ،أما ما ذكره البعض عن دور حوانيت البيع والشراء كمؤسسات تعليمية فأمر مبالغ فيه فيما نرى فهذه الحوانيت قد فتحت لأغراض أخرى ،ويبقى دورها التعليمي مرتبطا بثقافة أصحابها وسعة إطلاعهم فقد كان أبو العتاهية يبيع الجرار (ويأتيه الأحداث والمتأدبون فينشدهم أشعاره فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبون عليه)[2] فهؤلاء الأحداث والمتأدبون كانوا يقصدون أبا العتاهية وليس الحانوت ، وينطبق ذلك على ذكر أن أحمد بن حنبل كان يروي الحديث في دكان صائغ فوجود ابن حنبل في هذا الدكان وروايته للحديث فيه لا يجعلنا نتسرع في اعتبار هذا الدكان مؤسسة علمية لأن مكان التعليم لابن حنبل وغيره كان الكتاب أو المسجد ،نخلص من هذا الى اختلاف حوانيت البيع والشراء عن حوانيت الوراقين لها علاقة مباشرة بالجانب التعليمي ، أما حوانيت السلع الأخرى فالأمر متعلق بصاحب الحانوت ومدى ثقافته وسعة اطلاعه .

3. قصور الخلفاء :

لقد شهد العصر العباسي الأول (132 هـ/232هـ -749 م/846 م) نهضة علمية كان من أبرز مظاهرها أن قصور الخلفاء لم تقتصر على مهمتها الرئيسية وهي تسيير شؤون الحكم بل تعدتها حتى أصبحت مؤسسات تعليمية يتلقى فيها أبناء الخلفاء نوعا من التعليم يؤهلهم لتولي الخلافة من جهة ومكانا لاجتماع العلماء وتناظرهم في مختلف المسائل العلمية من جهة أخرى ،فهذه الظاهرة الحضارية تدل بوضوح على مدى وعي الخلفاء العباسيين الأوائل بأهمية العلم في بناء الدول وترسيخ أركانها على أسس سليمة .

إن اعتبار قصور الخلفاء والأمراء ومؤسسات تعليمية قد أتى من ناحيتين :

أ. إن هذه القصور كانت مكانا لتعليم أبناء الخلفاء على أيدي مؤدبين يتم اختيارهم من بين أشهر علماء العصر.

ب. أنها كانت مكانا لعقد المجالس العلمية التي يحضرها كبار العلماء بإشراف الخليفة ويتم فيها عقد المناظرات في مختلف فروع المعرفة.

وسنتناول في هذا الموضوع كلا من الناحيتين ببعض التفصيل وسنحاول إلقاء الضوء على المنهج الذي اشترك في وضعه الخلفاء للاطمئنان على تعليم أبنائهم ،كما سنذكر أمثلة من المناظرات العلمية التي شهدتها مجالس الخلفاء .

[1] الحموي، **معجم الأدباء**، ج3، ص 523.

[2] الأصفهاني، **الأغاني**، ج4، ص 11.

❖ **تأديب أولاد الخلفاء :**

لقد رأينا في كلامنا عن الكتاتيب والمجالس العلمية بالمساجد أن هذه المؤسسات كانت عامة تفتح أبوابها لكل الراغبين في تلقي العلم ورأينا أن مناهج الكتاتيب كانت تتركز على القرآن الكريم وبعض المبادئ البسيطة من العلوم الأخرى بينما توسعت مناهج المساجد لتشمل مختلف فروع المعرفة ،أما تعليم أبناء الخلفاء فكان من الطبيعي أن يختلف قليلا عن التعليم بالكتاتيب والمساجد وأول مظاهر هذا الإختلاف محدودية العدد في القصور فالمؤدب مكلف بتعليم أبناء الخليفة فقط بينما يعلم معلم الكتاب أو شيخ الحلقة العلمية أعداد كبيرة من الطلاب ،كذلك أطلق لفظ المؤدب على من يقوم بتعليم أولاد الخلفاء تبعا لمهمته الخاصة في إعداد خليفة المستقبل ،كذلك من مظاهر الإختلاف بين التعليم في القصور والتعليم في الكتاتيب والمساجد أن مؤدبي أولاد الخلفاء كان مطلوبا منهم التركيز على الجانب السلوكي إضافة الى الجانب المعرفي حيث ضم أبو جعفر المنصور(136 هـ/158 هـ ،754 م/778 م) شرقي بن القطامي الى ابنه المهدي وأوصاه أن يعلمه مكارم الأخلاق[1] .

لقد تضمنت هذه الوصية منهجا تعليميا وتربويا يعطينا فكرة واضحة عن تعليم أبناء الخلفاء فمن الممكن تقسيم هذه الوصية الى ثلاثة عناصر رئيسية كما يلي :

أ. العنصر الأول :تذكير المؤدب بمدى خطورة المهمة الملقاة على عاتقه بإشرافه على ولد أمير المؤمنين الذي وصفه بأنه (مهجة نفسه وثمرة قلبه) .

ب. العنصر الثاني :ويتضمن المنهج التعليمي والسلوكي حيث يذكر له المواد الضرورية لتعليمه في قوله :(أقرئه القرآن ،وعرفه الأخبار ،وروه الأشعار ،وعلمه السنن وبصرة بمواقع الكلام وبدئه) ،كما يتضمن هذا العنصر من الوصية الجانب السلوكي في قوله:(امنعه من الضحك إلا في أوقاته ،وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ،ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه) .

ج. العنصر الثالث :ويتضمن بعض النصائح ذات العلاقة بالجوانب التربوية كاستغلال الوقت في التعليم ومراعاة حالة الطالب النفسية وقابليته للتعلم ،والتدرج في تعليمه وتقويمه بين اللين والشدة .

لقد اهتم الخلفاء إضغفة الى المواد التعليمية التي ذكرناها بتنمية قدرة أولادهم الجسمية والعقلية فقد تعلم هارون الرشيد في صغره ركوب الخيل والرمي بالسهام كما كان يميل الى لعب الشطرنج[2] ،كذلك كان المأمون يحب الشطرنج ويقول فيه (هذا يشحد الذهن)[3] ،وقد أتخذ التعليم في القصور أحيانا طابع التوجيه السياسي بما يتناسب مع الدور المنتظر لأولاد الخليفة حيث ذكر محمد بن إبراهيم الإمام (أن أبا جعفر المنصور قال لبني عمه وأبنائه :أدخلوا جميعا فدخلنا فسلمنا وأخذنا مجالسنا فقال للربيع :هات دوى وما يكتبون

[1] المسعودي، مصدر سابق، ج3، ص 187.
[2] المسعودي، مصدر سابق، ج2، ص 27.
[3] نفسه، ج2، ص 27.

فيه فوضع بين يدي كل واحد منا دواة وورق ثم التفت الى عبد الصمد بن علي فقال يا عم حدث ولدك وأخوتك وبني أخيك بحديث البر والصلة)[1] وتذكر هذه الرواية أن عبد الصمد حدثهم بأحاديث تحث على الترابط بين ذوي النسب الواحد وذلك بهدف تقوية روابط القرابة فيما بينهم وحثهم على التناصر والتآزر .وهذا التوجيه السياسي أمر متوقع في دولة تعتمد على نظام الحكم الوراثي وتحتاج لضمان استمرارها الى وجود ترابط قوي بين أبناء الأسرة العباسية في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية .

❖ **المناظرات العلمية :**

لقد شهدت قصور الخلفاء العباسيين حلقات علمية شارك فيها مجموعة من علماء ذلك العصر نتيجة لاهتمام الخلفاء بالحركة العلمية وقد تجلى ذلك الاهتمام في تقريب العلماء والمشاركة في المناظرات العلمية التي تعقد في قصور الخلفاء ،والسؤال الذي يطرحه نفسه هنا هو الى أي مدى ساهمت هذه الحلقات العلمية في أداء الدور التعليمي الذي رأيناه في حديثنا عن الكتاتيب والمساجد ؟

وللاجابة عم هذا السؤال لا بد من توضيح فرق مهم بين حلقات المساجد وحلقات القصور فحلقات المساجد كانت عامة تفتح أبوابها لكل راغب في العلم أما مجالس القصور فكانت مقتصرة على الخليفة وبعض العلماء البارزين في عصره ولكن هذه الخصوصية المتعلقة بمجالس القصور لا تنفي دورها التعليمي بقدر ما تجعل هذا الدور محدودا بحكم اقتصاره على عدد من العلماء وإن كان هذا لا يمنع من انتشار المعلومات التي يتطرق لها جلساء الخليفة الى خارج القصور .

لقد تنوعت المجالس العلمية في قصور الخلفاء بتنوع العلوم الموجودة في ذلك العصر فهناك مجالس خاصة بالعلوم الدينية حيث قرب المنصور الى بلاطه علماء الفقه والحديث [2] كذلك كان الهادي (170-169 هـ/785-786 م) إذا أعضل عليه أمرا أحضر الفقهاء[3] ،أما هارون الرشيد فقد عرف بتقريب الفقهاء والاستماع الى مواعظهم (وقد وجه الى مالك بن أنس ليأتيه فيحدثه فقال مالك :أن العلم يؤتى ،فصار الرشيد الى منزله فاستند معه الى الجدار فقال :يا أمير المؤمنين من إجلال الله تعالى إجلال العلم فقام وجلس بين يديه)[4] ،ومن المناظرات الفقهية التي جرت بمجلس الرشيد تلك المناظرة التي جرت بين الإمام مالك وأبو يوسف[5] ،كذلك كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء[6] و كان لميل المأمون لأراء المعتزلة دور في حدة المناقشات العلمية في مجالسه (فالمعتزلة يعتمدون على المنطق وقوة الجدل وسلامة الحجة)[7] ولعل أبرز القضايا التي ظهرت في عهد المأمون مسألة خلق القرآن وما شهدته من مناظرات بينهم وبين الإمام أحمد بن حنبل ،وتحول هذه المسألة من مناظرات علمية الى محاولة فرض الرأي القائل بخلق القرآن الكريم بالقوة حيث سجن الإمام أحمد نتيجة تمسكه برأيه .

---

[1] الأصفهاني، **الأغاني**، ج4، ص 91.

[2] أحمد شلبي، مرجع سابق، ص 73.

[3] الأصفهاني، **حلية الأولياء**، ج1، ص 82.

[4] ابن كثير، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، 1410 – 1990، ج6، ص 213.

[5] جلال الدين السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم، 2003، ط1، ص 67.

[6] نفسه، ص 75

[7] أحمد شلبي، مرجع سابق، ص 85.

✓ **الشروط العامة التي تحكم المناظرة بالتي هي أحسن :**

☜ القاعدة الأولى : البعد عن التعصب.

☜ القاعدة الثانية : الالتزام باخلاق التحاور.

☜ القاعدة الثالثة : الالتزام بالطرق العلمية السليمة في الحوار والمناظرة وهذه قاعدة

☜ يؤيدها ما جرى على ألسنة العلماء الذين كتبوا في فن البحث والمناظرة وهي: (إن كنت ناقلاً فالصحة، وان كنت مدعياً فالدليل).

☜ القاعدة الرابعة : عدم تضاد المناظرة مع دعواه.

☜ القاعدة الخامسة : البعد عن التناقض والتعارض في الدعوى أو في الدليل.

☜ القاعدة السادسة: العلم.

☜ القاعدة السابعة: التسليم بالقضايا المتفق عليها بين المتناظرين.

☜ القاعدة الثامنة : القبول بالنتائج في نهاية الحوار .

✓ **وللمتناظرين شروط تقتصر على اربعة ولابد من توافرها هي:**

☜ الشرط الأول: أن يكون المتناظران على علم بموضوع التناظر.

☜ الشرط الثاني: أن يكون المتناظران على معرفة ودراسة كاملة بقوانين المناظرة

☜ وقواعدها حول الموضوع الذي يريدان المناظرة فيه.

☜ الشرط الثالث: أن يكون الموضوع مما تجرى فيه المناظرة، فالبديهيات والمسلمات لا تجري فيها المناظرة.

☜ الشرط الرابع: أن يلتزم الطرفان قواعد الفن في المناظرة ، فان كان الموضوع عقدياً التزم الطرفان قواعد المناظرة في الموضوعات العقدية ان كان فقهياً كذلك وهكذا .[1]

4. المكتبات :

لقد كان الشغف باقتناء الكتب وقراءتها من أبرز الظواهر الثقافية التي ميزت العصر العباسي الأول حيث تنافس طلاب العلم في اقتناء الكتب كل حسب قدرته ،ولعل من أسباب انتشار هذه الظاهرة اهتمام خلفاء العصر العباسي الأول باقتناء الكتب وتكريم مؤلفيها فالمأمون كان ينام والكتب حول فراشه ينظر فيها متى إنتبه من نومه وقبل أن ينام [2]، وقد أصبحت ظاهرة إقتناء الكتب بأعداد كبيرة من الأمور المألوفة في ذلك العصر حيث قال الأصمعي (خرجت مع الرشيد فلقيت إسحاق الموصلي[3] فقلت له هل

---

[1] نور الدين صغيري، "**الحوار والمناظرة في منظور الشارع**"، افاق الثقافة والتراث، السنة التاسعة، العدد السادس والثلاثون،سوريا ، شوال 1422هـ – يناير 2002م، ص: 23 – 20

[2] البغدادي، **تقييد العلم**، تح : يوسف العش، دار إحياء السنة، القاهرة، 1974، ص 124.

[3] اسحاق الموصلي وهو ابن إبراهيم الموصلي ولد سنة 150هـ وبرع في الأغاني وقد كان من ندماء هارون الرشيد وكان صاحب مكتبة كبيرة وقد توفي سنة 235هـ ، ينظر البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج6، ص 338.

حملت شيئا من كتبك فقال حملت ما خفّ ، فقلت كم مقداره؟ قال ثمانية عشر صندوقا، فعجبت وقلت إذا كان هذا ما خفّ فكم يكون ما ثقل؟ فقال أضعاف ذلك) [1]، ولعل من أبرز من عرف بكثرة الإطلاع والحرص على إقتناء الكتب هو الجاحظ (255هـ -879م) .

إن تناولنا المكتبات كمؤسسات تعليمية نابع من الإقتناع بأهمية المكتبات كمراكز إشعاع ثقافي قامت بدورها التعليمي ولم تكن مجرد خزائن للكتب بل كانت ملتقى للعلماء وطلاب العلم، وكذلك للعلاقة الوطيدة التي تربط بين المكتبات وبين بقية المؤسسات التعليمية فلو استثنينا صبي الكتاب الذي يحكم صغر سنه ومحدودية المنهج الذي يتلقاه لم يكن مضطرا للبحث عن مراجع في المكتبات فإن طلاب بقية المؤسسات التعليمية كانت تمثل القاسم المشترك لهم جميعا فطلاب حلقات المساجد أو المترددون على حوانيت الوراقين ومنازل العلماء، أو مرتادوا قصور الخلافة من العلماء كانوا في حاجة إلى المكتبة لزيادة معلوماتهم .

إن اقتناء الكتب وتكوين المكتبات لم يقتصر على الخلفاء بل عرف العصر العباسي الأول أنواعا من المكتبات منها العامة ومنها الخاصة منها مكتبة إسحاق بن ابراهيم الموصلي (ت235 هـ/860 م) التي قال عنها أبو العباس تعلب :(رأيت لإسحاق الموصلي ألف جزء من لغات العرب وكلها بسماعه)[2] ،وكذلك مكتبة أبي عمرو بن العلاء (ت154 هـ/771 م) الذي كانت دفاتره ملء بيت الى السقف[3] ،ومكتبة محمد بن عمرو الواقدي (207هـ – 823م) التي كانت تضم أعدادا كبيرة من الكتب بدليل ما ذكره الحموي من أنه عندما إنتقل من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي من بغداد حمل كتبه على عشرين ومائة وقر[4] وكذلك مكتبة الفتح بن خاقان (247هـ) التي وصفها إبن نديم بأنها لم ير أعظم منها كثرة وحسنا[5]، ومكتبة حنين بن إسحاق الذي كان من أبرز المترجمين في عهد الأمين وقد سافر إلى بلاد عديدة ووصل إلى أقصى بلاد الروم طلبا للكتب [6].

إذا إنتقلنا إلى الجناح الغربي من الدول الإسلامية نجد أن الإهتمام بالكتب والمكتبات لا يقل عن إهتمام المشارقة، حيث أسس إبراهيم بن الأغلب بيت الحكمة بتونس وأصبح ينافس بيت الحكمة الموجود في بغداد .

---

[1] ابن النديم، مصدر سابق، ص 169.

[2] المسعودي، مصدر سابق، ج2، ص 223.

[3] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تح: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، ج 6، ص 18.

[4] الحموي، **معجم الأدباء**، ج5، ص 235.

[5] الوفر: الثقل، ينظر: ابن منظور، مصدر سابق، ج6، ص 964.

[6] ابن نديم، مصدر سابق، ص 187.

الخاتمة :

قامت الدولة العباسية باعتمادها على دمج الشعوب ومزجها وصهرها في الدولة الإسلامية. وهذا الاتحاد هو السر في تلك النهضة العلمية العجيبة التي امتدت من، قيام الدولة العباسية إلى نهاية القرن الرابع الهجري. فان كان للدولة العربية الإسلامية في صدر الإسلام، فضل الفتوح والانتشار والاتصال بالحضارات القديمة مما أدى إلى ظهور المنابت الأولى للحضارة الإسلامية في أواخر عهدها، فإن للدولة العباسية فضل رعاية هذه المنابت الحضارية والعمل على تنميتها وازدهارها .فالمسلمون نقلوا وترجموا وعربوا هذا التراث القديم إلى لغتهم العربية حتى إذا ما استوعبوا ما نقلوه، أخذوا ينتجون ويبدعون ويضيفون، حتى قدموا للعالم ما عرف بالحضارة العربية الإسلامية، وهي الحضارة التي توفرت لها تلك المزايا الثلاث التي لا تتوفر إلا في الحضارات الكبرى وهي: ا لامتياز، والأصالة، والإسهام في تطور البشرية .

لهذا أجمع العلماء علي أن الحضارة الإسلامية تحتل مكانة رفيعة بين الحضارات الكبرى التي ظهرت في تاريخ البشرية، كما أنها من أطول الحضارات العالمية عمراً، وأعظمها أثراً في الحضارة العالمية .

الفصل الثاني : حركة الترجمة في العصر العباسي الأول وأهم من شجعها

من العوامل التي تعين على التعرُّف إلى ثقافات الآخر؛ قصدًا إلى الإفادة مما هو مناسب منها، النقل والترجمة، وتعلم لغات الآخر، ومدى الإقبال على النقل والترجمة، أو تعلُّم لغات الآخر، مؤشران لمدى قوة الأمة المتلقِّية؛ فالنقل والترجمة حركة إيجابية، فيها إيحاءٌ بقوة الأمة، وسعيها إلى ترسيخ القوة، علميًّا وثقافيًّا.

وقد يوحي تعلُّم اللغات الأخرى – لا سيما إذا كان ذلك على حساب اللغة الأمِّ – بشيء من الضعف أو التبعية الثقافية عند بعض المهتمين والمعنيين بالأصالة الثقافية والفكرية، من منطلق الخوف على اللغة، وما تحمله من معاني الانتماء الثقافي والحضاري.

أما إذا كان تعلُّم اللغات قصدًا إلى النقل والترجمة منها، ومما تكتنفه من إنجازات علمية وفكرية وثقافية – فهذا يدخل في المؤشر الأول، الموحي بالقوة، والسعي إلى ترسيخ هذه القوة، بالعلم والفكر المتاح في اللغات الأخرى.

والأمة الإسلامية منذ بعثة سيد المرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، في القرن السابع الميلادي، وهي تسير من قوة إلى أقوى، بحيث طبَقَّت آثارها الآفاق في مدة قياسية: علمًا، وثقافةً وهديًا.

وكان من مؤشرات القوة لدى أمة الإسلام نقل علوم الآخر وثقافتهم إلى اللغة العربية؛ لغة الإسلام والمسلمين، لا سيما المفيد منها، والمتلائم مع المبادئ التي جاء بها الإسلام، عند النظر إلى التعامُل مع الحياة، بناءً وتعميرًا وخلافة في الأرض، وسعيًا إلى بسط النور.

ولا جدَّال في أهمية النقل والترجمة، وأنهما ضرورة حضارية، وأنهما "محرِّض ثقافي يفعل فعل الخميرة المحفِّزة المنشطة"، وأنها "تسدُّ الخلل القائم بين الشعوب الأرفع حضارة، والشعوب الأدنى حضارة، وأنها "تعد وسيطًا مباشرًا في تعرُّف معرفة إنجازات الشعوب"، وأنها "عنصر أساسي في عملية التربية والتعليم"، وأنها "وسيلة لإغناء اللغة وتطوُّرها.[1]"

من هذا المنطلق بدأت لدى المسلمين ظاهرة النقل والترجمة قوية منذ العقود الأولى للإسلام، فانتشرت مراكز النقل والترجمة، وبيوت العلم، ودور الحكمة؛ وكان لهذه المراكز أثرها الفعَّال في ثقافة المسلمين وعلومهم الدنيوية، وكان لها أثرها كذلك في العلوم الدينية؛ إذ استطاعت أن توجِّه بعض المسلمين إلى الخوض في قضايا عقدية، كانت سببًا من أسباب ظهور الفرق الكلامية المشهورة، التي لا تزال آثارٌ منها باقية، وإن اختلفت أسماؤها وإطلاقاتها، وكانت هذه المراكز مؤشرًا من مؤشرات انتقال الحضارة الإنسانية، وصقلها وتأصيلها إسلاميًّا، ثم بعدئذٍ نشرها بين الأمم الأخرى .[2]

[1] رشيد حميد حسن الجميلي، **حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة –** طرابلس (ليبيا)، الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، 1982م – ص: 516.

[2] مفتاح محمد دياب: **مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية** – بنغازي: الهيئة القومية للبحث العلمي، 1993م – ص: 54.

المبحث الأول : حركة الترجمة والنقل في العهد العباسي الأول

المطلب الأول : دوافع الترجمة

هناك مجموعة متعددة من الأسباب والعوامل التي دعَتِ المسلمين إلى اللجوء إلى حركة النقل والترجمة من الثقافات الأخرى إلى اللغة العربية، بعض هذه العوامل فكرية بَحْتة، وبعض منها تخطَّى مرحلة الفكر إلى الشغف بفكر الغير من قبيل التنافُس، ومحاولات الوصول إلى المكنون في الثقافات الأخرى.

ومن العوامل ما هو تجاري تسويقي، نشأ عن ملاحظة توجُّه السلطة، من خلفاء وولاة وأفراد، إلى التعرف إلى ما لدى اليونان والهنود من حكمة وعلم ، فكان بعض النقلة والمترجمين متكسِّبين، لا همَّ لهم إلا المال في وقت كانت الخلافة الإسلامية فيه تغدق على المؤلفين والنقلة والمترجمين[1].

وقد أدى هذا أيضًا إلى شيء من ضعف الأمانة العلمية في النقل والترجمة؛ إذ لجأ بعض النقلة إلى ترجمات لآثار هزيلة غير معروفة المؤلفين، ونسبوها إلى مفكرين كبار؛ أمثال: أفلاطون[2] وأرسطو، أو إلى شخصيات أسطورية مثل هرمس،[3] أو بلياس، أو نقلت بعض الآثار دون ذكر للأشخاص التي يراد إلصاقها بهم على سبيل الانتحال .

ويؤكِّد عمر فرُّوخ على ما مر ذكره، من أن هذا الكلام كلَّه من أوهام الرواة، ومن خرافات الشعوب، وليس من التاريخ في شيء، مثله في هذا مثل ما ينسب إلى موسى بن عمران عليه السلام من الاشتغال بالصنعة، وكذا كليوباترا[4]، وذكره علي بن يوسف القفطي على أنه هرمس الثالث [5]،ومثل ذلك ما حصل للتراث العربي الإسلامي، فقد تعرَّض للانتحال من قبل النقلة والمترجمين من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، واللغات الأوروبية الأخرى، مما يخرج نقاشه عن مجال هذه الدراسة [6] .

وليس صحيحًا أن العرب هم الذين نحلوا هذه الآثار؛ مثل: نسبتهم كتاب" التفَّاحة "وكتاب" الربوبية "إلى أرسطو – مثلًا – بسبب عدم إلمامهم بحياة اليونان، وكونهم غير مهيَّئين لتذوق هذه الحياة وإنما السبب في هذا يرجع إلى اندفاع النَّقَلة والمترجمين إلى هذه

---

[1] عبدالرحمن مرحبا: **الترجمة ومدى تأثيرها في تحوُّل الجدل الديني إلى اهتمام بالبحث العلمي والفلسفي**؛ في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب؛ مرجع سابق – ص: 328 – 374.

[2] أفلاطون (427 – 347 قبل الميلاد): تلميذ سقراط، وأستاذ أرسطو، من أشهر فلاسفة اليونان، له من الآثار: الجمهورية، والسياسة، والمحاورات، والشرائع، وصلت إلى العربية ملخصة، أو مجزأة، ما عدا الشرائع؛ انظر: **المنجد في الأعلام**؛ مرجع سابق – ص: 42.

[3] هرمس: ويسمى هرمس المثلث العظمة، يقال: إنه كان عالما، كاتبًا، عارفًا بالسحر، ذكره النديم في "**الفهرست**" (ص 327)، وذكره ابن أبي أصيبعة في: طبقات الأطباء، في أكثر من موضع، وقيل عنه: إنه أول من تكلم في علم الصنعة.

[4] عبدالرحمن بدوي: **تقويم عام لتحقيق التراث اليوناني المترجم إلى العربية**. في: أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية بمناسبة مرور ألف عام على ميلاد ابن سينا وثلاثة وعشرين قرنًا على وفاة أرسطو، من 21 إلى 24 جمادى الآخرة 1400هـ، 7 إلى 10 مايو 1980م – الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، 1405هـ/ 1985م – ص: 19 – 26

[5] عمر فرُّوخ: **تاريخ العلوم عند العرب** – ط 4 – بيروت: دار العلم للملايين، 1984م – ص: 80.

[6] علي بن يوسف القفطي: **إخبار العلماء بأخبار الحكماء** – القاهرة: مكتبة المتنبي، د. ت – ص: 227 – 229.

الطريقة في نسبة بعض الآثار، التي قد تكون موضوعة لعلماء كبار، قصدًا إلى الطمع في تقديمها إلى الخلفاء والأمراء والولاة – كما مرَّ – لتزيدَ الأعطيات بقدر مكانة الحكيم العالم الذي نسبت إليه.

✦ ويمكن أن ترجع دوافع النقل والترجمة إلى اللغة العربية من الثقافات الأخرى المجاورة؛ مثل: اليونانية، والهندية، والفارسية، والمصرية، إلى الجوانب الآتية:

✓ **أولًا** :حثُّ القرآن الكريم على التفكير: ففي القرآن الكريم آيات وصلت إلى ثماني عشرة (18) آية فيها دعوة أو لفتة إلى التفكُّر: (تتفكرون، يتفكرون، تتفكروا، يتفكروا)، وفيه آيات وصلت إلى تسع وأربعين (49) آية فيها دعوة ولفتة إلى التعقُّل: (يعقلون، تعقلون، تعقل، عقلوه)، وفيه أربع (4) آيات فيها إشارة إلى التدبُّر: (يتدبرون، يدبروا) [1]، وغيرها من الآيات التي تحثُّ على التفكير في خلق السموات والأرض، وتركيبات جسم الإنسان والأنعام والكون كله [2].

فلم يمضِ سوى نصف قرن من نزول القرآن الكريم على رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم حتى بدأت "العلوم المختلفة تأخذ طريقها إلى عقول هذه الأمة خاصتها وعامتها، وأخذ العقل العربي ينمو ويخصَب وينتج إلى أن أصبح موردًا عذبًا ومنهلًا صافيًا للأمم والشعوب كافَّة"[3]

والمقصود بالعقل العربي هنا هذا العقل الذي تمثَّل الآيات والأحاديث التي لفتت إلى استخدام التفكر والتدبر والعقل، في النظر إلى ما حولها، ولا يفهم منه جنس العقل العربي، كما مر التوكيد عليه، في حادثة الحجاج بن يوسف الثقفي.

ولعل هذا لا يعني، بالضرورة، تزامن مدة النقل والترجمة مع مدة النضج والإبداع، إذ هما مرحلتان تقوم أولاهما على الأخرى، وإن كانت هناك علوم ظهر فيها النضج والإبداع، لأنها كانت علومًا إسلامية أصيلة، لم تنتظر وقتًا للنقل، لتستفيد منه.

كما أنه لا بد من التنويه إلى أن العرب، قبل الإسلام، تكونت لديهم القابلية لحمل الرسالة المحمدية، بخلاف من يريد أن يعتز للإسلام، عندما يقول: إنه لم يكن للعرب حضارة تُذكر، وإنهم لم يكونوا في جاهليتهم أمة، ولا شيئًا مذكورًا قبل الإسلام [4].

ويُدافع عن هذا التوجُّه في النظرة إلى العرب في الجاهلية، كمال شحادة من المتخصصين في تاريخ العلوم، حيث يقول: "يدَّعي كثير من الأجانب أن العرب قبل الإسلام كانوا من البدو الرحَّل، لا يعرفون سوى حياة الصحراء، القلقة، غير المستقرة، بعيدين عن كل حضارة، ومجرَّدين من أي جذور حضارية.

---

[1] محمد فؤاد عبدالباقي: **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** – بيروت: دار إحياء التراث العربي، نقلًا عن مطبعة دار الكتب المصرية، 1364هـ/ 1945م – ص: 252، 468، 469، 525.

[2] برصوم يوسف أيوب: **أول جسر عبرت منه ثقافة الروم والفرس إلى العرب** – المجلة العربية مج 4، ع 1 (1400/5هـ) – ص: 88 – 92.

[3] شحادة الخوري: **حنين بن إسحاق: أحد بناة النهضة العلمية في العصر العباس** – التعريب ع 7 (ذو الحجة 1414هـ/ حزيران (يونيو) 1994م) – ص: 133 – 151.

[4] أنور الجندي. **شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي** – دمشق: المكتب الإسلامي، 1398هـ/ 1978م – ص: 89.

والباحث المنصف لا يسعه إلا أن يجد هذا الاتهام ظالما، ومجافيًا للحقيقة، فقد كان في شمالي الجزيرة العربية، وفي جنوبها، مراكز ناشطة في مجالات التجارة الداخلية والدولية، كمكة، ويثرب) المدينة(، والطائف، ومأرب، وصنعاء، ونجران وصرواح، وظفار. فكانت تتم في هذه المدن مبادلات تجارية مهمة، ما بين عرب الجزيرة والدول المجاورة لهم في الشمال كدولة الغساسنة) في جنوبي سورية(، ودولة المناذرة) في جنوبي العراق(، وما بينهم وبين الهند وشمالي أفريقيا عن طريق اليمن[1]."

ويطول المقام لو أُريد التفصيل في هذا، وعمد الباحث فيه إلى الوقوف على حالة العرب قبل الإسلام، وتفصيل الآراء فيها، بين مبالغ في سمات الحضارة، وناف لأي شكل من أشكالها، ولذلك سمِّي ذلك العصر بالعصر الجاهلي، ولكنه لم يكن، بالضرورة، كله جاهليًا، بحيث يفهم، من هذا الإطلاق، أن العرب في ذلك العصر لم يكونوا شيئًا يُذكر، إلا أنه كان هناك تحولٌ كبيرٌ، دفع إلى النقل والترجمة من الثقافات والحضارات الأخرى. ولقد أسهب الأستاذ عبدالرحمن مرحبا في هذه النقطة، إسهابًا يحسن الرجوع إليه، لما فيه من وضع للأمور في موضعها الصحيح[2].

- ✓ **ثانيًا** :نظام العلاقة المستمرة بين العبد وربه من خلال الإسلام، تتطلب التعرُّف إلى علوم تعين على تنظيم شؤون العبادات، والمعاملات المالية والشخصية الاجتماعية، وضبط الحسابات، وتوقيت الصلوات، وتحديد القِبلة، وتقويم الأيام والشهور، وترتيب الخراج والزكاة، فاستعان المسلمون بالأمم المجاورة للتعرُّف إلى ما لديها مما يعين على هذا التنظيم.
- ✓ **ثالثًا** :بعد حثِّ القرآن الكريم على التفكُّر والتعقُّل والتدبُّر، وبعد الامتداد في نشر الإسلام، بدا للعرب المسلمين أن المد العسكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي، الذي وصلوا له لن تقوم له قيمة، أو قائمة، إن لم يقترن بالمجد العلمي والنضج العقلي، فنزل القلم إلى ميدان العلم والفكر ، واستقت الأمة من الأمم الأخرى، بعد أن تبدلت نظم الحياة، ونشأ مجتمع جديد، له احتياجات وتطلعات وآمال وأهداف جديدة، ومسؤوليات ومشكلات جديدة، بل ومبادئ ومثل جديدة، في صياغتها، وفي ترسيخها، وفي منبعها.
- ✓ **رابعًا** :بدأ نتيجة الاحتكاك بالثقافات الأخرى، والفكر الآخر، نقاشٌ وجدَّالٌ، حول كُنه الله تعالى، في توحيده بربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته، سبحانه وتعالى، فلجأ علماء الكلام والمتفلسفة من المسلمين إلى النظريات اليونانية، لكي يسهل عليهم الدفاع عن عقيدتهم، أمام المخالفين، أو المفكرين الذين سبقوهم في الحضارة، فلجأوا إلى وسائل الفلاسفة في الردِّ عليهم، فكان لا بد لهم من أن يطَّلعوا على علومهم العقلية، التي لم يكن للعرب المسلمين عهد بها من قبل، وهذا جانب سيخضع للتفصيل، عند الحديث عن أثر ظاهرة النقل والترجمة في العقلية المسلمة.
- ✓ **خامسًا** :بدأ التفكير الإسلامي يأخذ طريقه موثقًا منذ البعثة المحمدية، مرورًا بعصر الخلفاء الراشدين، ودولة بني أُمية، إلى دولة

[1] أحمد جلال التدمري. **الأخلاق عند العرب قبل الإسلام وبعده** – د.م: المؤلف، 1425هـ/ 2004م –ص 313.

[2] عبدالرحمن مرحبا. **الترجمة ومدى تأثيرها في تحول الجدل الديني إلى اهتمام بالبحث العلمي والفلسفي** – ص: 345 – 352. في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب – مرجع سابق.

بني العباس، وقد احتاج هذا الإنتاج الفكري العلمي الثقافي إلى شيء من التصنيف والتنظيم، بعد مرحلة الكتابة والتدوين. وقد بدا هذا واضحًا، بادئ الأمر، مع الحديث النبوي الشريف[1]، حيث رُتبت الأحاديث، وفق مضمونها، في أبواب، منذ سنة 125هـ) القرن الثامن الميلادي(، ثم رُتبت وفق أسماء الصحابة – رضي الله عنهم – في كتب المسانيد، وذلك مع أواخر القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. ثم سرى هذا التنظيم أو التصنيف على بقية العلوم، كالسير والمغازي والتاريخ، والعلوم الأخرى، واستفاد المسلمون من غيرهم في هذا المجال.

✓ **سادسًا** :كان للخلفاء، والولاة والأفراد تأثير واضح على حركة النقل والترجمة، إذ كانوا موفَّقين في الوقوف مع هذه الحركة، يدعمونها دعمًا منقطع النظير، حتى من اشتهر منهم بالحرص الشديد على المال، كالخليفة العبَّاسي أبي جعفر المنصور[2] فكان لا يتردد في الإنفاق الجزيل على العلوم، التي رأى أنها سوف تعين على الدفاع عن العقيدة، ونشر العلم.

ولا يعني هذا بالضرورة انقطاع هؤلاء الخلفاء، وأمرائهم وولاتهم، للعلم، كما فعل الخليفة الأُموي خالد بن يزيد بن معاوية، ولكنهم غلّبوا الاهتمام بالعلم والحكمة، على جوانب إدارية أخرى، كانت الخلافة بحاجة إليها، مما يمكن أن يقال: إن له تأثيرًا على الضعف، الذي حلَّ بالخلافة، حتى أدى إلى زوالها، بعد حين.

✓ **سابعًا** :احتك المسلمون من العرب، وغير العرب، بالعناصر المثقفة في البلاد المفتوحة على أيديهم، "مما أيقظ عقولهم، وقلب ونظام تفكيرهم، وترك آثارًا عميقة بعيدة المدى في أذهانهم، وأعدَّهم لقبول اللقاح الجديد والتماس كتبه.[3]"

وكان هؤلاء المثقَّفون ممَّن آثروا البقاء على دينهم، فلم ينالوا من إيثارهم هذا إلا التقدير من القيادة الإسلامية، التي تحترم المعتقدات السماوية، وتتيح لأهلها الاستمرار عليها، بل لقد وصل التساهل ببعض الخلفاء، أو الأفراد، أو الولاة، إلى التوكيد على مبدأ التسامُح في

[1] محمد عبدالرحمن مرحبا. **الموجز في تاريخ العلوم عند العرب**؛ مرجع سابق – ص: 86.

[2] فؤاد سزكين: **تاريخ التراث العربي. مج 1، ج 1: في علوم القرآن والحديث/ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي** – الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1403هـ/ 1983م – ص: 151 – 152.

[3] محمد عبدالرحمن مرحبا: **الموجز في تاريخ العلوم عند العرب**؛ مرجع سابق – ص: 70.

الإسلام، بحيث وجد المناخ الذي أوحى بإقرار المجوس[1] على مجوسيتهم، وأوحى كذلك بإقرار الفرق والطوائف الأخرى، الموجودة بين المسلمين، كالصابئة[2]، كذلك على نحلتهم، ما داموا لم يدخلوا معتقداتهم فيما يصدر عنهم من آثار[3].

✓ **ثامنًا** :يمكن أن يقال: إن الدولتين الأُموية والعباسية قد تسلمتا الخلافة من الخلفاء الراشدين، وقد توطدت أطنابها في مساحة كبيرة، وإن كانت الدولتان لم تتوقفا في حركة نشر الإسلام إلا أن الجهود لم تكن هي الجهود التي خاضها الخلفاء الراشدون على أي حال، وقد أوجد هذا الوضع جوًّا من الاستقرار، جرَّ إلى الدَّعَة والترف، ووفرة أوقات الفراغ النسبي – مع التوكيد على الفراغ النسبي – وأدَّى هذا إلى الانشغال بحياة عقلية وروحية لم يعهدوها من قبل، فسعوا في طلب العلم، وجدُّوا في البحث، ليس على المستوى الرسمي فحسب، ولكن أيضًا على المستوى الشعبي كذلك.

هذا أيضًا مع الميل إلى الدَّعة والترف، واستتباب الأمن من جهة، والرغبة في التوسُّع الحضاري والعمراني من جهة أخرى، ومثل هذا التوسُّع يحتاج إلى العلم.

✓ **تاسعًا** :يذكر أن انتقال الخلافة من الأُمويين إلى العبَّاسيين لم يكن مجرَّد انتقال السلطان من بيت إلى بيت، أو من دمشق إلى بغداد، بل قيل: إنه نقل الخلافة الإسلامية من عالم إلى عالم، ومن عقلية إلى عقليَّة، فقد كانت الخلافة الأُموية تصبُّ جل اهتمامها على العرب والأعراب، وأصبحت الخلافة العباسية ذات مشاغل وهموم ثقافية حضارية [4].

ومثل ما قيل عن الخلافة الراشدة يمكن أيضًا أن يصدُق شيء منه على الخلافة الأُموية، إذا ما قورنت بالخلافة العباسية؛ من أن الأُمويين كانوا امتدادًا للخلافة الراشدة في توطيد أطناب الدولة الإسلامية – نسبيًّا فقط – ولعل هذا يعلل اختلاف الدولتين؛ من حيث النظرُ إلى الحضارة والعلم.

✓ **عاشرًا** :دخلت تحت ظل الإسلام أممٌ، سواء أعلنت إسلامها أم بقيت على عقيدتها السابقة، إلا أن جزءًا من هؤلاء لم يترك

---

[1] المجوس: ذكرهم الشهرستاني تحت عنوان: من لهم شبهة كتاب، ويقال لها: الدين الأكبر، اختصَّت بالتثنية أصلين مدبِّرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضر، والصلاح والفساد، أحدهما: النور، والآخر: الظلمة، انظر تفصيل هذه الملَّة عند: الشهرستاني، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد. **الملل والنحل** – ط 2 – بيروت: دار المعرفة ، 1395هـ/ 1975م – 1: 224 – 229.

[2] الصابئة: من صبأ الرجل إذا مال وزاغ. وتتركَّز نحلة الصابئة على الروحانيات، التي تقول بوسائط بين الله والعالم. وهم جماعة المندائيين، أتباع يوحنا المعمدان، وصابئة حرَّان، ويقولون: إن للعالم صانعًا فاطرًا حكيمًا مقدسًا عن سمات الحدثان، ويوجبون على أنفسهم معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله، ويُتقرب إليه بالمتوسطات المتضرعين إليه، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرًا وفعلًا وحالة؛ انظر: الشهرستاني. **الملل والنحل**، المرجع السابق – 2: 6.

[3] محمد مروان السبع: **حركة الترجمة العلمية وتوسعها في العصر العباسي** – في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب؛ مرجع سابق – ص: 185 – 191.

[4] محمد عبدالرحمن مرحبا: **الموجز في تاريخ العلوم عند العرب**؛ مرجع سابق – ص: 71.

موروثاته مستغنيًا بالإسلام عنها، فلجؤوا إلى نقل آثارهم الفكرية، وشيء من آدابهم على سبيل المباهاة؛ وليبرزوا للعرب ما كانوا عليه من حضارة ورُقِيٍّ، ولعل كتاب" كليلة ودمنة [1]"المنقول عن الفهلوية، أو البهلوية إلى العربية يعبِّر عن هذا التوجُّه، وهو مثال فقط لمجموعة من الآثار المنقولة، ويُذكر أن عبدالله بن المقفَّع[2] قد أسرف في ترجمته لكتاب كليلة ودمنة في التحرُّر من الأصل.

وهذا ضرب من ضروب النقل والترجمة، قد يدخل في مفهوم التعريب، أكثر من دخوله في مفهوم النقل والترجمة على ما مر بيانه في الفصل الأول [3].

ولعل الشعوبية بنقلهم هذا كانوا يلمزون العرب والإسلام الذي جعل منهم قادة للعلم، فأرادوا أن يظهروا للعرب أنهم كانوا أفضلَ منهم حضارة وثقافة، وأرادوا – إن استطاعوا – أن يضعفوا من أحكام الإسلام بتعاليم الفلسفة، وأن يؤلِّبوا عليه أبناءه، فكان النقل والترجمة هنا سلاحًا للهدم والتخريب[4].

✓ **حادي عشر** :غلب على الخلافة العباسية فتح أبواب الفكر لكل من يلجُها، فتركت الحريات في التأليف، والردود على المؤلفين، وبدا هذا واضحًا مع استفحال الجدل حول الجوانب العقدية، وما ظهر حولها من فِرَق، ثم إن الأمر تعدَّى ذلك إلى أن تفتح الأبواب لغير المسلمين ليردُّوا على المسلمين في ديار المسلمين، فهذا يوحنَّا الدمشقي[5] يؤلف كتبه في الرد على المسلمين؛ مثل: محاورة مع مسلم وإرشادات النصارى في جدل المسلمين [6]، والخليفة عبدالله المأمون يستقبل بعض أقطاب المانوية [7] ويجادلهم، ويدلون بآرائهم عنده، ويجادلهم

---

[1] كليلة ودمنة: كتاب في إصلاح الأخلاق، وتهذيب النفوس، وضعه بيدبا الفيلسوف الهندي، وهو كتاب على ألسنة البهائم والطيور، وجاء على أربعة عشر بابًا، نقله من الهندية إلى الفارسية برزويه، ومن الفارسية إلى العربية عبدالله بن المقفع، وجعلت له ترجمات أخرى بين الفارسية والعربية والتركية؛ انظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** – 2مج – د. م.: دار الفكر، 1402هـ/ 1982م – ص 1507 – 1509.

[2] عبدالله بن المقفع: من أئمة الكُتاب، وأول من عني بترجمة كتب المنطق، ولد بالعراق سنة 106هـ/ 724م، وكان مجوسيًّا فأسلم، وترجم كتب أرسطوطاليس الثلاثة في المنطق، وكتاب المدخل إلى علم المنطق المعروف بإيساغوجي، وترجم عن الفارسية كتاب كليلة ودمنة، وله الأدب الكبير، والأدب الصغير، والصحابة، واليتيمة، وقتل متهمًا بالزندقة سنة 142هـ/ 759؛ انظر: القفطي: **أخبار الحكماء**؛ مرجع سابق – ص: 148، وابن حجر العسقلاني: لسان الميزان؛ مرجع سابق – 3: 366.

[3] عبدالحكيم حسَّان عمر، **الترجمة الأدبية ومشكلاتها** – الفيصل ع 239 (جمادى الأولى 1417هـ/ سبتمبر – أكتوبر 1996م) – ص: 39 – 44.

[4] علي حسين الشطشاط: **الطبيب والمترجم الناقل ثابت بن قرَّة الحرَّاني** – بنغازي: جامعة قاريونس، 1990م – ص: 62

[5] القدِّيس يوحنا الدمشقي: حفيد سرجون، كاتب عند معاوية، ألَّف في اللاهوت، والفلسفة والخطابة والتاريخ والشعر؛ انظر: **المنجد في الأعلام**؛ مرجع سابق – ص: 564.

[6] خضر أحمد عطا الله: **بيت الحكمة في عصر العباسيين** – القاهرة: دار الفكر العربي، (1989م) – ص: 336.

[7] المانوية: أصحاب ماني بن فاتك، أحدث دينًا بين المجوسية والنصرانية، كان يقول بنبوة عيسى ابن مريم عليهما السلام، ولا يقول بنبوة موسى بن عمران عليه السلام، ويزعم أن العالم مصنوع من أصلين قديمين؛ أحدهما نور، والآخر ظُلمة، وأنهما أزليان؛ انظر: الشهرستاني: **الملل والنحل**؛ مرجع سابق – 1: 244 – 249.

أهل الكلام من المسلمين، وكان من نتيجة هذا أن نقلت بعض المقالات والكتب في الزندقة وصنوف الانحراف العقدي؛ فكان هذا من دوافع لجوء أهل الكلام إلى المنطق، وصناعة الجدل، لحماية الدين من رواسب الدخيل[1].

✓ **ثاني عشر** :كانت اللغة العربية وسيلة لحفظ الآداب والآثار الأخرى، وذلك عندما أحس أصحاب هذه الآداب والآثار أنها تتراجع أمام المد اللغوي العربي، وظهرت أجيال فارسية ونصرانية، لا تجيد لغتها بعد غلبة العربية عليها، فكان النقل والترجمة وسيلة لتذكير هذه الأجيال بموروثاتها، ولو بلغة العصر العربية.

وإن يكن لبعض اللغات فسحة في المجتمع المسلم فإن اللغة العربية هي لغة الدولة، وما يتبع هذا من تغليبها،بل التوكيد عليها في الدواوين وفي المكاتبات[2] وفي شؤون الحياة، على مثل ما مر بيانه في حادثة الحجاج، التي مر ذكرها، ويدخل في هذا رغبة المسلمين في نشر اللغة العربية، والعمل على جعلها لغة العلم والفكر والثقافة .

✓ **ثالث عشر** :كان من الجوانب غير المحببة – بالضرورة – أن يتوسع الناس في المأكل والمشرب، وأن يتأثروا بأطعمة الفرس والروم من حولهم، لا سيما أن جزءًا من هؤلاء قد دخل في دين الله، فنقل معه موروثاته الشعبية، التي لم يرَ فيها تعارضًا مع الدين الجديد، وكانت النتيجة أن زادت الأمراض، وتطلب الأمر تطورًا في طُرق الوقاية والتشخيص والعلاج، فكان أن استعان المسلمون العرب بتجربة من سبقهم، بالإضافة إلى ما لديهم في مجالات الطب والصيدلة والكيمياء، وغيرها من مستلزمات الاستطباب.

✓ **رابع عشر** :على أن هناك بواعث أخرى للنقل والترجمة، يذكرها من يريد التوكيد على تأثير أمة من الأمم على الأمة الإسلامية، وتبرز من خلالها) الحاجة التي في نفس يعقوب(، التي ذكرها الأستاذ عبدالرحمن مرحبا بقوله: "ينبغي لنا ألا نغلو في تقدير أثر النقلة السُّرْيان، كما يفعل بعض الباحثين لحاجة في نفس يعقوب، فلا يجحد الأهمية الكبيرة التي يتمتَّعون بها في تاريخ الفكر العربي إلا جاهل أو مكابِر، ولكن هذه الأهمية لها حدودها المقررة التي لا يجوز أبدًا تخطيها، سواء في الحضارة الإسلامية أو في أي حضارة أخرى"، ومنها ما ذكره أحدهم، من أن السُّرْيان والنساطرة والكلدان كانوا بحاجة إلى ما يتقربون به إلى الملوك والولاة، فكرسوا حياتهم لخدمة العرب والفكر الشرقي، ومنها إمكانية الردِّ على الحركات العنصرية، "حيث تعرَّض العرب إبَّان العصر العباسي إلى حملة شعواء قادها الشعوبيون ضد العرب ومكانتهم وتراثهم.[3]"

وكان من الدوافع المشجعة على النقل والترجمة ماديًّا التوجُّه نحو جلب الورق وصناعته، وتطوير هذه الصناعة، وانتشارها في الأمصار الإسلامية، ووجود الوراقين بكثرة، بحيث كانوا جزءًا من المكتبات، أو دور الحكمة، أو خزانات الكتب، على اختلاف في التسميات، وكذا وجود أسواق خاصة بهم في الحواضر الإسلامية[4].

---

[1] نجيب العقيقي: **المستشرقون** – 3ج – ط 4 – القاهرة: دار المعارف، 1980م – 1: 72.

[2] ذكر النديم في: **الفهرست** (ص 399 – 408) مجموعة من آثارهم المنقولة إلى العربية، منها كتب ماني ورسائله.

[3] أحمد بن محمد بن عبدالله الدبيان:حنين بن إسحاق؛ مرجع سابق – 1: 40.

[4] محمد ألفا جالو، **الحياة العلمية في نيسابور خلال الفترة 290 – 548هـ/ 901 – 1153م** – رسالة دكتوراه – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1420هـ – ص: 176.

المطلب الثاني : مراحل النقل والترجمة

يذكر المعنيون أن للنقل فيما يتعلق باللغة العربية أربع مراحل:

- ✓ المرحلة الأولى: نقل الفكر الإغريقي (اليوناني) والهندي والفارسي والمصري، وترجمته إلى اللغة العربية، إما مباشرة أو عن طريق اللغة السُّرْيانية.
- ✓ المرحلة الثانية: نقل الثقافة الإسلامية باللغة العربية، وترجمتها إلى اللغة اللاتينية، واللغات الأوروبية الأخرى مباشرة [1].
- ✓ المرحلة الثالثة: نقل الثقافة الإسلامية والثقافة اليهودية باللغة العربية، وترجمتها إلى اللغة العبرية.
- ✓ المرحلة الرابعة: نقل الثقافة الإسلامية والثقافة اليهودية باللغة العربية، وترجمتها إلى اللغة اللاتينية، واللغات الأوروبية الأخرى.

• سيرد التوكيد على أن النقل والترجمة في بداياتها جاءت من اليونانية والفارسية الفهلوية، أو البهلوية، والهندية عن طريق السُّرْيان، ثم انتقل المسلمون إلى مرحلة النقل المباشر إلى اللغة العربية عن اللغات الأخرى [2].

• كما سيقتصر الحديث في هذه الوقفة على المرحلة الأولى؛ وهي نقل الفكر الإغريقي (اليوناني)، وترجمته من اللغة اليونانية مباشرةً، أو عن طريق اللغة السُّرْيانية، ونقل الفكر الهندي والفارسي والمصري وترجمته إلى اللغة العربية.

• ما دامت اللغة السُّرْيانية ستدخل في هذه المرحلة فلا بد من العودة قليلًا إلى عصر ما قبل الإسلام، للتعرف إلى ظروف نقل الفكر الإغريقي (اليوناني) إلى اللغة السُّرْيانية، والتعرُّف إلى المراكز التي قامت بهذا النقل، ثم الانتقال إلى العهد الإسلامي، بدءًا ببعثة سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم إلى نهاية الخلافة العباسية (سنة 656هـ/ 1258م).

• أما المراحل الثلاث الباقية فتحتاج إلى وقفات ثلاث متفرقة، لعلها تكون مجالًا للتركيز في مستقبل الأيام بإذن الله تعالى، ولا تشملها هذه الوقفة العجلى.

• على أنه لا بد من التوكيد على أن النقل أو الترجمة أو التعريب إنما هي وسيلة لا غاية؛ فهي تدخل في مفهوم قول الأصوليّين: "علوم الوسائل من أجلِ علوم الغايات" [3] والتوكيد كذلك على أنها لست متعة ذهنية – وإن كانت يمكن أن تكون كذلك – وأنها مسؤولية

---

[1] سيمون الحايك: **تعربت وتغربت، أو نقل الحضارة العربية إلى الغرب** – بيروت: المطبعة البولسية، 1987م ، ص 605.

[2] أحمد شحلان: **دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية** – ص: 257 – 284. في: حلقة وصل بين الشرق والغرب – أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون – الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1406هـ/ 1985م.

[3] جيهان سليم، **عولمة الثقافة وإستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة** – المستقبل العربي ع 293 مج 26 (2003/7م) – ص: 118 – 136.

ليست سهلة؛ لأنها تقتضي الأمانة العلمية الدقيقة في نقل نتاج الغير وترجمته، أو نقل النتاج العلمي لهذه الأمة وترجمته إلى الغير [1]؛ ولذلك قيل: إنها عملية أصعب من التأليف ابتداءً [2]، كما أنها "عملية إبداعيَّة معقدة، يدرك المترجم خلالها كل تفاصيل المعنى الأصلي في لغة الأصل، وينشئ نصًّا جديدًا، محافظًا فيه على كل تفاصيل هذا المعنى الأصلي وظلاله" [3].

• ويتوسَّع أسعد الحكيم في مناقشة حقيقة الترجمة ونظرياتها، معدِّدًا النظريات التي صيغت حولها إلى أربعٍ، تُذكر هنا دون التوسع في البحث فيها، وهي:

- نظرية الترجمة العامة.
- نظرية الترجمة الخاصة.
- نظرية الترجمة الاختصاصية.
- نظرية الترجمة الآلية [4].

[1] شحادة الخوري: **واقع الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي** – الفيصل ع 239 (جمادى الأولى 1417هـ/ سبتمبر – أكتوبر 1996م) – ص: 57 – 62.

[2] سالم جبارة: **الترجمة والنقل في العصر العباسي** – الموقف الأدبي ع 202 و203 (2و1988/3م) – ص: 142 – 157.

[3] أسعد الحكيم: **حقيقة الترجمة** – الموقف الأدبي ع 202 – 203 (2 و1988/3م) – ص: 55.

[4] نفسه ، ص: 56 – 57.

المطلب الثالث : الآثار الإيجابية والسلبيَّة للترجمة

من نتائج دعوة الإسلام إلى العلم والبحث عن الحكمة جرى نقل الفكر الإغريقي) اليوناني (والفارسي والهندي والمصري)القبطي(، وترجمته إلى اللغة العربية، لغة الإسلام والمسلمين.

وتتَّفق أدبيات الموضوع على أن لحركة النقل والترجمة نتائجَها الحسنة والسيئة) الإيجابية والسلبية(، التي ينبغي أن توضع في مكانها اللائق بها، عند تقويم هذه الحركة، ونقدها، دون إفراط أو تفريط، وهي مثلُ غيرها من الحركات الحضارية ذات وجهين، لا تسلم منهما؛ الوجه الحسن، الذي من أجله كان الإقبال عليها، والوجه السيِّئ الذي يدخل في مفهوم الضرر، أو الشر الذي لا بدَّ منه، ما دام ذلك كلُّه من صنع البشر.

- **الآثار الإيجابيَّة:**

لعل من أبرز الآثار الحسنة (الإيجابية) للنقل والترجمة الآتي:

☜ **أولًا** :حفظ التراث الإنساني، اليوناني) الإغريقي (والهندي والفارسي والمصري) القبطي(، من الضياع، وقد تم ذلك كله خلال مائة سنة أو أكثر، مما يعدُّ إنجازًا حضاريًّا رائعًا ضخمًا، لا نظير له في حياة الأمم [1].

☜ **ثانيًا** :كان من ميزات هذا الحفظ التركيز على النافع منه للمسلمين والأمم الأخرى، فتمكن الأوروبيُّون من إعادة نقل تراثهم من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية، واللغات الأوروبية الأخرى، بعد أن تعلموا اللغة العربية [2].

☜ **ثالثًا** :صقل هذا التراث العلمي، وبيان ما فيه من خلل، وتعديله، عن طريق المراجعات، والنقل والإضافة، فلم يكن المسلمون مجردَ نقَلَة فحسب.

☜ **رابعًا** :قيام حضارة إسلامية راقية، جمعت بين العلوم النقلية والعقلية، بعد تخطِّي مرحلتي الأخذ والتأمُّل، مما أكسبها طابع الديمومة والتميُّز عن الحضارات السابقة واللاحقة.

وقد ساعد النقل والترجمة على بروز الاتجاه العقلي بوضوح في أفكار المسلمين، وكانت حركة النقل والترجمة "القوة الدافعة للمذهب العقلي[3]" .

☜ **خامسًا** :ظهور طائفة كبيرة من العلماء، تهيَّأت لهم البيئة العلميَّة من خلال دُور العلم والحكمة، ومراكز النقل والترجمة، كما تهيَّأ لهم الدعم المادي والمعنوي من قبل الخلفاء وولاتهم وأمرائهم والموسرين، فكان لهم أثرُهم الواضح على الثقافات الأخرى، التي تلَتْ إبداعاتهم.

☜ **سادسًا** :ظهور حضارة إسلامية، تتميَّز بالشمولية والعمق، مما جعلها في مستوى مقبول من قبل الأمم الأخرى، التي سعَتْ إلى تبنِّيها، أو تبنِّي أجزاء منها، رأت أنها تناسبُها.

---

[1] يوسف عز الدين: **الحضارة المعاصرة والترجمة –** الفيصل ع 244 (شوال 1417هـ/ فبراير – مارس 1997م – ص: 72، 74.

[2] عامر النجار: **حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي** – القاهرة: دار المعارف، 1993م – ص: 14.

[3] شحادة الخوري: **حنين بن إسحق: أحد بناة النهضة العلمية في العصر العباسي** – التعريب؛ مرجع سابق – ص: 146.

☜ **سابعًا** :تسهيل المهمة أمام علماء العصرَيْنِ الوسيط والحديث في استكمال ما قدمته الحضارة الإسلامية للعالم من اختراعات وابتكارات وتطوُّرات علمية في شتَّى الميادين.

☜ **ثامنًا** :اتَّسعت اللغة العربية، بالمصطلحات العلميَّة، والتعبيرات الفلسفيَّة، التي انتقلت إلى العالم مع انتقال نتاج الحضارة الإسلامية إلى اللغات الأخرى، وانتشرت اللغة كذلك، لقابليتها للانتشار، وقدرتها على استيعاب المعارفِ والعلوم، عندما أصبحت هي اللغة العلميَّة[1].

☜ **تاسعًا** :اتَّسع مجال الأدب العربي بما أدخل عليه من تعبيرات، وأفكار، ومعانٍ وخصائص جديدة.

☜ **عاشرًا** :ازدهرت مهنة الوراقة والورَّاقين، فكان الورَّاقون ينسخون الكتبَ المنقولة والمترجمة لعدد كبير من الموسرين ومحبِّي المعرفة، حين يرغبون في اقتنائها في مكاتباتهم الخاصة [2]، أو يوقفونها على طلبة العلم؛ ولذلك أثرَتْ حركة النقل والترجمة مهنة الوراقة "وانتساخُ الكتب المترجمة لعدد كبير من الناس الذين كانوا يحرصون على اقتنائها أو بيعها" [3]؛ وبالتالي ازدهرت صناعة الورق، والأحبار، والأقلام، والخط العربي.

☜ **حادي عشر** :كانت ظاهرة النقل والترجمة من الممهِّدات المهمة لحركة التأليف، التي أفادت من التراث المنقول، واتَّجه الناس إلى العلم والدراسة بدوافع علمية بحتةٍ، من خلال التعليق والتصحيح لما تمَّت ترجمتُه، ثم التأليف في الموضوعات نفسها، وفي موضوعات جديدة، مما أثرى المكتبة العربية الإسلامية بالإنتاج العلمي [4].

☜ **ثاني عشر** :أثرت المكتبة الإسلامية، وكان لهذا أثرُه في تعدُّد المكتبات الخاصة والشخصية، والعامة، في العواصم والخانقاهات، والربط والترب والجوامع والمدارس، والمكتبات المتخصصة التابعة للبيمارستانات [5].

☜ **ثالث عشر** :برزت فكرة التسامُح الديني مع أهل الذمَّة والمجوس من خلال تقريبهم من الخلفاء والأمراء والولاة، والإغداق عليهم نظيرَ جهودهم العلميَّة التي كانوا يقومون بها في النقل؛ فظهرت المناظرات بين المسلمين وأصحاب الفلسفة من الديانات الأخرى، ويبدي أهل الملل ما يعتقدونه، ويرونه أقربَ إلى العقل والمنطق [6].

☜ **رابع عشر** :ساعدت ظاهرة النقل والترجمة على الخروج بفهم عام للمكتبة، لا يقتصر على اقتناء المجموعات وتخزينها، بل كانت

---

[1] كارل بروكلمان: **تاريخ الأدب العربي** – ج 4/ نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ورمضان عبدالتواب – القاهرة: دار المعارف، 1983م – 4: 59 – 79.

[2] ناجي معروف: **أصالة الحضارة العربية** – ط 3 – بيروت: دار الثقافة، 1395هـ/ 1975م – ص: 434.

[3] عبدالهادي هاشم، **مفهوم التعريب** – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج 6 ع 2 (1408/8هـ/1988/4م) – ص: 37 – 43.

[4] حصة صباح السالم الصباح: (**مشرفة**) **العلوم عند المسلمين** – ط 3 – الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، 1990م – ص: 10.

[5] سليم طه التكريتي: **بيت الحكمة في بغداد وأثره في النهضة الفكرية خلال العصر العباسي** – العربي ع 213 (شعبان 1396هـ/ أغسطس 1976م) – ص: 126 – 130.

[6] عبدالعزيز الدوري: **الإسلام وانتشار اللغة العربية والتعريب** – ص: 61 – 109. في: القومية العربية والإسلام: بحوث ومناقشات الدولة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت: المركز، 1900م – (نقله عن البلاذري في: أنساب الأشراف، مخطوط).

المكتباتُ شبهَ مجامع علميَّة فيها حلقات العلم، وإنجازات النقل، والمراصد، والكتب، كما أن فيها المترجمين والورَّاقين، والمجلدين، الذين خصصت لهم الأعطيات، لتعفيَهم من البحث عن أسباب الرزق، وبالتالي التركيز على مهماتهم الجليلة.

☜ **خامس عشر** :أسهمت ظاهرةُ النقل والترجمة في الحرص على العلوم الإسلامية ونقائها من الدخيل، بعد أن ظهر ما يمكن أن يُسمَّى بردِّ الفعل، في الطور الثالث من أطوار حركة النقل والترجمة في الخلافة العباسية، لا سيما عندما لحظ شيء من التداخل مع بداية الطور الثاني [1].

ويدخل في ذلك – ضمنًا – استفادة الحضارة الإسلامية من علوم غيرها في ترسيخ علوم إسلامية ذات عَلاقة بالحساب والجبر والهندسة، خدمَت الدين الإسلامي في تحديد القبلة، وصيام شهر رمضان المبارك، وإفطاره، والحج وموسمه [2].

☜ **سادس عشر** :ظهر واضحًا أن ظاهرة النقل والترجمة كوَّنت جسرًا فعَّالًا من الحوار مع الحضارات الأخرى السابقة على الحضارة الإسلامية، وبالتالي اللاحقة لها.

والحوار الحضاريُّ من أهم ركائز التعايُش بين الأمم، ويتمُّ بأشكال متعددة؛ لعلَّ النقل والترجمة من أبرزها – بل من أهمِّها – ذلك أن الحضارة كما يقول محمد عبدالحميد الحمد: "حوار ثقافي مستمرٌّ بين الأمم المتباينة الأَلْسُن، وأفضل أدوات التواصل هو اللسان، الذي قال عنه البيروني: اللسان هو الذي يترجمُ للسامع ما يريده القائل في الوقت الراهن، فكيف يتيسَّر نقل الخبر من الماضي إلى المستقبل على الألسنة مع تطاول الزمن؟ إنه لولا قوةُ النطق في الإنسان المبدع للخطِّ الذي يسري في الأمكنة سريان الرياح وفي الأزمنة سريان الأرواح ما كان ذلك ممكنًا، فسبحان الخالق مصلح أمور الخلق"[3] .

سلبيات الترجمة :

يأتي من أبرز النتائج السيئة (السلبيَّة) لحركة النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية الجوانب الآتية:

☜ **أولًا** :كانت ظاهرةُ النقل والترجمة مجالًا واسعًا لتسرُّب ثقافات الغير إلى الثقافة العربية الإسلامية، مثلها في ذلك مثل وجود المدارس الأجنبيَّة في المجتمع المسلم، والاختلاط مع الأقوام الأخرى، والاحتكاك المباشر بهم، والسكن بينهم [4].

---

[1] أنطوان المقدسي: **التعريب في دلالته التاريخية: من الترجمة إلى التعريب –** الآداب، مج 23، ع 1 (1975/1م) – ص: 14 – 16، 49 – 55.

[2] عماد الدين خليل: **مؤشرات حول الحضارة الإسلامية** – القاهرة: دار الصحوة، د.ت – ص: 26.

[3] جمعة شيخة: **"دور مدرسة الترجمة بطليطلة في نقل العلوم العربية إلى أوروبا"** – ص: 127 – 137. في: السجل العلمي لندوة الأندلس: قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث: الحضارة والعمارة والفنون – الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، 1417هـ/ 1996م.

[4] أنور الرفاعي: **الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية** – ط 3 – دمشق: دار الفكر، 1406هـ/ 1986م – ص: 527 – 534.

وقد لا ينظرُ إلى هذا العامل نظرةً سلبية، بل ربما نُظر إليه على أنه من وسائل النهضة، التي انطلقت منذ بعثة سيدنا محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، وأن طبيعة هذا الدين تتحمَّل المزيد من الثقافات؛ من حيث الأخذُ منها، والاقتباس من حكمتها، وردُّ غير النافع فيها[1] .

☜ **ثانيًا** :ربما كانت ظاهرة النقل والترجمة مدخلًا لسوء استغلال التسامح الديني مع أهل الذمة والمجوس؛ إذ لم يراعِ النَّقلة والمترجمون هذه السِّمة، فحاولوا التدخُّل في تجاوز بعض الأحكام الشرعيَّة؛ مثل التوصية بشرب الخمر، أو المداومة على سماع الموسيقا والأغاني، واستُغلَّ هذا أيضًا في تحقيق مطامع سياسية، أو عرقية، أو عقديَّة، ويورد جرجي زيدان قصصًا من تسامُح الخلفاء والولاة والأمراء مع أهل الذمة تَصِل إلى ما يوحي بإقرارهم على بعض السلوكيَّات التي لا يقرُّها الدين[2] .

☜ **ثالثًا** :كان لظاهرة النقل الترجمة أثرها في السعي إلى تفتيتِ الثقافة الإسلاميَّة باستشراء المنطق والجَدَل، وبالتالي علم الكلام، ونشوء فرقٍ آثرت تغليبَ العقل على النقل، شجَّعها بعض الخلفاء وتبنَّوْا أفكارها، فكانت محنٌ كقِطَع الليل المظلم، تصدَّى لها العلماء، فكان على أيديهم استمرارُ حفظ هذا الدين، وأبرزُ هذه الفرق فرقةُ المعتزلة[3] ، التي كان لها شأن كبير في الطور الثاني من أطوار النقل والترجمة في الخلافة العبَّاسية، حيث تبنَّاها الخليفة المأمون، ودفع الناس لتبنّيها، وأوصى من بعدِه بتبنّيها، وكانت أثرًا من آثار ظاهرة النقل والترجمة عن اللغة الإغريقية) اليونانية[4] .

☜ **رابعًا** :نتيجة الاعتماد على بعض النقلة غير المتخصصين – صاحَبَ النقلَ عجزٌ في الدقة والعمق، لا سيما في معرفة المصطلحات، واللغات العلميَّة للموضوعات المنقولة، وساعد هذا على الخلط المذكور آنفًا؛ ولذلك عَمَد الخلفاء إلى تكليف النَّقلة والمترجمين في إعادة بعض الترجمات من جديد، كما فعل الكندي في إعادة ترجمة كتاب الربوبية؛ لأرسطو[5].

☜ **خامسًا** :كان لنتيجة الاعتماد على النقلة والمترجمين السُّرْيان أن جاءت جملةٌ من الترجمات عن اليونانيَّة مصحوبةً – كما قيل – بأخطاء فاحشةٍ، وأعمال منحولةٍ، أدخلت فيها الشعوذة، وبعض الطقوس الموروثة مع الفلسفة، فحصل خَلْط، وكان على المسلمين عبء التَّنقيةِ والتقويم، وتسرَّب شيء منه إلى الفكر الإسلامي، واستمرَّ الخلط للنقل في مراحله الأخرى على الغالب.

☜ **سادسًا** :كان لنتيجة الاعتماد على النقلة السُّرْيان أن جاءت بعض النقول وهي تفتقر – كما قيل – إلى الأمانة العلمية، حيث

---

[1] عثمان موافي: **التيارات الأجنبية في الشعر العربي** – الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1991م – ص: 112 – 137.

[2] شحادة الخوري، **الترجمة والثقافة – التعريب** ع 10، مج 5 (كانون الأول (ديسمبر) 1995م – ص: 63 – 73

[3] محمود فيصل الرفاعي: **مبادئ من التراث لاستنباط مصطلحات اليوم لعلوم الهندسة** – ص: 150 – 165. في: أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد بجامعة حلب من 21 – 25 نيسان 1987م، الموافق: 22 – 26 شعبان 1407هـ – ج 2 – حلب: الجامعة، 1987م.

[4] نشأت الحمارنة: **إسهامات العلماء العرب في علم الكحالة** – ص: 87 – 113. في: الموسم الثقافي الأول 1415 – 1416هـ/ 1995م – دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة التراث، 1416هـ/ 1995م.

[5] محمد الديك: **العوامل التي أدت إلى ازدهار العلوم عند العرب، ومدى تأثير التقدم العلمي العربي في النهضة الأوروبية الحديثة –** ص: 295 – 305. في: أبحاث المؤتمر السنوي الثامن لتاريخ العلوم عند العرب؛ إعداد: محمد عزت عمر – حلب: معهد التراث العلمي العربي، جامعة حلب، 1987م.

كان للسُّرْيان أثرُهم في طمس بعض الفِكَر، التي رَأَوْا أنها تتعارض مع توجهاتهم الدينية، وكان معظمهم من النَّساطرة الذين خاضوا في طبيعة المسيح عيسى ابن مريم عليهما السلام، فقامت المراكز السُّرْيانية لغرض تأييد ما ذهبوا إليه، فانعكس هذا على ما نقلوه إلى اللغة العربية، أو ما نقل عنهم إليها.

☜ **سابعًا** :كان هناك جملة من النَّقَلة لم يكونوا يجيدون اللغتَيْنِ: المنقولةَ إليها، والمنقولةَ منها إجادةً تامة، وبعضهم لا يجيد لغةً من اللغتين إجادة تامة، وكان لهذا أثره على عدم الوضوح في الأفكار المنقولة، ويأتي التوكيد هنا على عدم الإجادة التامة، التي تُؤهِّل صاحبها إلى النقل والترجمة من اللغة وإليها.

☜ **ثامنًا** :كان هناك جملةٌ من النَّقَلة استغلُّوا نَهَم الخلفاء والأمراء والولاة والموسرين، وإقبالَهم على العلم، وتكريمهم العلماء؛ فكانوا ينقلون الجزء من الكتاب، ويجعلونه كتابًا مستقلًّا، والجزء الآخر كتابًا مستقلًّا، وهكذا، وكانوا ربما يَنحِلون الكتب، وينسبونها إلى المشهورين من العلماء؛ طمعًا في جزيل العطاء، وكان لهذا أثرُه في عدم رَتابةِ الأفكار التي جاء بها الكتاب الأصل .

هذا بالإضافة إلى تضخيم العمل المنقول والمترجم، وتكبير الخطوط، وتثقيل الورق؛ طمعًا في مقابل زيادة وزن المخطوط، وبالتالي زيادة المكافأة عليه، ومما يذكر في هذا أن بيوت الموسرين قد تحوَّلت إلى مراكز ثقافية، يُزاول فيها النقل والترجمة، ويخصص لها المترجمون، كما يخصص لها الوراقون، على ما مر بيانه.

☜ **تاسعًا** :كانت حركة النقل والترجمة مجالًا واسعًا لنفرٍ من المستشرقين في ترسيخ شُبههم حول العلوم الإسلاميَّة، واشتقاقها من علوم سابقة، وفي هذا سعي إلى التوكيد، عندهم، على عدم أصالة العلوم الإسلامية، ذلك التوكيد الذي يؤدي إلى الزعم بأن الإسلام، جميعه، مستمد من الثقافات السابقة عليه، لأنه – كما يقول هذا النفر من المستشرقين – تجميع من الثقافات النصرانية واليهودية واليونانية، وربما الهندية والفارسية [1].

يلحظ هذا عند الحديث عن أثر ظاهرة النقل والترجمة، وأنها عرفت المسلمين بالعلوم الكثيرة، ومن ضمنها القانون اليوناني الذي – كما يقولون – برزَت آثاره على الفقه الإسلامي، واللغة العربية، والأمثلة في هذا المجال كثيرة.

وفيما يتعلق بالموضوع مباشرةً يجعل أنطوان المقدسي من المسلَّمات أخذ العرب عن السابقين، وتطويرهم لما أخذوه، ويمثِّل لذلك بالفقه، واللغة العربية، وعلم الكلام، والتاريخ، والجغرافيا، إضافة إلى العلوم الأخرى ، واشتقاقُ الفقه الإسلامي من الثقافات السابقة فِريةٌ روَّج لها نفرٌ من المستشرقين، ولا أساسَ لها من الصحَّة .

☜ **عاشرًا** :أسهمَتْ ظاهرة النقل والترجمة – بالإضافة إلى الاختلاط بالثقافات الأخرى – في توكيد مفهوم الفلسفة في الإسلام، فصارت تُنسب إلى الإسلام، وكأنها عِلمٌ من علوم المسلمين، ويدور جدلٌ ونقاش – إلى اليوم – حول مدى صحة هذا الإطلاق، وكأن بعض المناقشين قد انتقل من نسبةِ هذا العلم إلى الإسلام إلى الإنكار الواضح على من يقف في طريق هذه النسبة، فيُرمى بالنُّعوت السلبية

[1] أحمد شوقي إبراهيم العمرجي: **المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية** – القاهرة: مكتبة مدبولي، 2000م، ص 66.

المنقولة عن الثقافات المعاصرة الأخرى؛ كالأصوليَّة مثلًا، ورغم ما في هذا المجال من كثرة المنشور إلا أن السؤال لا يزال قائمًا: هل في الإسلام فلسفة؟ وما مفهومها إذا كان الجواب: بنعم؟ ويخرج نقاش هذه القضية عن موضوع هذه الوقفة [1].

☜ **حادي عشر** :ومثل الفلسفة أسهمت ظاهرةُ النقل والترجمة والاحتكاك بثقافات الغير في توكيد مفهوم الموسيقا والغناء؛ ونتيجة لترجمة كتب في الفلسفة والموسيقا، وما صحب هذا من ترحيبٍ من قِبَل بعض الخلفاء، وصل إلى درجة السماع والاستمتاع؛ فظنَّ بعض الباحثين والمفكِّرين من المهتمين بالتراث من المستشرقين وغيرهم، أن هناك موسيقا عربية أو موسيقا إسلامية، حتى دخلت الموسيقا والرقص في شعائر دينيَّة، وفي مناسبات خاصة، برزت لدى بعض غلاةِ الصوفية، ونُسبت إلى الإسلام، يقول حيدر بامات: "إن المسلمين المتمسكين بالإسلام يتَّخذون موقف التحفُّظ من الموسيقا، فالعبادة لا تستخدمُها، كما أن الفقهاء ومؤسسي المذاهب الأربعة كانوا يُعادُونها صراحةً، أما الطوائف الصوفيَّة؛ مثل: الملولين (يعرفون بالغرب باسم الدراويش المترنحين)، والدركاوة (ينتشرون في شمال إفريقيا بشكل خاص)، فإنهم يهتمون اهتمامًا بالغًا بالموسيقا.[2] "

وصار سماع بعض أولياء الأمر للموسيقا حُجةً على جوازها مطلقًا، وأصبح إغداقهم على الكتب المنقولة في الموسيقا عند البعض دليلًا على أنها جزءٌ لا يتجزَّأ من الحضارة الإسلاميَّة، ولا بدَّ هنا من الفصل بين الإسلام ومفهوم هؤلاء المفكِّرين عن الحضارة الإسلامية[3] .

وكان لهذا أثرُه على الصفاء العقدي؛ إذ أوجدت هذه النظرات شيئًا من الجدل بين رجال العلم في الإسلام، ومفكِّريه، ومثقَّفيه من جهة، والدَّاعين إلى الانفتاح الكامل على ثقافات الغير من جهة أخرى، بزعم أن كلَّ ما فيها مفيد وقابل للاستيعاب، يدعو بهذا أتباع مدرسة أرسطو، الذين أُطلِق عليهم المشاؤون المسلمون، فتصدَّى لها روَّاد الأصالة؛ أمثال: الإمام الشافعي، والإمام الغزالي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، مؤكِّدين على أن الفلسفة اليونانية تقوم على الوثنيَّة والعبودية لغير الله تعالى، بينما يقوم الإسلام على توحيد الله تعالى بالعبادة، وكذلك التعارُف بين الشعوب والقبائل، والإخاء بين المؤمنين [4].

---

[1] عبدالحليم محمود: **التفكير الفلسفي في الإسلام** – ط 2 – القاهرة: دار المعارف، 1989م – ص: 204.

[2] ماهر عبدالقادر محمد: **انتقال التراث اليوناني إلى العالم الإسلامي ودوافع حركات الاستشراق** – ص: 165 – 206. في: المشكاة – (الإسكندرية): دار المعرفة الجامعية، 1985م.

[3] عبدالحليم محمود: **موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة** – القاهرة: دار الرشد، 1424هـ/ 2003م – ص 262.

[4] أنور الجندي: **حركة الترجمة** – القاهرة: دار الاعتصام، 1978م – ص: 9 – 12.

المبحث الثاني : مراكز النقل والترجمة في الخلافة العباسية في العصر الأول

المطلب الأول : أطوار النقل والترجمة

إن الخلافة العباسية ممتدَّة من حيث الزمان؛ فقد قُسمت ظاهرة النقل والترجمة فيها على ثلاثة أطوار أو أدوار، يقول أحمد بن محمد بن عبدالله الدبيان: "اعتاد كثير من الباحثين ومؤرخي العلوم تقسيم حركة النقل والترجمة العربية إلى ثلاثة أدوار ذات بداية ونهاية معلومة... وهذا التقسيم تنقصه الدقَّة الكافية؛ لأنه يصعب إقامة فواصل دقيقة بين أدوار الترجمة أو تحديدها بسنة معيَّنة، كما أنه قد أغفل الترجمة في العصر الأُموي، كما هو ظاهر" [1].

يسهم شحادة الخوري في هذا التوجُّه، حيث يكتفي بتقسيم العصر العباسي – بالنسبة إلى ظاهرة النقل والترجمة – إلى دورين اثنين فقط:

- ✓ **الدور الأول** :يمتدُّ من قيام الخلافة العبَّاسية إلى بداية عهد الخليفة عبدالله المأمون (132 – 198هـ/ 749 – 813م).
- ✓ **الدور الثاني** :يبدأ بتولي الخليفة عبدالله المأمون الخلافةَ، وينشط طيلة عهده، ويستمر بعده على وهنٍ وضعف.[2]

تقسيم ظاهرة النقل والترجمة إلى أطوار أو أدوار على هذا النحو إنما أريدُ به مدة خلافة بني العباس فقط، مع النظر إلى أثر بني أُمية في ظاهرة النقل والترجمة، ومع الأخْذِ بعدم دقَّة التحديد الزمني لكل طور أو دور، ولكنه التقسيمُ التقريبي لعصر طال زمانُه، واختلفت فيه نظرة خلفائه، وولاتهم وأمرائهم، حول العلم والعلماء عامة، وإلى النقل والترجمة خاصة، بين مفرِط في النظرة إلى ذلك، ومفرِّط فيها.

الذين ذهبوا إلى تقسيم ظاهرة النقل والترجمة في العصر العباسي إلى أطوار ثلاثة يقسمونها على النحو الآتي:

- ✦ **الطور الأول** :يبدأ بالخليفة أبي جعفر المنصور (توفي سنة 158هـ/ 774م)، والخليفة هارون الرشيد، (توفي سنة 193هـ/ 808م)، بين سنَتَيْ 136 و193هـ/ 753 و808م.
- ✦ **الطور الثاني** :يبدأ في عهد الخليفة عبدالله المأمون (توفي سنة 218هـ/ 833م)؛ أي: من سنة 198هـ/ 813م إلى سنة ، 300هـ/ 912م ويغطِّي هذا الطور قرنين من الزمان، هما أجلُّ الأطوار الثلاثة، بل وأجلُّ ظاهرة النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية على الإطلاق.
- ✦ **الطور الثالث** :يبدأ من سنة 300هـ/ 912م إلى نهاية الخلافة العباسيَّة سنة 656هـ/ 1258م، ورغم طول هذا الطور الزمني؛ إذ امتد ثلاثة قرون ونصف، إلا أنه كان يمثِّل مرحلة النزول في المنحنى الذي بلغ أَوْجَه ارتفاعًا في عهد الخليفة عبدالله المأمون.[3]

فيما يأتي تفصيلٌ لكل طور من الأطوار الثلاثة، المحصورة على الخلافة العباسية:

---

[1] أحمد بن محمد بن عبدالله الدبيان: **حنين بن إسحاق**؛ مرجع سابق – 1: 44.

[2] شحادة الخوري: **الترجمة والرقي الحضاري –** المجلة العربية للثقافة ع 5 مج 3 (ذو القعدة 1403هـ/ سبتمبر (أيلول) 1983م) – ص: 131 – 148، وانظر أيضًا: شحادة الخوري: الترجمة ومهمتها الحضارية – ص: 147 – 167.

[3] شحادة الخوري: **حنين بن إسحق أحد بناة النهضة العلمية في العصر العباسي** – التعريب – مرجع سابق – ص: 137 – 138.

☜ **الطور الأول (136 – 193هـ/ 753 – 808م):**

يتميَّز هذا الطور بأنه بداية مرحلة التأصيل، والانتقال من مرحلة الأخذ، أو الاستقبال، إلى مرحلة التمثُّل، وهو البداية فقط، إذ لا زال يشهد هذا القرن الثاني الهجري صورة التلميذ النجيب الذي يتلقى العلم والمعرفة، قصدًا إلى أن يتكون، فينطلق [1].

المطلب الثاني : مراكز النقل والترجمة في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور

لقد مرَّ أن ظاهرة النقل والترجمة قد تراجعت في نهاية الخلافة الأُموية، فجاء الخليفة أبو جعفر المنصور، فأقام حركة النقل والترجمة من كَبْوَتها، فاستقدم جورجيوس بن بختيشوع من مدرسة جنديسابور مع تلميذيه إبراهيم وعيسى ابني شهلا، وكلَّف يوحنا أو يحيى بن البطريق بنقل أشياء من الكتب القديمة، وترجم منكه الهنديُّ كتاب شاناق في السموم، وعرَّب كتبًا في الطب والفلك [2].

لقد أنشأ الخليفة أبو جعفر المنصور ديوانًا للنقل والترجمة، وأرسل إلى ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة، فأرسل له الملك شيئًا منها.

برز عبدالله بن المقفع في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، كأحد أعمدة النقل والترجمة من اللغة الفارسية إلى العربية، فترجم كتاب" كليلة ودمنة"، وترجم كتبًا ثلاثة لأرسطو عن الفارسية، هي: المقولات، والعبارة أو القضايا التصديقية، والقياس وصورة إنتاجه، وهو الذي أعطاها أسماءها العربية[3].

إلا أن عمر فرُّوخ يستبعد أن يكون عبدالله بن المقفع مترجم كليلة ودمنة هو نفسه مترجم كتب أرسطو، فلعل "هنالك رجلًا آخر اسمه عبدالله بن المقفع (بن ساويرس) نقل كتب الفلسفة والمنطق والطب التي ينسب نقلها وهمًا إلى عبدالله بن المقفع صاحب كتاب كليلة ودمنة[4]."

يناقش إسماعيل مظهر الأطوار التي مر بها كتاب كليلة ودمنة، ويذكر أنه أشهر ترجمات ابن المقفَّع، وكان الكتاب يدعى أساطير الحكيم بيدبا، وكان قد نقل لكسرى أنو شروان إلى اللغة الفهلوية، أو البهلوية عن السنسكريتية لغة الهند القديمة، وترجمه المنصر بوذ إلى اللغة السُّرْيانية عن اللغة الفارسية سنة 570 قبل الميلاد، وهي الترجمة التي يرى المستشرقون أنها خالية من آثار الوضع والحذف والإضافة. أما نسخة ابن المقفع العربية فظاهر فيها من آثار الإدخال ما يظهر في كل التراجم السُّرْيانية، التي ظهرت في أواخر العصر السُّرْياني، وفي كل النقول والتراجم التي أخذت عن النسخة العربية إلى الفارسية الحديثة، وإلى اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية والإسبانية والإنجليزية والفرنسية والألمانية على أن الترجمة العربية هي التي أعطَتِ الكتاب هذا الصيت البعيد.

---

[1] سالم جبارة: **الترجمة والنقل في العصر العباسي** – الموقف الأدبي؛ مرجع سابق – ص: 142 – 157

[2] إبراهيم وعيسى ابنا شهلا: تلميذا جورجيوس، فأما إبراهيم فورد ذكره، عندما انتقل جورجيوس إلى بغداد أخذه معه، ومعهما عيسى بن شهلا، ثم يتوقف ذكر إبراهيم، ويخلف عيسى بن شهلا جورجيوس في الخدمة، ولكنه يسيء النفوذ الذي حصل عليه، إلا أنه خدم الخليفة أبا جعفر المنصور، إلى أن مات المنصور نفسه 158هـ/ 774م؛ انظر: ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، المرجع السابق – ص: 184 – 486.

[3] عمر فروخ: **تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون** – ط 4 – بيروت: دار العلم للملايين، 1983م – ص: 272.

[4] النديم، **الفهرست**؛ مرجع سابق – ص: 305.

كلَّف الخليفة أبو جعفر المنصور إبراهيم بن حبيب الفزاري بالاشتراك مع أحد علماء الهند، الذين قدموا على الخليفة أبي جعفر المنصور بترجمة كتاب برهم كبت: سد هانت؛ أي: كتاب سد هانت؛ للمؤلف العالم الهندي الكبير برهم كبت، أو براهم غبت، الذي عاش في القرن الخامس الميلادي.

لم يذكر القفطي شيئًا عن كتاب السند هند، وذكر صالح آدم بيلو أن المترجم هو محمد بن إبراهيم الفزاري[1]، وذكر النديم أنه إبراهيم بن حبيب الفزاري، ولكنه كالقفطي لم يذكر شيئًا عن كتاب السند هند[2]، وذكر خير الدين الزركلي أن صانع الإسطرلاب هو محمد بن إبراهيم الفزاري، وذكر أحمد الدبيان أن المترجم الذي تولى ترجمة المختصر هو إبراهيم بن محمد الفزاري، وذكرت الموسوعة العربية الميسَّرة أن صانع الإسطرلاب هو إبراهيم الفزاري، المتوفَّى سنة 161هـ/ 777م، وذكر أنه محمد بن إبراهيم بن محمد بن حبيب الفزاري، كما ورد عند القفطي، وخير الدين الزركلي.

ويذكر عمر فرُّوخ أن الأصحَّ هو: إبراهيم بن حبيب الفزاري، وذكر وفاته سنة 180هـ/ 796م، ثم ذكرها سنة 161هـ/ 777م، والذي يبدو أن الفزاري أعطى الكتاب عنوانًا عربيًّا، ذكره القفطي والنديم، وطوعه لسني العرب، وهذا يوحي بأنه تصرف في النص تصرفًا يخرجه عن مفهوم النقل والترجمة إلى مفهوم التعريب، على ما مر بيانه في المدخل.

استنادًا إلى سليم طه التكريتي، في القرن الأول الهجري السابع الميلادي (7هـ/ 628م)، الذي سمَّى الكتاب باللغة العربية: كتاب: الهيئة، المصحح المنسوب إلى برهم غبت، وهو ما عرفه العرب بكتاب: سند هند، وكان من ضمن الكتب التي قَدِم بها أحد أعضاء الوفد العلمي، الذي قدم على الخليفة أبي جعفر المنصور سنة 154هـ/ 770م.

يُعدُّ هذا الكتاب أقدمَ كتاب في علم الفلك والرياضة والهيئة، وأشهرها، وهو أول كتاب هندي قام المسلمون بنقله إلى اللغة العربية، ويلاحظ اختلاف في تسمية الكتاب، فقيل: إن اسمه براهمسبهيطد هانت، والمؤلف: براهما جيتا، ذكر حديث مأثور عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: "كذب المنجِّمون ولو صدقوا"، وذكره المؤلف على أنه من القرآن الكريم، وهو ليس من القرآن الكريم، هذا بالإضافة إلى كتابين آخرين، تزامنًا معه هما: أركند، وأرجهير .[3]

ثم أعاد العالم الفلكي الرياضي يعقوب بن طارق نقل الكتاب الأول وترجمته "بطريقته الخاصة" بعد سنوات من الترجمة الأولى.

استقدم الخليفة أبو جعفر المنصور الطبيب جرجيوس بن بختيشوع، إلا أن استقدامه له لم يقتصر فقط على تَطْبِيبه، بل كان هذا الاستقدام منطلقًا لحركة نقل كتب الطبِّ، وإنشاء المكتبات في البيمارستانات، ووقف المترجمين لنقل التراث، الذي قدم به القواد والفاتحون. فبدأت المسيرة به وبأمثاله؛ لإحياء العلوم بمختلف فروعها في التوسُّع والانطلاق، وإلا فالبداية الحقَّة سابقة.

---

[1] إبراهيم بن حبيب الفزاري: الإمام العالم المشهور، المذكور في حكماء الإسلام، وهو أول من عمل في الإسلام إسطرلابًا، وله كتاب في تسطيح الكرة، وكتب كتبًا أخرى تتعلق بالعمل بالإسطرلاب؛ انظر: القفطي: **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**؛ مرجع سابق – ص: 42.

[2] النديم: **الفهرست**؛ مرجع سابق – ص: 322.

[3] عمر فروخ، مرجع سابق، ص: 272

نتيجة لهذا الاهتمام الواضح في نقل ثقافات الآخرين لا سيما منها الطب والهندسة والنجوم – قيل: إن الخليفة أبا جعفر المنصور هو الذي أنشأ بيت الحكمة في بغداد، وقيل عنه أيضًا: إنه هو الذي يُعرض الأموال العامة للخطر، عندما كان "يدفع لهؤلاء العلماء (النقلة والمترجمين والمؤلفين) أثمان المؤلفات الجديدة (منقولة أو مترجمة أو مؤلفة، ابتداءً) بما يساوي أوزانها ذهبًا."[1]

ممن قال في ذلك: محمد مروان السبع، في وقفة له حول الترجمة والنهضة العلمية؛ إذ يقول عن المترجمين ودقتهم: "ولقد بلغوا من نجاحهم حدًّا جعل المنصور يعرض أموال الخزينة في بيت مال المسلمين إلى الخطر، عندما كان يدفع لهؤلاء العلماء أثمان المؤلفات الجديدة بما يساوي أوزانها ذهبًا ."وهذا أمر يحتاج إلى مزيد بحث.

وقد مرَّ على هذه الرواية – ممن مر عليها – جورجي زيدان؛ حيث يقول عن حنين بن إسحاق: "وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله إلى العربية مِثْلًا بِمِثْل، ولذلك فقد كان حنين يكتب الترجمة بحروف غليظة وأسطر متفرقة على ورق غليظ جدًّا لتعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه.

وينقل شحادة الخوري عن ابن أبي أصيبعة كذلك، دليلًا ماديًّا يتمثل في مبالغة حنين بن إسحاق في الكتابة على ورق ثقيل وحروف كبار وخط غليظ في أسطر متفرقة؛ كل ذلك بقصد تعظيم وزن الكتاب المنقول، لأجل ما يقابل وزنه دراهم، كما مر عليها عمر فرُّوخ رحمه الله، ويوسف عز الدين، دون تعليق، ويسند محمد فتحي الشاعر الرواية إلى ابن أبي أصيبعة والذي يكاد يكون مقررًا أنهم كانوا يزنون المؤلَّف بالدنانير والدراهم.[2]

فهل كانت هذه الدنانير والدراهم مسكوكة من الذهب، بحيث يصلح الإطلاق المذكور؟ أم أن الأمر فيه شيء من المبالغة، التي آثَر مَن كتب عن الحياة العلمية في هذا العصر أن يمرَّ عليها مرورًا سريعًا دون الوقوف عندها؛ قصدًا إلى توثيقها؟ وعلى أي حال، فالتفاوت في الأُعطيات فيه إيحاء بالتسابُق والتنافُس على النقل والترجمة.

على أي حال، فهذه أقوال لا يسندها البرهان، ولكنها تُؤخذ مؤشراتٍ على أن الترجمة في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور قد أخذت بالازدهار، بعد أن توطدت أركان الخلافة العباسية على أيدي الخليفة العباسي عبدالله بن محمد السفاح، كما أنها – من ناحية أخرى – تؤخذ مؤشرات على عدم القدرة على الخروج برأي مدعوم بالدليل حول هذه النقول، لا سيما مسألة وزن المؤلَّف المترجَم ذهبًا، مما يحدث شيئًا من الاضطراب في صحة الروايات. وأقرب مثال نحن بصدده هنا: أن بيت الحكمة – وهي المؤسسة المشهورة – قد اختلفت الآراء في بدء إنشائها: على عهد الخلفاء أبي جعفر المنصور أو هارون الرشيد أو عبدالله المأمون[3].

---

[1] أحمد الدبيَّان: **حنين بن إسحاق**؛ مرجع سابق – 1: 51

[2] عمر فروخ: **تاريخ العلوم عند العرب**؛ مرجع سابق – ص: 116، وص: 117، وص: 125.

[3] سليم طه التكريتي: **بيت الحكمة في بغداد وازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي** – المورد ع 4 مج 8 (1400هـ/ 1979م) – ص: 197 – 221.

ويعتبر الخليفة أبو جعفر المنصور أول خليفة عباسي راع حركة الترجمة والتي بدأت بوادرها في العصر الأموي ،كما كان أول خليفة راسل ملوك الروم وأغدق عليهم بالهدايا في سبيل حصوله على الكتب فبعثوا اليه كتب أفلاطون وأرسطا طاليس وأبقراط وجالينوس واقليدس وغيرهم من الفلاسفة[1] ،حيث عمل على تشجيع الترجمة وتنشيطها بمختلف الوسائل والسبل وعّين أمهر المترجمين في عهده ،فترجمت له عدة مؤلفات من مصادر مختلفة من يونانية وفارسية وهندية ،ومن بين الكتب التي ترجمت في عهده الكتاب الهندي في النجوم المعروف باسم "السند هند" ،كما ترجمت له كتب في الفلسفة والمنطق للفيلسوف اليوناني أرسطو طاليس ،بالإظافة الى كتاب "المجسطي" في الفلك لبطليموس وكتاب "أصول الهندسة"لإقليدس [2] ،كون الخليفة أبو جعفر المنصور كان مولع بعلم الهندسة ،ويبدو هذا الأثر واضح في بناءه لمدينة بغداد إذ أقامها مستديرة على شكل طيسيفون المعروفة باسم المدائن حاضرة الساسانيين ،فضلا على أن قصره كان مثل قصور الساسانيين ذات الأواوين الفخمة [3] ،كما اهتم الخليفة أبو جعفر المنصور بنقل كتب الطب وترجمتها الى اللغة العربية والسبب في ذلك أنه أصيب في أواخر أيامه سنة 148هـ/765 بمرض أفقده شهوة الأكل، فاستدعي له أشهر أطباء عصره وهو جورجيس الذي تمكن من علاجه ،وأثناء بقائه فببغداد أمره المنصور بتعريب كتب كثيرة في الطب عن الفارسية والعربية ،ونظرا لثقة المنصور فيه نقل كتبا من اليونانية الى العربية وأعتبر الشرارة الأولى التي ألهبت نبض الطب عند علماء العرب[4] .

وكان علم الكيمياء من ضمن اهتمامات الخليفة المنصور لذا عمل على إرسال البعوث الى امبراطور الروم لجلب ما عنده من كتب الكيمياء ،فقد أوفد لذلك عمارة بن حمزة الى ملك الروم[5] .

وبالتالي كان لحركة الترجمة أثر واضح في دخول ثقافة جديدة على الفكر الاسلامي التي أحدثت تغييرا كبيرا في العقول والأفكار . وكان أغلب الذين ترجموا في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور من النصارى وحديثي الإسلام من نوابغهم المترجم الفارسي عبد الله بن القفع الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة من اللغة الهندية القديمة الى اللغة العربية ،ولم يكتف عبد الله بن القفع بترجمته بل أضاف اليه أبوبا مثل باب غرض الكتاب وباب الفحص عن أمر دمنة وباب الناسك والضيف وباب بطة ومالك الحزين.

---

[1] ابن صاعد الأندلسي (ت462 هـ/1070 م) :**طبقات الأمم** ،د.ن.د.ط،بيروت ،1912م ، ص48 .

[2] أحمد محمد علي الجمل :أثر **جهود السريان على الحضارة العربية الإسلامية** ،كلية اللغات والترجمة ،جامعة الأزهر ،القاهرة،2005م،ص16 .

[3] شوقي ضيف:**تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول** ،دار المعارف،ط8،القاهرة،د.ت،ص88 .

[4] محمد حسين،قدور ملوك:**دور حركة الترجمة والنقل في الحياة العلمية ابان العصر العباسي الأول**،رسالة ماجيستير،د.م،2014،ص35 .

[5] سندس زيدان خلف:**البعثات العلمية في العصر العباسي(132_400هـ/749_1009م)**،رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي،جامعة بغداد،2004م ،ص43 .

كما ترجم ابن القفع الأدب الفارسي بقصد تليين النثر العربي[1] ،ومن أشهر المترجمين أيضا جورجيس بن بخشيعوش الطبيب[2] ،الذي ترجم كتب أبقراط رئيس أطباء اليونان وكتاب لبطليموس الجغرافي اليوناني الشهير ،وقد أجزل به الخليفة المنصور العطاء حتى رويت له في ذلك أخبار كثيرة ،وصار طبيبه الخاص حيث بقي محافظا على نصرانيته وعاشت أسرته حياة زهيدة في بغداد رغم تقلبات الدهر عليهم[3].

ومن أهم النقلة الذين لعبوا دورا كبيرا في ازدهار حركة الترجمة في بغداد على أيام الخليفة المنصور يوحنا بن البطريق الذي كان أمينا على الترجمة ويحسن تأدية المعاني ،وكان يميل الى الفلسفة أكثر من الطب ،حيث ترجم كتب أرسطو طاليس وكتب أبقراط في الطب .

كما ترجمت المقالات لأربعة (tetrabiblios) في صناعة أحكام النجوم لبطليموس من طرف المترجم أبو يحي البطريق ،حيث اهتم الخليفة أبو جعفر المنصور بعلم النجوم لما له من تأثير في تسيير الحياة والاستدلال بحركاتها على الحوادث المستقبلية،لذلك راع الخليفة أهمية كبيرة بترجمة هذه المقالات[4] .

- **الروافد العلمية في عهد المنصور :**

ازدادت حاجة الخلفاء الى العلماء تزايداً كبيراً نظراً لتطور أساليب الحياة، فاحتاج الخلفاء الى تكيفها مع قيم الاسلام، كما احتاجوا الى اجتهادات العلماء الفقهية للتعامل مع ىذه المتغيرات هذا من جهة ومن جهة أخرى لما كان للعلماء من مكانة كبيرة في نفوس المجتمع، فأدى هذا الى تعاظم رغبة الخلفاء في استقدام كبار العلماء الى بغداد ليكونوا الى جانبهم ويأخذون بآرائهم في كل كبيرة وصغيرة.[5]

ولما انتهى الخليفة أبو جعفر المنصور من بناء بغداد، دعا الكثير من العلماء والشعراء والخطباء من مختلف الاقاليم لزيارتها لاجتماع بهم وعقد مجالس الدرس لهم، ومن هؤلاء العلماء الامام مالك وربيعة بن عبد الرحمن ويحي بن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون ومحمد بن اسحاق صاحب السير والمغازي، كما كتب الخليفة المنصور الى كافة العلماء المشهود لهم بالعلم والادب والشعر بالقدوم الى بغداد، ومن الذين وفدوا الى بغداد نوبخت الفارسي الذي كان عالماً في النجوم،

---

[1] جوئيل رضوان:**موسوعة الترجمة**،تر،محمد يحياين،منشورات مخبر الممارسات اللغوية ،جامعة مولود المعمري،تيزي وزو،2010م،ص10 .

[2] جورجيس بن بختيشوع:من مدرسة جند يسابور،استقدمه المنصور سنة148 هـ/765 مالى بغداد ليداويه،ثم جعله طبيبه الخاص،وكان جورجيس ناقلا من اللغة اليونانية الى السريانية،وله كتاب في الطب نقله ابن اسحاق الى العربية،انظر:محمد عبد الرحمن مرحبا:الجامع في تاريخ العلوم عند العرب،منشورات عويدات،ط2،بيروت،1988 مص223 .

[3] محمد حبش:**المسلمون وعلوم الحضارة**،دارالمعرفة،د.ط،دمشق،1992م،ص21،عاطف علي:الحضارة العربية الاسلاميةودورها في تكوين الحضارة الأوروبية،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،لبنان،2009م،ص28 .

[4] عبد الفتاح رجب محمد :**حركة الترجمة في العصر العباسي الأول(232-132هـ/750_847 م)**،كلية الآداب،قسم التاريخ،جامعة عمر المختار،د.م.د.ت،ص5 .

[5] عبد الحكيم سيف الدين:**العلماءوالسلطة دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الاول**،د.ط،د.م،2009م ص160 .

فاستقبله الخليفة أحسن استقبال وأكرمه وقربه إليه، ثم أسلم وأصبح مولى لو، كما وفد عليه العالم الشرقي بن القطامي، الذي اختص بمجالسة الخليفة المنصور، فأعجب الخليفة بفصاحته فضمه الى ولده المهدي ليأخذ منه علمه وأدبه .

ووفد الى بغداد أيضا الطبيب جورجيس بن جبرائيل الذي ترجم لخليفة المنصور عديد الكتب من اللغة اليونانية الى اللغة العربية[1]، وخصوصا في مجال العلوم الطبية التي أولاها الخليفة المنصور عناية كبيرة، ذلك أن علم الطب جزء لا يتجزأ من التقدم الحضاري للدولة[2].

كما قَدم الفلكيون والرياضيون والاطباء والجغرافيون والفلاسفة والمترجمون والادباء من كافة أقاليم العالم ليشهدوا هذه النهضة العلمية والفكرية، ويساهمون في ظهور حضارة جديدة التي هي مزيج من الثقافات الكبرى تشمل جميع ميادين العلوم ومن هؤلاء العلماء الذين عاصروا زمن الخليفة المنصور أبو أيوب المرياني واسمه سمان بن محلّد الذي كان ظريفاً خفيفاً عمى القلب متأنيا لما يريده منه الخليفة وأخذ من كل شيء جزءاً[3] .

كما عقدت في قصر الخليفة العديد من حلقات العلم حيث يتناظر فيها العلماء في اللغة والادب والشعر والفقه والحكمة والمنطق وعلم الكلام [4] ،وجعل المنصور قصوره ملتقى للعلماء والشعراء بعناية الدولة، ذلك أنه كان شغوف بالطب والهندسة والفلك والنجوم وهذا ما جعله يجمع صفوة من العلماء يتقنون اللغات الاجنبية لترجمة الكتب والاسبفادة منها وفي سبيل ذلك أنشأ ديواناً للترجمة.[4]

ولذلك قيل أن الاسلام لم يعرف الفكر اليوناني إلاّ مع بداية تلك الحركة التي بدأت في عهد الخليفة المنصور[5]، حيث صارت مدينة بغداد المركز العلمي الاول في الشرق ووفد إليها طلاب العلم والعلماء من كل صوب، فبدأت بذلك عملية التصنيف والتدوين في مختلف العلوم، فكان أبو المنصور أول الخلفاء من حثوا على دراسة العلوم الصحيحة[6]، وأول من اهتم بحركة الترجمة التي أثمرت فيما بعد والذي قال عنه المسعودي[5]:" ترجمت لو الكتب من اللغات العجمية الى اللغة العربية، منها كتاب كليلة ودمنة، وكتاب السند هند، وترجمت كتب أرسطا طاليس في المنطقيات وغيرها وترجم لو كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب الارتم طيقيو كتاب اقليدس وسائر الكتب القديمة...".

---

[1] أحمد اسماعيل الجبوري:**علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الاول**،دار الفكر،ط1،عمان،2009م،ص119 .

[2] علي بن عبدالله الدفاع:**رواد علم الطب في الحضلر العربي الاسلامية**،مؤسسة الرسالة،ط1،لبنان،1998م،ص84 .

[3] علي نايف مجيد،**رعديونس عباس:تطور علم الفلك في العراق خلال العصر العباسي**،كلية التربية،جامعة ديالي،2014 من ص07 .

[4] حسين أمين:**نشأة الحركة التعليمية في العراق وأثرها في نهضة الادب والعلوم**،مجلة المؤرخ العربي، ع4،بغداد،1977م،ص14 .

[5] سالم العيسى:**الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية تاريخها،قواعدها،آثارها،أنواعها**،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،1999م،ص19 .

وبواسطة حركة الترجمة جمع الخليفة أبو جعفر المنصور كماً هائلا من الكتب في مختلف العلوم في مجال الطب والفلك والهندسة والادب والتاريخ، فكون بذلك مكتبة التي عدت النواة الاولى لمكتبة بيت الحكمة، حيث لعبت هذه الاخيرة دورا مهما في ميدان الترجمة وكانت أكبر جسر ثقافي شهدته الامة العربية الاسلامية [2]، حيث اتسعت الثقافة العربية ودخلت عليها ثقافات الامم الاخرى وكثرت المصطلحات العلمية و التعابير الفلسفية المختلفة، وهذا ما أدى الى إثراء اللغة التي أدت بدورها الى تطور حضاري غير مسبوق [1]، وهذا التطور يظْهِر بوضوح عن شغف الخلفاء العباسيين في مواكبة النشاط الفكري والوقوف على ما وصلت إليه الحضارات الاخرى من تطور[2].

ويمكن القول أن نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي كان لها أثر كبير في خلق الحوار والتفاعل الحضاري الذي كان له دور عظيم في ازدهار العلوم والاداب في مدينة بغداد التي صارت كعبة للعلم والعلماء ومقصد لكل طالب علم.

[1] عصام الدين محمد علي:**بواكير الثقافة الاسلامية وحركة النقل والترجمة من اواخر القرن الاول وحتى منتصف القرن الرابع هجري**،منشأة المعارف،الاسكندرية،1986 م،ص05 .

[2] أحمد اسماعيل الجبوري:**تاريخ الدولة العباسية "العصر العباسي الاول"**،ص63،سيديو:تاريخ العرب العام حضارتهم،مدارسهم الفلسفية والعلمية والادبية،تر،عبد الله علي الشيخ،الاهلية للنشر والتوزيع،ط1،الاردن،2002م ،ص332 .

المطلب الثالث : مراكز النقل والترجمة في عهد الخليفة هارون الرشيد

يأتي عهد الخليفة هارون الرشيد (توفي سنة 193هـ/ 808م)، امتدادًا لعهد الخليفة أبي جعفر المنصور، بعد أن انشغل كل من الخليفة المهدي (توفي سنة 169هـ/ 785م) والخليفة الهادي (توفي سنة 170هـ/ 786م)، بالتخلص من حركة الزندقة التي يمكن أن تعد أثرًا من آثار ظاهرة النقل والترجمة؛ إذ لم تقتصر هذه الظاهرة على نقل التراث العلمي فحسب، ولكن كان للزندقة والأفكار الدخيلة نصيبٌ في النقل، مما كان له الأثر على المجتمع المسلم في عقيدته وإن لم تكن ظاهرة النقل والترجمة هي السبب المباشر لظهور الزندقة؛ فاختلاط الثقافات له أثر أيضًا. والنقل والترجمة عامل من عوامل هذا الاختلاط[1].

السمة الغالبة على اهتمامات الخليفة هارون الرشيد كانت منصبةً على نقل كتب الطب، لكن هذا لا يعدُّ اقتصارًا من الخليفة على هذا النوع، فلم يخلُ عهده من نقول وترجمات، في التنجيم والمنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة. واستقدم العلماء إلى بغداد، وجلب إليها الكتب وهو في طريق عودته من الغزو، لا سيما من الشمال والشمال الغربي لعاصمة الخلافة بغداد. بالإضافة إلى امتداد شهرة آل بختيشوع، يشتهر، في عهد الخليفة هارون الرشيد، يوحنا بن ماسويه[2] .والحجاج بن يوسف بن مطر .وينظر إلى ابن ماسويه على أنه أول عربي تولى النقل والترجمة والتأليف والعلاج، وإن لم يبلغ في أيها مبلغًا كبيرًا[3] .

☜ **تأثير الأسر الموسرة:**

من سمات عهد الخليفة هارون الرشيد أن الاهتمام بالنقل والترجمة لم يعد مقصورًا على الخليفة أو الأمير أو الوالي، بل إن الموسرين وأهل الغنى التفتوا إلى هذا الاتجاه – والناس على دين ملوكهم؛ فأنشؤوا المراكز التي عنيت بنقل الكتب وترجمتها إلى اللغة العربية، بعد جلبها من بلاد الروم، وجلب من يقوم على نقلها للغة العربية. من أبرز هذه الأسر الموسرة أسرة بني موسى بن شاكر، محمد وأحمد والحسن[4]، الذين خصصوا دارًا (مركزًا) للنقل والترجمة ببغداد. ويُذكر من أشهر من عمل في هذه الدار: حنين بن إسحاق، وحبيش بن

---

[1] حادة الخوري: **الترجمة ومهمتها الحضارية** – ص: 151. في: أبحاث المؤتمر السنوي الثاني عشر لتاريخ العلوم عند العرب؛ مرجع سابق –ص 407.

[2] عبدالله مبشر الطرازي: **جهود العماء العرب في تطوير علوم الرياضيات والفلك والنجوم**، بالإضافات العلمية العربية، مع الاستفادة من كتب أهل السند والهند في العصر العباسي – ص: 143 – 157.

[3] سامي خلف حمارنة: **تاريخ تراث العلوم الطبية عند العرب والمسلمين** – عمان: جامعة اليرموك، 1406هـ/ 1986م – ص: 159.

[4] بنو موسى بن شاكر هم: محمود وأحمد والحسن، تناهوا في طلب العلم، وبذلوا فيه الرغائب، استقدموا المخطوطات والنقلة، توفي محمود سنة 259هـ/ 8752م، ولهم كتب، استقل كل منهم بها، في الهندسة والحيل والحركات والموسيقا والنجوم؛ انظر: النديم، **الفهرست**؛ مرجع سابق – ص: 330، 331.

الحسن الأعسم[1] وكذا ثابت بن قرة[2]، وغيرهم "فيرزقونهم بخمسمائة دينار في الشهر للنقل والملازمة"، كما كان الخليفة هارون الرشيد يفعل مِن قَبل .[3]

من الأسر التي اشتهرت بالعلم والمعرفة والإسهام في مجال النقل والترجمة: أسرة المنجم؛ بداية من يحي بن أبي منصور المنجم، الذي كان منجمًا للفضل بن سهل، وزير الخليفة العباسي عبدالله المأمون، وابنه علي، وابن علي يحيى؛ فقد قاموا بنقل كتب الطب وترجمتها، وقد تبوؤوا مكانة عالية لدى الخلفاء العباسيين .[4]

كانت للبرامكة إسهاماتهم في هذا المجال؛ إذ كان البرامكة يسعون إلى إشاعة الثقافة الفارسية في البلاد الإسلامية، فشجعوا النقل والترجمة، وأمروا بنقل الذخائر الفارسية النفيسة إلى اللغة العربية، ووقفوا لها النقلة والمترجمين، أمثال: الفضل بن نوبخت [5]، ومحمد بن جهم البرمكي[6] وزادويه بن شاهويه[7]، وبهرام بن مرادف شاه[8]، وموسى بن عيسى الكسروي[9]، وعمر بن الفرخان[10]، وسلْم [11]، أمين المكتبة في بيت الحكمة، وسهل بن هارون[12] مراجع الترجمات والمدقق المتأكد من صحتها ومطابقتها للأصل.

---

[1] حُبيش بن الحسن بن الأعسم: كان نصرانيًا، وهو من أحد تلاميذ حنين بن إسحاق، وهو ابن أخته، وكان من النقلة المترجمين، من اللغة السريانية إلى اللغة العربية، وله مجموعة من الكتب، ويقال له: حبش بن حسن الدمشقي؛ انظر: ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**/ شرح وتحقيق: نزار رضا – بيروت: دار مكتبة الحياة، 1965م – ص: **282**– ص: 276، والنديم، **الفهرست**؛ مرجع سابق – ص: 355.

[2] أبو الحسن ثابت بن قرة بن مروان، كانت ولادته سنة 221هـ/ 835م، من الصابئة المقيمين بحرَّان، واستصحبه محمد بن موسى، لما انصرف من بلد الروم، لأنه رآه فصيحًا، وكان صيرفيًّا، توفي سنة 288هـ/ 842م؛ انظر: النديم، **الفهرست**، المرجع السابق – ص: 331، وانظر أيضًا: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء؛ مرجع سابق – ص: 295، وانظر: كذلك: علي حسين الشطشاط، الطبيب والمترجم الناقل ثابت بن قرة الحراني؛ مرجع سابق – ص: 57 – 92،

[3] جمال الدين سرور، **عصر المأمون عصر في النهضة الفكرية العربية هي من أزهى العصور**، أرسل الرسل يجمعون له كتب الإغريق – العربي ع 73 (شعبان 1384هـ/ ديسمبر 1964م) – ص: 106-109،

[4] محمد عبدالرحمن مرحبا، **الموجز في تاريخ العلوم عند العرب**؛ مرجع سابق – ص: 74 – 75،

[5] الفضل بن نوبخت الفارسي: أمين بيت الحكمة في عهد الرشيد، وكلمة "نوبخت" تعني بالفارسية الحظ الحسن؛ انظر: فيليب حتي وإدوارد جرجي وجبرائيل جبور، تاريخ العرب؛ مرجع سابق – ص: 375.

[6] محمد بن الجهم البرمكي: من نقلة الفُرس، ومن المفضلين في العلم؛ انظر: النديم، **الفهرست**؛ مرجع سابق – ص: 305 و 336.

[7] زادويه بن شاهويه: ذكره النديم في "**الفهرست**"، المرجع السابق – ص: 305، ضمن أسماء النقلة والمترجمين من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية.

[8] بهرام بن مرادف شاه: ذكره النديم في "**الفهرست**"، المرجع السابق – ص: 305، ضمن أسماء النقلة والمترجمين من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية.

[9] موسى بن عيسى الكسروي: ذكره النديم في "**الفهرست**"، المرجع السابق – ص: 305، ضمن أسماء النقلة والمترجمين من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية.

[10] عمر بن الفرخان: ذكره النديم في "**الفهرست**"، المرجع السابق – ص: 305، ضمن أسماء النقلة والمترجمين من اللغة الفارسة إلى اللغة العربية.

[11] سلم: صاحب بيت الحكمة، أمين المكتبة، ويساعده سهل بن هارون، وله نقول من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، وكان ممن خرج إلى الروم لإحضار بعض المخطوطات مع الحجاج بن مطر؛ انظر: النديم ، **الفهرست**، المرجع السابق – ص: 134 و304.

[12] سهل بن هارون: ويعرف بابن راهبون الكاتب، من أمناء بيت الحكمة، وله كتاب هو ديوان رسائل على غرار كتاب: كليلة ودمنة، وعدَّه النديم من البلغاء، وذكر أنه شاعر مقلٍّ؛ انظر: النديم، **الفهرست**؛ مرجع سابق – ص: 13 و134 و139 و186 و364.

ومن أبرز البرامكة في هذا المجال: يحيى بن خالد البرمكي، الذي كان وراء هذه الإسهامات عن الفارسية، والملحوظ هنا وعند بني موسى أن النقلة والمترجمين هم أولئك الذين يُذكرون مترجمين في بيت الحكمة، وهذا يوحي بأنهم كانوا يعملون هنا وهناك؛ عن طريق الإعارة، أو الندب، أو التكليف، أو نحوها .

وكذلك محمد بن عبدالملك الزيات[1] وزير المعتصم والواثق، وكان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ ألفي (2000) دينار في الشهر.

وإبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب[2]، وكان حريصًا على نقل كتب اليونان، وترجمتها إلى اللغة العربية، وتادري أو تادرُس[3]؛ الأسقف في الكرخ[4] ، وعيسى بن يونس[5]، الكاتب الحاسب، من أهل العراق، وشيرشوع بن قطرب[6]، من أهل جنديسابور، وغيرهم.

لقد مر الرأي بأن الخليفة هارون الرشيد قد أنشأ بيت الحكمة ، والذي يبدو أن بيت الحكمة هذا قد تشكلت نواته في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، وتوسع في عهد الخليفة هارون الرشيد. وتميل الباحثة رمزية محمد الأطرقجي – في أكثر من موضع من بحثها – إلى أن الذي أنشأ بيت الحكمة هو هارون الرشيد، لكنها في هذا البحث تعدِّد أسماء هذا المركز؛ بين بيت الحكمة، ودار الحكمة، وخزانة الحكمة. ثم زاد بيت الحكمة في التوسع، وبلغ قدرًا كبيرًا من الازدهار في خلافة عبدالله المأمون [7].

☜ **دراسة حول مجالس الرشيد :**

كان قصر الرشيد: "مرتع الحكماء والعلماء، وسوق البلاغة، والشعر، والتاريخ، والفقه، والطب، والموسيقا، والفنون النافعة، إذ يقابلها الخليفة مقابلة مَن في سجيته النبل والكرم، فأجاز العلماء في كل فن جائزات سخية نبيلة"، لقد كان عصره: "عصر ازدهار الحضارة الإسلامية أي ازدهار".

---

[1] أبو جعفر محمد بن عبدالملك بن أبان بن حمزة: المعروف بابن الزيات، كان عالما بالأدب واللغة، ومن بلغاء الكُتاب والشعراء، توفي ببغداد سنة 233هـ/ 847م، كانت ولادته سنة 173هـ؛ انظر: ابن خلكان، **وفيات الأعيان**؛ مرجع سابق: 5/ 49 – 103.

[2] إبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب: كان حريصًا على نقل الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية، وكان مشتملًا على أهل العلم والفضل، وعلى النقلة خاصة؛ انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**؛ مرجع سابق – ص: 284.

[3] تادري: أو تذاري، من جملة النقلة من اللغات إلى اللسان العربي؛ انظر: النديم، الفهرست؛ مرجع سابق – ص: 304، وذكره ابن أبي أصيبعة في: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**؛ مرجع سابق – ص: 283، باسم تادرُس الأسقف.

[4] المقصود بالكرخ هنا كرخ بغداد، وهناك أكثر من كرخ، وكانت كرخ هذه وسط بغداد، ثم صارت محلة وحدها منفردة؛ انظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**؛ مرجع سابق – 4/ 448.

[5] عيسى بن يونس: من جملة الفضلاء في العراق، وكان كثير العناية بتحصيل الكتب القديمة والعلوم اليونانية؛ انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، المرجع السابق – ص: 283.

[6] شيرشوع بن قطرب: كان يبرُّ النقلة، ويهدي إليهم، ويتقرَّب إلى تحصيل الكتب منهم بما يمكنه من المال، وكان يجيد اللغة السريانية أكثر من اللغة العربية؛ انظر: ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، المرجع السابق – ص: 283.

[7] رمزية محمد الأطربجي، **بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية – مجلة** المؤرخ العربي ع 14 (1980م) – ص: 317-355.

حدَّث محمد بن عيسى بن يزيد الطرسوسي، قال: سمعت خرزاد القائد يقول: كنت عند الرشيد: فدخل أبو معاوية الضرير وعنده رجل من وجوه قريش، فجرى الحديث إلى أن خرج أبو معاوية إلى حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة: ((أنَّ موسى لَقِيَ آدم فقال: أنت آدمُ الذي أخرجتنا من الجنة!))، وذكر الحديث، فقال القرشي: أين لقي آدمُ موسى؟ قال: فغضب الرشيد، وقال: النِّطع والسيف، زنديق واللهِ يطعن في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول: كانت منه بادرة، ولم يفهم يا أمير المؤمنين حتى أسكنه [1].

قال الأصمعي: دخلت على هارون الرشيد ومجلسه حافل، فقال: يا أصمعي ما أغفلك عنا، وأجفاك لحضرتنا؟! قلت: والله يا أمير المؤمنين ما ألاقتني بلاد بعدك حتى أتيتك، قال: فأمرني بالجلوس، فجلست وسَكَتَ عني، فلما تفرَّق الناس – إلا أقلهم – نهضت للقيام، فأشار إلي أن أجلس، فجلست حتى خلا المجلس، فلم يبقَ غيري وغيره ومَنْ بين يديه من الغلمان، فقال لي: يا أبا سعيد: ما ألاقتني؟ قلت: أمسكتني يا أمير المؤمنين، وأنشدتُ:

كَفَّاكَ كَفٌّ مَا تُلِيقُ دِرْهَمًا جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّمَا

فقال: أحسنت، وهكذا فكن، وقِّرنا في الملا، وعلمنا في الخلا، وأمر لي بخمسة آلاف دينار.

قال الأصمعيُّ: كُنَّا عند الرشيد، فقدمت إليه فالوذجة، فقال: يا أصمعي، حدثنا بحديث مزرد، فقلتُ: إنَّ مُزرِّدًا أخا الشَّمَّاخ كان غلامًا جشعًا، وكانَتْ أمُّه تؤثر عيالَها بالطعام عليه، وكان ذلك يُخْفِظه (يغضبه)، فخرجت أمه ذات يوم تزور بعضَ أهلها، فدخل مزرّد الخيمة وعمد إلى صاعَيْ دقيق، وصاعٍ من تَمر، وصاعٍ من سمن، فجمعه ثم جعل يأكله وهو يقول:

وَلَمَّا غَدَتْ أُمِّي تَمِيرُ بَنَاتِهَا أَغَرْتُ عَلَى الْعِكْمِ [2] الَّذِي كَانَ يُمْنَعُ

لَبَكْتُ [3] بِصَاعَيْ حِنْطَةٍ صَاعَ عَجْوَةٍ إِلَى صَاعِ سَمْنٍ فَوْقَهُ يَتَرَيَّعُ [4]

وَدَبَّلْتُ [5] أَمْثَالَ الأَثَافِي كَأَنَّهَا رُؤُوسُ نِقَادٍ [6] قُطِّعَتْ يَوْمَ تُجْمَعُ

وَقُلْتُ لِبَطْنِي أَبْشِرِ الْيَوْمَ إِنَّهُ حِمًى أُمِّنَا مِمَّا تَخُوزُ وَتَرْفَعُ

فَإِنْ كُنْتَ مَصْفُورًا [7] فَهَذَا دَوَاؤُهُ وَإِنْ كُنْتَ غَرْثَانًا [8] فَذَا يَوْمُ تَشْبَعُ

---

[1] "البداية والنهاية": 214/10.

[2] العكم: النمط، تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها.

[3] لبكت: خلطت، واللبيكة: تمر ودقيق يخلط ويصب عليه السمن.

[4] يتربع: يتميع ها هنا، وها هنا لا يستقر له وجه لكثرته، وفي الأصل "يتربع" بالباء الموحدة.

[5] دبلت الشيء: جمعت بعضه على بعض، جعلته كتلة.

[6] نقاد: جمع نقدة، وهي الصغيرة من الغنم، الذكر والأنثى في ذلك سواء.

[7] المصفور: من به الصفر، وهو داء في البطن يصفر منه الوجه.

[8] غرثان: جائع.

فضحك الرشيد حتى استلْقَى على ظهره، ثم قال: كلوا باسم الله، هذا يوم تشبع يا أصمعي [1].

وقال الأصمعيّ: دخلت على هارون الرشيد وبين يديه بدرة – 10 آلاف درهم – فقال: يا أصمعي، إن حدثتني بحديث في العجز فأضحكتني، وهبتك هذه البدرة.

فقال: نعم يا أمير المؤمنين، بينا أنا في صحارى الأعراب في يوم شديد البرد والريح، وإذا بأعرابي قاعد على أجمة وهو عريان، قد احتملت الريح كساءه، فألقته على الأجمة، فقلت له: يا أعرابي ما أجلسك ها هنا على هذه الحالة؟ فقال: جارية وعدتها، يقال لها سلمى، أنا منتظر لها، فقلت: وما يمنعك من أخذ كسائك؟ فقال: العجز يوقفني عن أخذه، فقلت له: فهل قلت في سلمى شيئًا؟ فقال: نعم، فقلت: أسمعني لله أبوك! فقال: لا أُسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه عليَّ: قال: فأخذته فألقيته عليه: فأنشأ يقول:

لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَأْتِي بِسَلْمَى فَيَبْطَحُهَا وَيُلْقِينِي عَلَيْهَا

وَيَأْتِي بَعْدَ ذَاكَ سَحَابُ مُزْنٍ تُطَهِّرُنَا وَلا نَسْعَى إِلَيْهَا

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره، وقال: أعطوه البدرة، فأخذها الأصمعي وانصرف [2].

أنشد العماني الرشيد يصف فرسًا:

كَأَنَّ أُذْنَيْهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

ولحن، ففهم ذلك أكثر من حضر، فقال الرشيد: دع كأنَّ وقل: تخال "تخال أذنيه"؛ حتى يستوي الشعر، فعجبوا لسرعة تهدّيه، لقد كان فهم الرشيد فهم العلماء [3].

قال الرشيد للأصمعيّ يومًا: يا أصمعي، أتعرف للعرب اعتذارًا وندمًا؟ ودعِ النابغة؛ فإنه يحتج ويعتذر، فقلت: ما أعرف ذلك إلا لبشر بن أبي خازم الأسدي، فإنَّه هجا أوس بن حارثة بن لأم، فأسَرَه بعد ذلك وأراد قتله، فقالتْ له أمُّه – وكانت ذات رأي –: والله لا محا هجاءه لك إلا مدحُه إياك، فعفا عنه. فقال بشر [4].

إِنِّي عَلَى مَا كَانَ مِنِّي لَنَادِمُ وَإِنِّي إِلَى أَوْسِ بْنِ لأْمٍ لَتَائِبُ

وَإِنِّي إِلَى أَوْسٍ لِيَقْبَلَ تَوْبَتِي وَيَعْرِفَ وُدِّي مَا حَيِيتُ لَرَاغِبُ

سَأَمْحُو بِمَدْحِي فِيكَ إِذْ أَنَا صَادِقٌ كِتَابَ هِجَاءٍ سَارَ إِذْ أَنَا كَاذِبُ

فقال الرشيد للأصمعي: إنَّ دولتي لتحسن ببقائك فيها.

---

[1] ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**؛ مرجع سابق – ص: 186، 187.

[2] شحادة كرزون: **الترجمة: بداياتها، أطوارها، توجهاتها، بعض نتائجها** – ص: 310. في: أبحاث المؤتمر السنوي السادس لتاريخ العلوم عند العرب؛ مرجع سابق – 407ص.

[3] أحمد أمين (بيك). **هارون الرشيد** – (القاهرة): دار الهلال، د. ت. – ص: 113، 115.

[4] ابن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**؛ مرجع سابق – ص: 380.

وروى الأصمعي: "لما خرجنا مع الرشيد إلى الرقة قال لي: هل حملتَ معك شيئًا من كُتُبك؟ قلت: نعم، حملتُ منها ما خفَّ حملُه، ثمانية عشر صندوقًا. فقال: هذا لما خففت، فلو ثقلت كم كنت حملت؟!".

دخل العماني الراجز على الرشيد لينشده وعليه قلنسوة طويلة، وخف ساذج، فقال له الرشيد: يا عماني، إيَّاك أن تنشدني إلا وعليك عمامة عظيمة الكور، وخفان دلقمان [1]، فبكَّر إليه من الغد وقد تزيَّا بزي الأعراب، ثم أنشده وقبَّل يده وقال: يا أمير المؤمنين، قد والله أنشدت مروان ورأيت وجهه وقبَّلت يده، وأخذت جائزته، ثم يزيد بن الوليد، وإبراهيم بن الوليد، ثم السفاح، ثم المنصور، ثم المهدي، كل هؤلاء رأيتُ وجوهَهُم، وقبَّلت أيديهم، وأخذت جوائزهم إلى كثيرٍ من أشباه الخلفاء، وكبار الأمراء، والسادة والرؤساء، واللَّهِ ما رأيتُ فيهم أبْهى منظرًا، ولا أحسن وجهًا، ولا أنعم كفًّا، ولا أندى راحة منك يا أمير المؤمنين، فأعْظَمَ له الجائزة على شعرِه، وأضعف له على كلامه، وأقبل عليه فبسطه؛ حتى تمنَّى جميعُ مَن حضر أنه قام ذلك المقام[2].

ولكلثوم العتابي في الرشيد أبيات منها:

إِمَامٌ لَهُ كَفٌّ يَضُمُّ بَنَانُهَا عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعٌ مِنَ الْبِرِّ عُودُهَا
وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرْفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا
وَأَسْمَعَ يَقْظَانًا يَبِيتُ مُنَاجِيًا لَهُ فِي الْحَشَا مُسْتَوْدَعَاتٌ يَكِيدُهَا
سَمِيعٌ إِذَا نَادَاهُ مِنْ قَعْرِ كُرْبَةٍ مُنَادٍ كَفَتْهُ دَعْوَةٌ لا يُعِيدُهَا[3]

وكان الرشيد ذات يوم، وأبو يوسف القاضي، وعبدالوهاب الكوفي في مجلسه، فتذاكروا الرُّطَب، فقال أبو يوسف: السكر أطيبُ من المشان، [4]وقال عبدالوهاب: المشان أطيب، فقال الرشيد: ليحضر الطعام، ودعا بعدَّة من بني هاشم كانوا هناك، فأقْبَلُوا جميعًا على السكر، وتركوا المشان، فقال الرشيد: قضوا عليك يا أبا عبدالرحمن وهم لا يعلمون، فقال أبو عبدالرحمن – عبدالوهاب الكوفي – : إنّي لم أر "مشان" قطّ أردأ من هذا، فقال أبو يوسف: هكذا هما إذا اجتمعا.

قال إبراهيم بن المهدي: كُنْت أنا والرشيد على ظهر حَرّاقة – ضرب من السفن في مرامي نيران – وهو يريد نحو الموصل، والشطرنج بين أيدينا، فلما فرغنا قال لي الرشيد: يا إبراهيم ما أحسن الأسماء عندك؟ قلت: اسم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: قال: فما الثاني بعده؟ قلت: اسم هارون اسم أمير المؤمنين: قال: فما أسْمَجُها؟ قلتُ: إبراهيم، فزَأَرَني وقال: ويلك!! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن جلَّ وعزَّ، قلت: بِشُؤْم هذا الاسم لقي ما لقي من غرور، قال: وإبراهيم ابن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قلت: لا جرم، لما سُمِّي بهذا الاسم لم يعش، قال: فإبراهيم الإمام، قلتُ: بِحُرفة اسمه قَتَلَه مروان الجعدي في جراب النورة. وأزيدك يا أمير المؤمنين إبراهيم بن الوليد خلع، وإبراهيم بن عبدالله بن الحسن قتل، ولم أجد أحدًا سمي بهذا الاسم إلا رأيته مقتولاً أو مضروبًا أو مطرودًا، فما

[1] الدلقم: دويبة كالسمور، وفي "العقد الفريد": "دلقان"، وفي "البيان والتبيين": "دمالقان"، والدمالق: الحجر الأملس.
[2] "**مروج الذهب**": 365/3.
[3] محمد عبدالرحمن مرحبا، **الموجز في تاريخ العلوم عند العرب**؛ مرجع سابق – ص: 74 – 75،
[4] السكر، والمشان "بضم الميم أو كسرها حسب "مختار الصحاح"، وهما نوعان من التمر.

انقضى كلامي حتى سمعت ملاَّحًا على بعض الحرَّاقات يهتف بأعلى صوته شاتمًا رجلاً اسمه إبراهيم: فالتفت إليَّ الرشيد، فقلت: يا أمير المؤمنين، أصدَّقت قولي إن أشأم الأسماء إبراهيم؟ فضحك الرشيد كثيرًا.

ودخل ابن السماك على الرشيد يومًا وبين يديه حمامة تلتقط حبًّا: فقال له: صفها وأوجز، فقال: كأنما المنظر من ياقوتتين، وتلتقط بَدْرتَين، وتطأ على عقيقتين، وأنشدونا لبعضهم:

هَتَفَتْ هَاتِفَةٌ آ ذَنَهَا إِلْفٌ بِبَيْنِ
ذَاتُ طَوْقٍ مِثْلُ عَطْفِ ال نُّونِ أَقْنَى الطَّرَفَيْنِ
وَتَرَاهَا نَاظِرَةً نَحْوَكَ مِنْ يَاقُوتَتَيْنِ
تُرْجِعُ الأَنْفَاسَ مِنْ ثُقْ بَيْنِ كَاللُّؤْلُؤَتَيْنِ
وَتَرَى مِثْلَ الْبَسَاتِي نَ لَهَا قَادِمَتَيْنِ
وَلَهَا لِحْيَانِ كَالصُّدْ غَبْنِ مِنْ عَرْعَرَتَيْنِ
وَلَهَا سَاقَانِ حَمْرَا وَانِ مِثْلُ الْوَرْدَتَيْنِ
نَسَجَتْ فَوْقَ جَنَاحَيْ هَا لَهَا بَرْنُوسَتَيْنِ
وَهْيَ طَاوُوسِيَّةُ اللَّوْ نِ بَنَانُ الْمِنْكَبَيْنِ
تَحْتَ ظِلٍّ مِنْ ظِلالِ الْ أَيْكِ صَافِي الْكَتِفَيْنِ
فَقَدَتْ إِلْفًا فَنَاحَتْ مِنْ تَبَارِيحَ وَبَيْنِ
فَهْيَ تَبْكِيهِ بِلا دَمْ عٍ جُمُودَ الْمُقْلَتَيْنِ
وَهْيَ لا تُصْبَغُ عَيْنا هَا كَمَا تُصبَغُ عَيْنِي [1]

ودخل معن بن زائدة على الرشيد.. فمشى فقارب الخطو، فقال له: كَبِرْتَ واللَّهِ يا مَعْنُ؟ فقال معنٌ: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال الرشيد: وإنَّ فيك على ذلك لبقيَّة، قال: هي لكَ يا أميرَ المؤمنين، قال: وإنَّك لَجَلْدٌ، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، فرضي عنه وولاه.

وقال الرشيد لمعن بن زائدة يومًا: إني قد أعددتك لأمر كبير، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله قد أعد لك مني قلبًا معقودًا بنصيحتك، ويدًا مبسوطة بطاعتك، وسيفًا مشحوذًا على عدوك، فإن شئتَ فقُل – أي قلِ الأمر الَّذي أعدَدْتَني إليه.

وقال الكسائي: دخلت على الرشيد، فلمَّا قضيت حق التسليم والدعاء وثَبْتُ للقيام، فقال: اقعد، فلم أزل عنده حتى خفَّ عامَّة مَن كان في مجلسه، ولم يبق إلا خاصته، فقال لي يا علي، ألا تحب أنْ ترى محمدًا وعبدالله [2]؟ قلتُ: ما أشْوَقَني إليهما يا أميرَ

[1] "مروج الذهب": 3/ 375.

[2] محمد "الأمين"، وعبدالله "المأمون".

المؤمنين، وأسرَّني بِمُعاينة نعمة الله على أمير المؤمنين فيهما، فأمر بِإِحْضارِهما، فلم أَلْبَثْ أن أقبلا كَكَوْكَبَيْ أُفُق يزينهما هدوء ووقار، وقد غضَّا أبصارَهما، وقاربا خطوَهُما حتى وقفا على باب المجلس، فسلَّما على أبيهما بالخلافة، ودعوا له بأحسن الدعاء، فأمرهما بالدنُوّ منه فدنوا فصيَّر محمَّدًا عن يمينه وعبدالله عن يساره، ثم أمرني أن أَستَقْرِئَهما وأسأَلَهما، ففعلتُ، فما سألتُهما عن شيء إلا أَحْسَنَا الجواب فيه والخروج منه، فَسُرَّ بذلك الرشيد حتَّى تَبَيَّنْتُه فيه، ثم قال لي: يا عليّ، كيف ترى مَذْهَبَهُما وجوابَهُما؟ فقلتُ: يا أميرَ المؤمنين هما كما قال الشاعر:

أَرَى قَمَرَيْ مَجْدٍ وَفَرْعَيْ خِلافَةٍ يَزِينُهُمَا عِرْقٌ كَرِيمٌ وَمَحْتِدُ [1]

يا أمير المؤمنين هما فرع زكا أصله، وطاب مغرسه، وتمكنت في الثرى عروقه، وعذبت مشاربه، وأبوهما أغرّ، نافذ الأَمْر، واسع العلم، عظيم الحِلْم، يَحكُمانِ بِحُكْمه، ويستضيئان بِنُورِه، وينطِقَانِ بِلِسانه، ويتقلَّبان في سعادته، فأمتع الله أميرَ المؤمنين بهما. وآنس جميع الأمة ببقائه وبقائهما، ثم قلتُ لَهُما: هل تَرْوِيان مِن الشعر شيئًا؟ فقالا: نعم، ثم أنشدني محمد:

وَإِنِّي لَعَفُّ الفَقْرِ مُشْتَرَكُ الْغِنَى وَتَارِكُ شَكْلٍ لا يُوَافِقُهُ شَكْلِي
وَأَجْعَلُ مَالِي دُونَ عِرْضِيَ جُنَّةً لِنَفْسِي وَمِفْضَالٌ بِمَا كَانَ مِنْ فَضْلِ

ثم أنشد عبدالله :

بَكَرَتْ تَلُومُكَ مَطْلَعَ الْفَجْرِ وَلَقَدْ تَلُومُ بِغَيْرِ مَا تَدْرِي
مَلَكَ الأُمُورَ عَلَيَّ مُقْتَدِرٌ يُعْطِي إِذَا مَا شَاءَ مِنْ يُسْرِ
وَلَرُبَّ مُغْتَبِطٍ بِمَرْزَئِهِ وَمُفَجَّعٍ بِنَوَائِبِ الدَّهْرِ
وَتَرَى قَنَاتِي حِينَ يُغْمِدُهَا عَضُّ الثِّقَافِ بَطِيئَةَ الْكَسْرِ

فما رأيت أحدًا من أولاد الخلفاء وأغصان هذه الشجرة المباركة أذرب [2]ألسنا، ولا أَحْسَنَ أَلْفاظًا، ولا أشدَّ اقْتِدارًا على تأدِيَة ما حفِظَا مِنْهُما، ودعوتُ لَهُما دُعاءً كثيرًا، وأمَّن الرشيد على دعائي، ثم ضمَّهُما إليه، وجَمَع يدَهُ عليهما، فلم يبسطها حتى رأيت الدموع تنحدر على صدره.

وذكر الفضل بن الربيع قال: صار إليَّ عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير فقال: إن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي قد أرادني على البيعة له. فجمع الرشيد بينهما، فقال: الزُّبَيْري لموسى: سعيتم علينا وأردتم نقض دولتنا، فالتفت إليه موسى فقال: ومن أنتم؟ فغلب على الرَّشيد الضحك حتى رفع رأسه إلى السقف حتى لا يظهر منه، ثم قال موسى: يا أمير المؤمنين، هذا الذي ترى، المشنّع علي خرج والله مع أخي محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي على جدك المنصور، وهو القائل من أبيات:

قُومُوا بِبَيْعَتِكُمْ نَنْهَضْ بِطَاعَتِنَا إِنَّ الْخِلاَفَةَ فِيكُمْ يَا بَنِي حَسَنِ

[1] المحتد: الأصل، "اللسان": (حتد).

[2] ذرب الرجل إذا فصح لسانه بعد حصره. والذرب: الحاد في كل شيء، "اللسان": (ذرب).

وليس سعايته يا أمير المؤمنين حبًّا لك، ولا مراعاةً لدولتك، ولكن بغضًا لنا جميعًا أهل البيت، ولو وجد مَن يَنتصر به علينا جميعًا لكان منه، وقد قال باطلاً، وأنا مُستَحْلِفُه، فإنْ حَلَفَ أنّي قلتُ ذلك فدمي لأمير المؤمنين حلال، فقال الرشيد: احلف له يا عبدالله، فلمَّا أراده موسى على اليمين تلكَّأ وامتنع، فقال له الفضل: لِمَ تَمْتَنِع وقد زعمت آنفًا أنه قال لك ما ذكرته؟ قال عبدالله: فأنا أحلف له: قال موسى: قُلْ تَقَلَّدت الحول والقوة دون حول الله وقوَّته إلى حولي وقوتي إن لم يَكُنْ ما حَكَيْته عني حقًّا، فحلف له، قال موسى: الله أكبر، حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده عن علي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((ما حلف أحد بهذه اليمين وهو كاذب إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاثة))، والله ما كذبت ولا كذبت، وها أنا يا أمير المؤمنين بين يديك وفي قبضتك، فتقدم بالتوكيل علي، فإن مضت ثلاثة أيام ولم يحدث على عبدالله بن مصعب حادث فدمي لأمير المؤمنين حلال، فقال الرشيد للفضل: خذ بيد موسى فليكن عندك حتى أنظر في أمره.

قال الفضل: فوالله ما صليت العصر في ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ من دار عبدالله بن مصعب، فأمرت من يتعرَّف خبره، فعرفت أنه قد أصابه الجذام، وأنه قد تورَّم واسودَّ، فصرت إليه، فوالله ما كِدْتُ أَعْرِفُه، فصِرْتُ إلى الرشيد فعرَّفْتُه خَبَرَهُ، فما انقضى كلامي حتى أتى خبرُ وفاته.

فأحضر الرشيدُ موسى بنَ عبدالله، وقال له: لم عدلت عن اليمن المتعارفة بين الناس؟ قال: لأنَّا روينا عن جدنا – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((من حلف بيمين مجَّد الله فيها استحيا الله من تعجيل عقوبته، وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع فيها حوله وقوته، إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث))[1] ، فَأَمَر الرشيد بتخْلِيَتِه، وأن يعطى ألف دينار.

وقال الأصمعيُّ: حضرتُ أنا وأبو عبيدة معمر بن المثنى عند الفضل بن الربيع – وقد روي من طريق أخرى أنَّ ذلك كان عند الرشيد – فقال لي : كم كتابك في الخيل؟ فقلت: جلد واحد، فسأل أبا عبيدة عن كتابه فقال: خمسون جلدة.

فأمر بإحضار الكتابين وأحضر فرسًا: وقال لأبي عبيدة اقرأ كتابك حرفًا حرفًا، وضع يدك في موضع موضع من الفرس، فقال: لستُ بيطارًا، وإنما هذا شيء أخذته عن العرب، فقال لي: قم يا أصمعي وافعل ذلك، فقُمْتُ وَأَمْسَكْتُ ناصِيَتَهُ، وشرعت أذكر عضوًا عضوًا، وأضع يدي عليه، وأُنْشِدُ ما قالت العرب فيه، إلى أن فرغت منه، فقال: خذه، فأخذته، وكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبته إليه.

وجاء في الرِّوَاية التي قالت: إن ذلك كان عند الرشيد، قال الرشيد لأبي عبيدة: ما تقول فيما قال؟ قال: أصاب في بعض، وأخطأ في بعض، فالذي أصاب فيه مني تعلمه، والذي أخطأ فيه ما أدري من أين أتى به [2].

وقال الأصمعي أيضًا: ذكرت يومًا للرشيد نَهَم سليمان بن عبدالملك [3] وقلت: إنه كان يجلس ويحضر بين يديه الخراف المشوية وهي كما أخرجت من تنانيرها فيريد أخذ كُلاها فَتَمْنَعُه الحرارة، فيجعلُ يَدَهُ على طرف جُبَّتِه ويُدْخِلُها في جوف الخروف فيأخذه كلاها،

---

[1] "مروج الذهب": 353/3

[2] "وفيات الأعيان": 172/3.

[3] سليمان بن عبدالملك: (54 – 99 هـ = 674 – 717 م) الخليفة الأموي، "كان طويلاً جميلاً، أبيض، كبير الوجه، مقرون الحاجبين، فصيحًا بليغًا، متوقفًا عن الدماء، معجبًا بنفسه، أكولاً جدًّا". "الأعلام" 130/3، عن الخميس 314/2 و 315.

فقال لي: قاتلك الله، ما أعلمك بأخبارهم! اعلم أنه عرضت علي ذخائر بني أمية، فنظرت إلى ثياب مذهبة ثمينة، وأكمامها ودكة بالدهن [1]فَلَمْ أدْرِ ما ذلك حتى حَدّثتني الحديث، ثم قال: علي بثياب سليمان، فأتي بها، فنظر إلى تلك الآثار فيها ظاهرة فكساني منها حلة، وكان الأصمعي ربما خرج فيها أحيانًا فيقول: هذه جبة سليمان الَّتِي كسانِيها الرشيد [2].

أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز، الأسدي بالولاء الكُوفي المعروف بالكسائي، أحد القُرّاء السبعة، كان إمامًا في النحو واللغة والقراءات، وكان يُؤدب الأمين بن الرشيد، ويعلمه الأدب، اجتمع يومًا بمحمد بن الحسن الفقيه الحنفي في مجلس الرشيد، فقال الكسائي: مَنْ تَبَحَّر في عِلْمٍ تمدَّى إلى جميع العلوم، فقال له محمد: ما تقول فيمن سها في سجود السهو، هل يسجد مرَّة أخرى؟ فقال الكِسائي: لا، قال: لماذا؟ قال: لأنَّ النُّحاةَ تقول: التصغير لا يُصغَّر.

فقال محمَّد: فما تقول في تعليق الطلاق بالملك؟ قال: لا يصح، قال: لم؟ قال: لأنَّ السيل لا يَسْبِقُ المطر.

[1] "وفيات الأعيان": 174/3.

[2] يسري أحمد عبدالله زيدان، آل المنجم وجهودهم الحضارية – ص: 235-252، في: الحضارة العربية الإسلامية في العصور الإسلامية ودورها في بناء الحضارة العالمية – القاهرة: اتحاد المؤرخين العرب، 1423هـ/ 2002م .

المبحث الثالث : النقل والترجمة في عصر المأمون

المطلب الأول : الترجمة في عهد الخليفة المأمون (218–198هـ /813– 838 م)

يعد العصر العباسي الاول من المع العصور في تاريخ الحضارة العربية الاسلامية وخاصة في عهد الخليفة المأمون الذي زهت فيه الحركة الفكرية والعلمية وشملت مختلف العلوم والآداب والفلسفة والطب والفلك وسائر العلوم والفنون الاخرى ،وانعكس ذلك على حركة الترجمة وازدهار العلوم كما يقول ابن خلدون(ان الصنائع انما تكثر في الامصار وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلة ،الحضارة والترف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة لما كثر عمرانها واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم وتفننوا في اصطلاحات التعلم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى اربو على وفاة المتأخرين)[1] .

ومن الجدير بالذكر أن الترجمة في العصر العباسي الاول قد اختلفت عن الترجمة في العصر الاموي الذي سبقه ،وكذلك من خليفة عباسي لأخر، ومن بين الاسباب المهمة التي جعلت الحركة الفكرية و العلمية تزدهر في ذلك العصر ،هو اغداق الخلفاء والوزراء بالهبات والعطايا للعلماء وطلبة العلم وعلى المختصين في مختلف العلوم ،وكان اول من بادر الى ذلك وجعله تقليدا للدولة العباسية هو الخليفة المهدي(ت169هـ/785م)الذي زاد من مكافأة العلماء حتى اصبحوا يشدون الرحال اليه من كل حدب وصوب[2] .وكذلك ابنه الرشيد الذي سار على نهجه ،اذا كافأ الاصمعي بمائة الف درهم[3] ،كما ذكرنا في المبحث السابق .

وفي عهد الخليفة المأمون وصلت الى ذروتها واخذت طابع الشمولية والتنوع وذلك لشغف الامة العربية الاسلامية وولعها بالعلم وحبها له والاستزادة منه والانفتاح على التراث العالمي للامم والشعوب الاخرى[4] .فقد فاق الخليفة المأمون من سبقه من الخلفاء بالعطايا والهبات للعلماء وطلبة العلم فأعطى النفر ابن شميل امير مرو خمسين الف درهم[5] . وشهد عهده نهضة حضارية عظيمة وتوسعا كبيرا في كل مجالات الحياة وكان لتشجيع الخليفة والامراء وبعض الاسر للمترجمين الاثر الواضح في ترجمة علوم الامم الاخرى ومعارفهم[6]، اذ تزعم الخليفة المأمون حركة الترجمة وعمل ما في وسعه لنقل الكتب وترجمها من اليونانية والفارسية والهندية وغيرها[7].

---

[1] ابن خلدون، مرجع سابق، ص 434.

[2] القفطي جمال الدين أبوالحسن علي بن يوسف، **انباة الرواة على أنباء النحاة**، ط1، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955، ج2، ص 34.

[3] الطبري أبو محمد بن جرير، **تاريخ الطبري**، تح، إحسان حقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1950، ج2، ص 541 .

[4] ابن نديم، مصدر سابق، ص 81.

[5] المشهداني أركان طه عبد، **الحركة العلمية والثقافية ف عاصمة الدولة العربية الإسلامية في القرن 3 هـ**، رسالة ماجيستير غير منشورة، الجامعة المستنصرية، معهد القائد المؤسس، بغداد، 2001، ص 132.

[6] ابن نديم، مصدر سابق، ص 118.

[7] المسعودي، مصدر سابق، ص 19 – 20.

ففي الفلسفة ترجمت كتب افلاطون ،وارسطو ،وفي الطب كتب سقراط وجالينوس ،وفي الرياضيات والنجوم كتب اقليدس وغيرها.وترجم كتب علم النجوم والفلك ،وبأمر منه ترجم الخوارزمي الذي كان قيما على خزانة كتبه وخاصة الكتب اليونانية وأمر باختصار(المجسطي) لبطليموس وسماه (السند والهند) اي (الدهر الداهر) وعد هذا الكتاب اساسا لعلم الفلك[1] .

واستمرت جهود الخليفة في هذا المضمار ،اذ توسعت حركة الترجمة نتيجة لما يمتلكه الخليفة المأمون من سعة الافق في الترجمة والعلوم ،فقد عني بعلوم الحكمة وسعى للحصول على كتب هذه العلوم كما اشرنا اليه ،وكلف لها مهرة من التراجمة لترجمتها ،ثم وجه الناس لقراءتها وتعلمها ،ونشطت حركة العلم في زمانه وقامت دولة الحكمة في عصره[2] .

ومن ابرز المترجمين الذين خدموا الخليفة المأمون حنين بن اسحاق الذي ارتحل الى بلاد الروم في عصره ،وتعلم هناك اليونانية وبعد عودته الى العراق تولى الترجمة ،وكان الخليفة المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب فترجم خمسة وتسعين كتابا بالسريانية وتسعة عشر كتابا بالعربية ،مما جعل عهده زاخر بالتراجم عن اللغات الفارسية والسريانية واليونانية والهندية [3] .

كما تميز حبيش بن الاعسم واسحاق بن حنين بالنقل عن اللغة السريانية الى العربية باتقان فشاع هذا النوع من النقل ،فأصبحت الترجمة في النصف الاول من القرن الثالث الهجري تأخذ عن اللغة السريانية الى العربية ،وكذلك قام المترجمون بإصلاح الترجم القديمة ،وعملوا على تفسيرها والتعليق عليها وتصحيح اخطائها[4] .وكان من بين هؤلاء الذين كان لهم جهود متميزة في النقل والترجمة والتأليف يعقوب بن اسحاق الكندي الذي نبغ في الطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم[5] . وتميزت طائفة اخرى من

---

[1] الاصفهاني،حمزة بن الحسن الاصفهاني(306هـ/918م)،**تاريخ سني ملوك الارض والانبياء**،(برلين:1340)،ص121،الزركاني،خير الدين،الاعلام،ط10،نشر دار الملايين،(بيروت:1962م)،ج7،ص116،بديوي،خالد محمد احمد،**الحياة العلمية والادبية والاجتماعية والثقافية في عصر الخليفة المأمون**،رسالة ماجيستير غير منشورة كلية عين الشمس،جامعة القاهرة:2001م،ص176،حميد موراني،عبد الحليم منتصر،**قراءات في تاريخ العلوم عند العرب**،(الموصل:1974م)،ص57 .

[2] ابن صاعد الاندلسي،القاضي ابو القاسم صاعد الاندلسي(ت462هـ/1070م)،**طبقات الامم**،نشر الاب لويس شيخو اليسوعي،المطبعة الكاثوليكية للاداباء اليسوعيين،(بيروت:1912م)،ص129-182 .

[3] المسعودي،**مروج الذهب**،ج4،ص19-20،ابن ابي اصيبعة،موفق الدين ابو العباس بن القاسم(ت668هـ/1269م)، مصدر سابق ،ص276

[4] ابن النديم،**الفهرست**،ص356 .

[5] المصدر نفسه،ص315-316 .

جهابذة الرياضيين وكان منهم محمد بن موسى الخوارزمي الذي يعد اول من درس الجبر دراسة منظمة وجعله علما منفصلا عن الحساب[1] ، ومن الذين اشتهروا بالترجمة من الفارسية الى العربية عمر بن فرخان الطبري صاحب بيت الحكمة وسهل بن هارون[2] .

وكان للخليفة المأمون دور مهم في بيت الحكمة ببغداد الذي اسسه ابوه الرشيد ووضع فيه المترجمين والوراقين وغيرهم من العاملين في الدار الذين يقومون بترجمة الكتب التي تسعى الخلافة للحصول عليها ووضعها في بيت الحكمة باعتباره بناءا كبيرا يضم اقساما عديدة من خزائن الكتب في كل خزانة مجموعة من الاسفار العلمية الخاصة ،مثل خزانة الرشيد ،وخزانة المأمون وهي مقسمة الى عدة اقسام كإدارات واخرى ،لحفظ الكتب والترجمة والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة[3] .

وهذا ما اشار اليه ابن النديم عند كلامه على علان الشعوبي اذ قال :(وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة)[4].

فضلا عن قيام الخليفة بمراسلة الروم حول مؤلفاتهم الفلسفية ،فاستجابو له وبعثوا ما عندهم من كتب الفلسفة وترجمت له على يد مترجمين في بلاطه ،باعتباره آثر مذهب الاعتزال ،فكان يخلو بالعلماء في مناظرات خاصة لنشر العلم وازالة الخلاف بين العلماء مستندا الى اصول المنطق ونظريات الفلسفة[5] .وقد ذكر ابن العبري وقال :(ان الذي وضع نواة بيت الحكمة هو الخليفة المنصور ،اذ قام بجمع الكتب التي ترجمت له في الطب والنجوم والهندسة ،وكذلك كتب الحديث والتاريخ وغيرها ،ووضعت في خزانة بيت الحكمة)[6] .

كما اشار ابن النديم الى أن الخلافة هارون الرشيد هو الاخر اولى اهتماما كبيرا لبيت الحكمة وامر بالترجمة ،وكان يعمل في خزانته سهل بن فضل بن نوبخت ،ويضيف أن سهل بن هارون الشاعر الفارسي الاصل كان يعمل في خدمة المأمون وخزانته[7].

ولم يقتصر دور بيت الحكمة على ما ترجم فقط ،بل ضم كتب العلماء في اللغة والادب والتاريخ والفقه وعلم الكلام ،فضلا عما ترجم عن الفارسية واليونانية والكلدانية والنبطية[8] ،وهذا ما اشار اليه حاجي خليفة بقوله: (كان له في العلم رغبة ،فأوفد الرسل الى ملك

---

[1] ابن خلكان،شمس الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم(ت681هـ/1282م)**وفيات الاعيان**،تحقيق احسان عباس،(بيروت:1966م)،ج1،ص180،الجراري،عبد الله بن عباس،**تقدم العرب في العلوم والصناعات واستاذيتهم لا وربا**،ط1،نشر دار الفكر العربي،(القاهرة:1961م)ص233 .

[2] ابن النديم،الفهرست،ص315-316،حسن ابراهيم حسن،**تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي في العصر العباسي الاول**،ط8،نشر مكتبة النهضة المصرية(القاهرة:1976م)،ج2،ص347 .

[3] ابن النديم،الفهرست،ص118،ناجي معروف،**اصالة الحضارة العربية**،نشر دار الثقافة،(بيروت:د.ت)،ص91،بديوي،**الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية**،ص182 .

[4] المصدر نفسه،ص118 .

[5] ابن العبري،ابو الفرج بن هارون الملطي(ت685هـ/1286م)،**تاريخ مختصر الدول**،ط1،نشر دار الافاق العربية،القاهرة :(1421هـ/2001م)،ص136 .

[6] ابن النديم،الفهرست،ص134،سعيد الديوجي،**بيت الحكمة**،ط1،(الوصل:1984م)،ص33 .

[7] حاجي خليفة،مصطفى عبد الله (ت1607هـ/1656م)،مرجع سابق،ص680 .

[8] الجراري،عبد الله بن عباس، مرجع سابق،ص233

الروم في استخراج علوم اليونان واستنساخها بالخط العربي وبعث المترجمين الى ذلك ،فأوعى منهم واستوعب وعكف عليها النظار من اهل الاسلام وخدموا فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم وخالفوا كثيرا من اراء المعلم الاول واختصموا بالرد والقبول ودونوا في ذلك الدواوين)[1] ، ومن جملة من ارسلهم الخليفة الى بلاد الروم لجلب الكتب ،الحجاج ابن مطر وابن بطريق ،ويوحنا بن ما سوية وغيرهم[2] ، وعمل على امداد بيت الحكمة بمختلف الكتب والمصنفات التي اصبحت من اكبر خزائن الكتب في العصر العباسي ،اذ ظلت هذه الخزانة قائمة حتى استولى المغول على بغداد في منتصف القرن السابع الهجري (656 هـ/1258م)[3] .

ويعد بيت الحكمة مؤسسة علمية زاخرة بالكتب العلمية والادبية والفلسفية والفقهية ،وتحولت هذه المؤسسة في عهد الخليفة المأمون الى اكاديمية تعنى بمختلف العلوم ،كما اولى الخليفة المأمون اللغة العربية عناية خاصة واحتلت المنزلة الاولى بين لغات العالم ،اذ عربت مدونات وتراث حضارة العرب الاسلامية واصبحت في متناول يد اهل العلم والمثقفين في ارجاء الارض المعمورة[4].

وقد اقبل الفرس على تعلم اللغة العربية واتقنوها باعتبارها لغة القرآن الكريم ،وكذلك أقبلوا دراسة الشريعة الاسلامية حتى اصبح في الدولة العربية الاسلامية جمهور كبير من العلماء والكتاب والشعراء منهم[5].واهتم الخليفة المأمون بالتعليم وتشجيع العلماء وطلبة العلم في مختلف امصار الدولة العربية الاسلامية ،مما كان له الاثر الكبير في توسيع مدركات العقلية العربية ،ويذكر شوقي ضيف ذلك بقوله :(وعلى هذا النحو اصبح العقل العربي في العصر العباسي الاول عقلا متفلسفا)[6] .اي أن العقلية العربية اصبحت عقلية علمية لا من حيث فهم علوم الاوائل فقط بل الاسهامات والاضافات الجديدة لهذه العقلية العربية في مختلف مجالات العلوم ولأول مرة في تاريخ الحضارة الانسانية[7] ،ولما توفي الخليفة (رحمه الله) استمرت هذه الاكاديمية في العمل مؤدية رسالتها على اكمل وجه حتى اواسط القرن الرابع الهجري[8] ، ومما تقدم يتضح لنا حجم التطور الحضاري والعلمي الذي وصل اليه العرب المسلمون في هذه الحقبة من حكم الخليفة عبد الله المأمون بن الخليفة هارون الرشيد(رحمهم الله) .

---

[1] حاجي خليفة،**كشف الظنون**، ج1،ص680 .

[2] ابن النديم،الفهرست،ص332،المشهداني،**الحركة العلمية والثقافية في عاصمة الدولة العربية الاسلامية في القرن الثالث الهجري**،ص133.

[3] حسن،الحاج حسين،**حضارة العرب في العصر العباسي**،ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع(بيروت1414هـ/1994م)ص39

[4] شوقي ضيف،**العصر العباسي الاول**،ط2،دار المعارف(القاهرة:1969م)،ص91.

[5] بدوي،**الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية**،ص182 .

[6] شوقي ضيف، مرجع سابق ،ص117 .

[7] المرجع نفسه،ص117 .

[8] حسن،الحاج حسين،**حضارة العرب في العصر العباسي الاول**،ص29-40 .

المطلب الثاني : المجالس العلمية والمناظرات في عهدالخليفة المأمون

لقد كانت مجالس الخلفاء في العصر العباسي الاول تتميز بالابهة والجلال ،وكان القوم يجلسون في صفين عن يمين ويسار الخليفة وحسب أنسابهم ومراتبهم ،وهم يبحثون في مختلف الشؤون السياسية العلمية والادبية ،فضلا عما يجود به الشعراء ،ويقص الرحالة ما لا قوة في رحلاتهم ،اذا كان الخليفة المأمون يدير شؤون الدولة من خلال هذه المجالس[1] .

وبعد ان ترجمت علوم القدماء ونشأ علم الكلام شاعت المناظرات العلمية بين العلماء والفقهاء وعقدت المجالس وتباحث أهل النحل ،وهم يبحثون في الكون والظهور على علم الكلام بعد ظهور القول بخلق القرآن الكريم[2] .وقد ذكر الطبري نوعين من المجالس عند المأمون ،يقول :(دخل طاهر بن الحسين على المأمون ،فسلم عليه ،فرد له السلام ،فقال له المأمون اجلس فقال :يا امير المؤمنين ليس لصاحب الشرطة ان يجلس بين يدي سيده ،فقال له المأمون :ذلك في مجلس العامة ،فأما مجلس الخاصة نطلق)[3] .وهذا يعني ان هناك مجلسين مجلس العامة ومجلس الخاصة .وفي ذلك يقول يحي ابن اكثم : ((امرني المأمون ان اجمع له وجوه الفقهاء واهل العلم من بغداد ،فاخترت له من أعلامهم اربعين رجلا وأحضرتهم وجلس لهم المأمون،فسأل عن مسائل وأفاض في فنون الحديث والعلم))[4] .ثم تابع قائلا: ((لما انتهى ذلك المجلس طلب الي المأمون ان انوع مجالسه بحيث يكون لكل طائفة من العلماء مجلس))[5] .

وكان المأمون اول خليفة يؤسس مجلسا منظما للدولة يمثل فيه كل طائفة بالطاعة له .يتمتع اولئك الممثلون بالحرية التامة في التعبير عن ارائهم ومناقشاتهم ،اذا اخذ الخليفة المأمون يعمل كرئيس لادارة امبراطورية كبيرة شاسعة المساحة واثبت بمقدرته وكياسته وحنكته السياسية قدرته على ادارة الدولة[6] .

وكان المأمون بعد عودته من مرو الى بغداد سنة (204م/819م) يرغب في حضور قائمة من الادباء والعلماء ورجال الحاشية والعسكريين على مائدته ،كما كان يقرب اليه الشعراء ،وقال الشعر بنفسه حتى نفقت سوقه ،وكثر الشعراء والمغنون وعلماء الكلام في عهده[7] .يقول المسعودي: ((قرب اليه المأمون كثيرا من الجدليين والنظارين كأبي هذيل العلاف وابي اسحاق ابراهيم بن سيار النظام

---

[1] بدوي، مرجع سابق،ص248 .

[2] الاصفهاني،ابو الفرج علي بن الحسين(ت356هـ/966م)،**الاغاني**،تحقيق عبد الستار احمد فرج،دار الثقافة،(بيروت:1955م)،ج3،ص146.

[3] الطبري،ابي جعفر بن جرير(ت310هـ/922م)،**تاريخ الرسل والملوك**،ج8،ص578 .

[4] الاصفهاني،**الاغاني**،ج3،ص146 .

[5] المصدر نفسه،ج3،ص146 .

[6] سيد امير علي،**مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي**،349 .

[7] حسين الهندي،**الادارة العامة**،ترجمة وتحقيق د.ابراهيم احمد العدوي،مجموعة الالف كتاب،(القاهرة:1958م)،ص288 .

وغيرهما ممن وافقها وخالفها (يريد المعتزلة وغيرهم) والزم مجلس اهل العلم والمعرفة من الادباء واقدمهم من الامصار واجرى عليها الارزاق ،فرغب الناس في صنعة النظر وتعلموا البحث والجدل ،ووضع كل فريق منهم كتابا ينصر فيه مذهبه ويؤيد بها قوله))[1] .

وكان مجلس المأمون يحضره الكثير من العلماء في شتى اصناف العلوم في ظل الازدهار الفكري والحضاري الذي شهدته الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي الاول والذي اختلفت فيه هذه المجالس من حيث أغراضها وصورها وأماكن انعقادها ،فكانت هناك مجالس العلم والادب ومجالس الفقه والحديث والوعظ ومجالس الاستماع للفن والوسيقى[2] .

وقد ادت هذه المجالس دورا مهما في نشر مختلف انواع العلوم في بغداد عاصمة الخلافة ومدن الدولة العربية الاسلامية ،اذا كانت بداية هذه المجالس تعقد في المساجد ثم امتدت بعد ذلك الى قصور الخلفاء والامراء والوزراء ودور العلماء[3] .

وقد ذكر ابن طيفور وصفا لهذه المجالس قائلا : (ان المأمون لما دخل بغداد وقر بها قراره ،امر ان يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين من اهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته وأختير له من الفقهاء لمجالسته مائة رجل فما زال يختارهم طبقة بعد طبقة حتى حصل منهم عشرة ،وكان احمد بن ابي داود احدهم ،وبشرالمريسي)[4] .

وكان غلبة العلم والادب عند المأمون على الحرب ،فكان جل من يجلس معهم من العلماء والحكماء ،ويردد اقوالهم في مجلسه مثل ما ذكره الجاحظ عن المأمون قوله لسهل بن هارون قال بعض العلماء : (اقتصد اصناف العلم ،ما هو اشهى الى نفسك واخف الى قلبك ،فان نفاذك فيه على حسن شهوتك وسهولتك عليه)[5] .فقد امر الخليفة المأمون ان يسمى قوم من اهل الادب يجالسونه ،فذكر له جماعة منهم ،الحسين بن الضحاك ،وكان ذا شغف كبيرا في عقد مجالس الادب والمناظرة .

وفي الشعر كانت مجالسه حافلة بكبار الشعراء ،وكان يمدهم بالعطايا والمنح ويقربهم اليه ومن بينهم ابو العتاهية ،والعتابي[6].

وكان ينظم الشعر بنفسه ومن شعره :

لساني كتوم لاسراركم ودمعي نموم لسري مذيع

---

[1] الاصفهاني،**الاغاني**،ج3،ص146،حسين الحاج حسين،**حضارة العرب في العصر العباسي**،ص39 .

[2] فهد بدري محمد،واخرون **الحضارة العربية الاسلامية**،مطبعة التعليم العالي(بغداد:1988م)،ص86-87 .

[3] ابن منظور،جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري(ت711هـ/1311م)،**لسان العرب**،طبعة مصورة عن مطبعة بولاق،ج4،ص187-188،الحمداني،**اثر فقهاء العراق في الحياة العامة في العصر العباسي الاول**،ص252-253 .

[4] احمد بن ابي طاهر،(ت280هـ/893م)،**تاريخ بغداد**،تصحيح محمد زاهر بن الحسن الكوثري،(القاهرة:1949م)،ص57 .

[5] الجاحظ،ابو عثمان عمرو بن بحر(255هـ/869م)،**الحيوان**،تحقيق عبد السلام محمد هارون،ج5،ط2 طبعة الحلبي،(القاهرة 1366هـ)،ص252 .

[6] غانم مظفر عبد الستار،**الرثاء في شعر العصر العباسي الاول**،رسالة ماجيستير غير منشورة كلية الاداب جامعة البصرة:1984م،ص145-146 .

فلولا دموعي كتمت الهوى ولولا الهوى لم تكن لي دموع[1] .

وكان للمأمون مجلس خاص بالفقه ،اذ روي عن يحي ابن اكثم انه قال :(كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ،فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من سائر اهل المقالات ادخلوا حجرة مفروشة وقال لهم انزعوا اخفافكم ،ثم احضرت الموائد ،وقيل لهم اصيبوا من الطعام والشراب وجددوا الوضوء ومن خفه ضيق فلينزعه ،ومن ثقلت عليه قلنسوته فليضعها ،فاذا فرغوا اتوا بالمجامر فبخروا وطيبوا ،ثم خرجوا فأستدانهم حتى يدنوا منه ،ويناظرهم احسن مناظرة وانصفها وابعدها من مناظرة المتجبرين ،فلا يزالون كذلك الى ان تزول الشمس ،ثم تنصب الموائد ثانية فيطعمون وينصرفون)[2] .ويختم المسعودي حديثه عن المأمون بقوله : (وللمأمون اخبار حسان ومعان وسير ومجلسات واشعار وأخلاق جميلة)[3] ومن مجالس الخليفة في علم الحديث ما روي عن يحي بن اكثم انه قال :(قال لي المأمون يوما يا ابا يحي اريد ان احدث ،فقلت من أولى بهذا يا امير المؤمنين ،فقال :صفوا لي منبرا فصعد وحدث بنحو ثلاثين حديثا)[4] .وقد اورد محمد الخضري مجلسا بكي فيه الخليفة المأمون، قال زيد بن علي بن الحسين :جلس المأمون يوما للغذاء وعلى رأسه سعيد بن الخطيب وهو يذكر مناقبه ويصف سيرته ومجلسه ،اذ انهملت عين المأمون ،فلما سئل عن سبب بكائه ،قال :ما ذلك من حدث ولا مكروه هممت به لاحد ،لكنه جنس من اجناس الشكر لله لعظمته ،وذكر نعمته التي اتمها علي كما اتمها على ابوي من قبلي[5] .

اما في الطب فكان مجلس الخليفة حافلا بأشهر الاطباء ومنهم ابو زكريا ويختيشوع بن جبريل وسلمويه ويوحنا بن ماسويه الذي جعله الخليفة المأمون سنة (215هـ/830م) رئيسا لبيت الحكمة[6] .

وفي علم الفلك كان المأمون يستعمل النظر في احكام النجوم وقضاياها وينقاد الى موجباتها ،وأجتهد في قراءة الكتب القديمة وامعن في دراستها وجالس الفلكيين من امثال سند بن علي الذي كلفه المأمون باصلاح مرصد الشماسية ببغداد وأصبح رئيسا للمرصد[7] .اما مجالس الموسيقى والغناء فيقول الجاحظ : (امتنع المأمون عن سماع الغناء والطرب بعد قدومه بغداد سبع سنين ،ثم اخذ يسمعه من وراء

---

[1] ابن كثير،عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت774هـ/1372م)،**البداية والنهاية**، ط2 ،مكتبةى المعارف ،(بيروت: 1977م)، ج10،ص275،السيوطي،جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ/1505م)،**تاريخ الخلفاء**،مطبعة دار الفكر(بيروت:1974م)،ص330 .

[2] المسعودي،**مروج الذهب**،ج4،ص21 .

[3] المصدر نفسه،ج4،ص48 .

[4] ابن كثير،**البداية والنهاية**،ط2،ص275،السيوطي،**تاريخ الخلفاء**،ص330 .

[5] محمد الخضري،**محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية الدولة العباسية**،تحقيق وتعليق ابراهيم امين محمد،نشر المكتبة التوفيقية (القاهرة :د.ت) ،ص265 .

[6] ابن جلجل،ابو داود سليمان بن حسان الاندلسي(ت337هـ/948م)،**طبقات الاطباء والحكماء**،تحقيق فؤاد سيد،مطبعة المعهد العلي الفرنسي للآثار الشرقية،(القاهرة:1955م)،ص65 .

[7] جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف(ت646هـ/1248م)،**اخبار العلماء بأخبار الحكماء**،مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر(مصر:د.ت)، ص309، معلوف،لويس،المنهل في اللغة والادب والعلوم،ص265 .

حجاب ،كما كان يفعل ابوه الرشيد في اول عهده بالخلافة ،وظهر للندماء والمفتين)[1] ولم ينل اسحاق الموصلي تقدير المأمون اول الامر حتى سأل عنه ما وقع به بعض خاصة الخليفة ورماه بالكبر والتيه ،فلم يحفل به المأمون .ثم تمكن اسحاق الموصلي من ارسال بيتين غناهما(زر زر) احد تلاميذه في حضرة المأمون وهما :

يا سرحة الماء قد سدت موارده اما اليك طريق غير مسدود

لحاتم حام حتى لا حراك به محلا عن سبيل الماء مطرود

فلما غنى (زر زر) اطربه وابهجه وحرك له جوارحه ،وقال :ويلك من هذا قال :عبدك المجفو المطرح يا سيدي اسحاق الموصلي .فجاء رسوله واسحاق مستعد ،قد علم انه قد سمع الخليفة غناءه وكان مؤديا جيدا وايقن انه سيبعث اليه ،فجاءه الرسول وابلغه بالدخول على الخليفة ،فلما دنا منه مد يده اليه ثم قال: (ادني مني فأكب عليه واحتضنه المأمون وأقبل عليه وكان مسرورا به)[2] .

فضلا عن اهتمامه باللغة العربية واخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وقرب علماءهم[3] .كما كانوا يدفعون ابناءهم الى كبار العلماء كي يتلقوا منهم قواعد اللغة وحفظ الاشعار واحسن الاخبار ،وعهد الخليفة بولديه الى الفراء للتعلم نحو[4] .كما جاء في وصف سيد امير علي لمجالس المأمون بقوله :(ان بلاط المأمون كان يموج بجمهرة عظيمة ،من رجال العلم والادب والشعراء والاطباء والفلاسفة الذين استدعاهم من جهات مختلفة وشملهم بعنايته)[5] .

اما فيها يخص نشاط الخليفة المأمون من المتكلمين والمعتزلة قبل ان يتبلور علم الكلام اصطلاحا ،كان شديد الميل اللا القياس العقلي ،ورغبة جامحة الى المطالعة والتفقه بعد ان طالع اكثر كتب القدماء مما جعله يزداد توقا الى القياس والرجوع الى احكام العقل[6] .وجالس المتكلمين واخذ يناصرهم وصرح باقوال لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفي جملتها القول بخلق القرآن[7] .

---

[1] الجاحظ،التاج،**في اخلاق الملوك**،ص44-45 .

[2] المصدر نفسه،ص44-45 .

[3] ابن كثير،**البداية والنهاية**،ج10،ص306 .

[4] ابن الانباري،ابو البركات كمال الدين،عبد الرحمن بن محمد(ت577هـ/1181م)،**نزهة الالباء في طبقات الادباء**،تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم،دار النهضة للطباعة والنشر،(القاهرة:د.ت)،ص238 .

[5] الشهرستاني،محمد بن عبد الكريم،(ت548هـ/1153م)،**الملل والنحل**،طبعة(ليتبزج:1933م)،ص18،عويش محمد،**المجتمع العباسي من خلال كتابة الجاحظ**،دار الثقافة للطباعة والنشر،(القاهرة:1977م)،ص297 .

[6] ابن خلكان،**وفيات الاعيان**،ج1،ص675،المشهداني،**الحركة العلمية في الدولة العربية الاسلامية في القرن الثالث الهجري**،ص31 .

[7] الجاحظ،**الحيوان**،ج1،ص72،الحاج حسن حسين،مرجع سابق،ط1،ص114 .

ولما تظاهر المأمون بالاعتزال ،وقال بخلق القرآن ثار الفقهاء وقامت قيامتهم وعظم الامر كذلك على غير المعتزلة وهم اكثر عددا ،لكن المأمون لم يكن بوسعه الرجوع عن قوله ،فعمل على تأييده بالبرهان ،واخذ يعقد المجلس للمناظرة في هذا الموضوع[1] .وهكذا تمسك المأمون بمذهب الاعتزال وقرب اليه شيوخه وعقد جملة من المناظرات مع اهل الاديان والعتقدات المخالفة للاسلام ودعا فيها كلا من ابراهيم بن يسار النظام (ت231هـ/846م) ومحمد بن الهذيل (ت235هـ/850م) للرد على هؤلاء ،واستعان ايضا بثمامة بن الاشرس (ت213هـ/828م) للرد على الزندقة وتفنيد آرائهم[2] .وكان الخليفة المأمون يبذل لهؤلاء العلماء الاموال الطائلة والعطايا الهائلة تقديرا لجهودهم في نشر العلم ومحاربة اصحاب الافكار الضالة ،وقد روى المؤرخون امثلة عديدة على حسن تعامل الخليفة مع هؤلاء العلماء والحكماء ،فكان كثير الملاطفة مع الاصمعي وهو يجله ويقدره ،واذا خلا به استفاد منه علما وأدبا ،وكان ابوه الرشيد يقول عند ذلك (هكذا وقرنا في الملا وعلمنا في الخلا)[3] .

ومما تقدم يتبين لنا ان مجالس الخليفة المأمون سادتها الحرية في الكلام واحترام الآراء ،وكانت شاملة لكل العلوم ،وكان الخليفة يلفت نظر اهل العلم والمعرفة من العلماء والفقهاء والمفكرين والادباء وغيرهم الى واقع المجتمع وكيفية معالجة المسائل المهمة في حياته .

[1] الخطيب البغدادي،ابو بكر احمد بن علي(ت463هـ/1070م)،**تاريخ بغداد مدينة السلام**،طبعة(بيروت:د.ت)،ص369،الحاج حسن حسين،مرجع سابق،ص113 .

[2] جرجي زيدان،**تاريخ التمدن الاسلامي**،دار مكتبة الحياة(بيروت:د.ت)،ج2،ص676 .

[3] حسن الحاج حسين،**حضارة العرب في العصر العباسي**،ط1،ص130-131 .

المطلب الثالث : أشهر المترجمين في عهد المأمون

من أبرز المترجمين وأشهرهم في هذا العصر هم كالآتي :

1. **حنين بن إسحاق العبادي** : وهو أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي[1]، موسوعي طبيب كمال[2]، درس علم النبات والفلك والرياضيات والمنطق، وكان يتقن العربية والسريانية والفارسية لذلك برع في النقل والترجمة وكان إمام وقته في صناعة الطب، وكان عارفا باليونانية بشكل تام[3]، درس الطب في مجلس يوحنا بن ماسويه ولكن هذا الأخير طرده من مجلسه فخرج حنين باكيا مكروبا[4] . ويفسر ابن أبي صبيعة أسباب الطرد لسببين، الأول : كان حنين من أصحاب السؤال وكان يصعب على يوحنل الإجابة أحيانا، والثاني : إن يوحنا كان يباعده عن قلبه لأن حنينا كان من أبناء الصارفة من أهل الحيرة وجند يسابور وخاصة متطيبوها ينحرفون عن أهل الحيرة.

ويكرهون إن يدخل في صناعتهم ابناء التجار[5] .درس العربية واتقنها في مجلس الخليل بن احمد الفراهيدي وهو الذي ادخل كتاب ((العين)) للفراهيدي الى بغداد[6]،وكان فصيحا وبليغا في العربية وشاعرا[7] ثم برع في الترجمة ،بل كان شيخ المترجمين وعنوان عصره ،وذكر ابن خلكان (وكان حنين المذكور ،اشد الجماعة اعتناءا بتعريبها ،لولا ذلك التعريب لما انتفع احد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان لا جرم فان كل كتاب لم يعربوه باق على حاله ولا ينتفع به الا من عرف تلك اللغة)[8] .واتصل بالمأمون في بغداد فجعله رئيسا لديوان الترجمة[9] .

وكان المأمون مغرما ومعجبا بتعريبه وتحريره واصلاحه ،ومن قبله جعفر البرمكي وجماعة من اهل بيته ايضا اعتنوا بها ،لكن عناية المأمون كانت أتم وأوفر.وذكر القلقشندي (ولم يترك حنين بن اسحاق مجالات في الطب الا وسلكه وصنف فيه الكثير من المؤلفات ،ومن هذه المجالات التي سلكها حنين في مجال الطب هو الطب البيطري وله فيه تصنيف)، وكان لحنين ومدرسته طريقتهم الخاصة في الترجمة وتتميز بما يلي :

أ. اعتماده منهجا علميا ،يجمع عدة مخطوطات ومقارنتها مع بعضها وتحقيقها ومن ثم نقلها .

---

[1] ابن خلكان، مرجع سابق، ج2، ص217.

[2] القفطي، مرجع سابق، ص117.

[3] البيهقي ظهير الدين أبو الحسن علي، **تاريخ حكماء الإسلام**، دمشق، 1946، ص 16.

[4] ابن خلكان، مصدرسابق، ج2، ص217.

[5] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 139.

[6] الزركلي خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1990، ج2، 287.

[7] ابن خلكان، مصدرسابق، ج2، ص217.

[8] الزركلي، مرجع سابق، ص 287.

[9] ابن خلكان، مصدرسابق، ج2، ص 217.

ب. اختلافه عن اسلوب ابن البطريق في الترجمة وذلك بعد التقييد بالنص الحرفي على حساب المعنى كما كان يفعل ابن البطريق .

ج. مراجعته لترجمات من سبقوه وتصحيحها أو مراجعة المعلم لاقدم ترجمات تلاميذه .

د. وكان يعمل مع الاخرين بشكل جماعي في حقل الترجمة .

ومن أهم الكتب التي قام حنين بترجمتها في مختلف العلوم كالاتي:[1]

أ. في فرق الطب لجالينوس .

ب. في المحنة التي يعرف أفاضل الاطباء لجالينوس .

ج. كتاب المناظر لاقليدس .

د. جوامع كلام أرسطو طاليس في الاثار العلوية .

هـ. المدخل الكبير في الطلسمان لبيلناس الفلكي .

واخيرا نجد بان لحنين بن اسحاق وحدة فهرست ضم نحو مائتين وستين كتابا ومترجما وشرحا وتفسيرا وضم نحو مائة وخمسة عشر كتابا مؤلفا في الطب والتشريح والفلسفة والعلوم الاخرى ،ومؤلفات ابو قراط وافلاطون وارسطو والاسكندر الامزدوسي نجد تفاصيلها في كتاب الفهلرست لابن النديم وفي كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصبيعة وكتاب تاريخ الحكماء للقفطي وغيرهم .

2. **اسحاق بن حنين** : هو ابو يعقوب اسحاق بن حنين بن اسحاق العبادي ،وكان يلحق بابيه في النقل ومعرفته باللغات وفصاحته فيها الا ان ترجمته للكتب الطبية ضئيلة جدا بالنسبة الى ما يوجد من كثرة نقله من كتب ارسطو طاليس في الحكمة وشروحها الى لغة العرب[2] .فهو يتقن اليونانية والسريانية[3] ،دخل الاسلام وتفقه به ،خدم بعض الخلفاء منهم الخليفة المأمون[4]،قدم اسحاق بن حنين لحركة الترجمة خدمة كبيرة بعدد ترجماته وجودتها ،فافضى عليها من هذه الناحية طابع النشاط والازدهار ومن الناحية الاخرى فقد افادها بمصنفاته الكثيرة ومنها كتاب الادوية المفردة على الحروف ،(كتاب التاريخ للطب ،كتاب الكناش اللطيف ،كتاب اصلاح الادوية المسهلة –اختصار كتاب اقليدس ،كتاب المقولات ،كتاب في النبض على جهة التقييم ،مقالة في الاشياء التي تفيد الصحة والحفظ وتمنع النسيان ،مقالة في التوحيد) .

[1] ابن نديم، مصدر سابق، ص 410.

[2] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 165.

[3] القفطي، مرجع سابق، ص 75.

[4] ابن خلكان، مصدرسابق، ج2، ص 205.

ومن أهم ما اثره في الترجمة والنقل كالاتي :[1]

أ. ترجمة كتاب الابواب على راس الحكماء والفلاسفة لفريفوريوس .

ب. شرح مقالات ارسطو طاليس في علم النفس .

ج. ترجمة رسالة قلع الاثار .

3. **حبيش بن الحسن الاعسم** : هو حبيش بن الحسن الدمشقي :وهو ابن اخت حنين بن اسحاق ومنه تعلم صناعة الطب[2] ،وكان حنين يقدمه ويعظمه ويصفه ويرضى بنقله[3] ،فهو من الناقلين الجيدين عن السريانية واليونانية الى العربية[4] ،وقد ذكر ابن ابي اصبيعة قائلا :(حبيش هو تلميذ حنين ابن اسحاق ،ناقل مجيد ،يلحق بحنين واسحاق وقد تعلم صناعة الطب من حنين ،وكان يسلك حنين في نقله وفي كلامه واحواله ،الا انه كان يقصر عنه ،وقال حنين بن اسحاق وقد ذكره في بعض المواضع :ان حبيشا ذكي مطبوع على الفهم ،غير انه ليس له اجتهاد بحسب ذكائه بل فيه تهاون ،وان كان ذكاؤه مفرطا وذهنه ثاقبا ،وحبيش هو الذي تمم كتاب مسائل حنين في الطب الذي وضعه للمتعلمين ،وجعله مدخلا الى هذه الصناعة)[5] .

ونتيجة للعمل المشترك بين حنين بن اسحاق من جهة وبين حبيش الاعسم من جهة اخرى ونتجة لتشابه اسميهما فقد اختلط الامر على النساخ في عصرهما وفيما بعد ،فاخذوا ينسبون الكتب التي صنفها وترجمها حبيش الى حنين ابن اسحاق وذلك بسبب شهرة الثاني وبراعة الاول في كل ما ينسب لحنين ،الامر الذي كان له اثره الايجابي في نفسية حنين ابن اسحاق،وذكر ابن النديم (ومن سعادات حنين بن اسحاق إن ما نقله حبيش بن الحسن الاعسم ،وعيسى بن يحي وغيرهم الى العربية ينحل الى حنين) ، إن حبيش الاعسم لم يشتهر كناقل فحسب بل عرف ايضا في مجال رعاة الترجمة ،كاحد الاطباء الذين رعوا هذه الحركة وعملوا في سبيل تشجيعها وازدهارها. وان الترجمات الكثيرة التي قام بها حبيش الاعسم ، قد زادت من جهود مجيدة في مجال النقل ،اسفرت عن نقل جزء غير قليل من تراث اليونان الطبي والفلسفي،وامتاز حبيش بدقة ترجماته وثقافته الواسعة وبخاصة في مجال الطب. كما اشتهر بسيطرته على اللغات التي يترجم منها واليها ،وانه ركز في ترجماته على العلوم الطبية وبخاصة ما عرف حينذاك بسلسلة الكتب الستة عشر والتي هي من تاليف جالينوس.

ومن أهم الكتب التي قام بترجمتها او تاليفها في زمنه كالاتي :

أ. كتاب عهد ابقراط وكتاب ماء (مفقودات).

---

[1] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 167.

[2] ابن نديم، مصدر سابق، ص 297.

[3] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 171.

[4] المشهداني، مرجع سابق، ص 210.

[5] ابن نديم، مصدر سابق، ص 403.

ب. كتاب الحشائش لديسقورديس .

ج. كتاب جالينوس في الادوية المفردة وترجمه لاحمد بن موسى بن شاكر .

د. كتاب اصلاح الادوية المسهلة .

هـ. كتاب الادوية المفردة .

و. كتاب الاغذية وكتاب في الاستسقاء .

ز. كتاب مقالة في النبض على جهة التقسيم .

4. **قسطا بن لوقا البعلبكي** : قسطا بن لوقا البعلبكي احد النقلة البارزين في عصر المأمون ،قد اشتهر قسطا بمعرفته باللغتين اليونانية والعربية ،ان وجوده في هذا العصر كان له اثر بارز في ازدهار حركة الترجمة ،حيث اقدم على ترجمة مختلف المصنفات اليونانية الى العربية وكان قسطا معروفا بحسن سيرته وصاحب منزلة رفيعة بين اصحابه من الاطباء وفلاسفته وفنه .و ذكر ابن النديم(قسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام ،وقد كان يجب ان يقدم على حنين بن اسحاق بفضله ونبله وتقدمه في صناعة الطب ،ولكن بعض الاخوان سأل حنين عليه((أي في مجال ذكر كل منهما في كتاب الفهرست)) وكلا الرجلين فاضلان ،وقد ترجم قسطا قطعه من الكتب القديمة ،وكان بارعا في علوم كثيرة ومنها الطب والفلسفة والهندسة والاعداد والموسيقى لا مطعن عليه فصيحا باللغة اليونانية ،جد العبارة بالعربية)[1] .

زار عددا كبيرا من البلدان وخصوصا بلاد الروم ،وذكر القفطي قائلا :(دخل الى تلاد الروم وحصل من تصانيفهم الكثير وعاد الى الشام واستدعا الى العراق ليترجم ويستخرجها من لسان اليونان الى لسان العرب وعاصر يعقوب بن اسحاق الكندي)[2].

وذكر ابن ابي اصيبعة :(انه كان ناقلا خبيرا باللغات فاضلا في العلوم الحكمية وغيرها)[3] ،وكان معاصرا لابرز الاطباء والفلاسفة ونقله مدرسة حران الشهيرة (ثابت بن قرة الحراني) .

ومما لا شك فيه ان اجتماع هؤلاء الثلاثة في هذا العصر ،كان له الاثر الكبير في ازدهار حركة الترجمة وبخاصة اذا ما علمنا ان قسطا ويعقوب وثابت ،كانوا من النقلة المشاهير والمجيدين في هذا الحقل الى ابعد الحدود[4] .

[1] ابن نديم، مصدر سابق، ص 410.

[2] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 244.

[3] القفطي، مرجع سابق، ص 75.

[4] القفطي، مرجع سابق، ص 263.

ومن جهة اخرى كان قسطا هذا غزيرا في انتاجه لؤلفات مختلفة تمر في مجموعها اصدق تعبيرا عما اشتهر به قسطا البعلبكي من مهارة وبراعة في العلوم المختلفة ،واذا اردنا ان نتبين اثر قسطا في النهضة العلمية في عصره ،فان مؤلفاته في هذا الباب ،وهي خير دليل لنا نستدل به على مبلغ ذلك الاثر الذي تركه قسطا في تلك النهضة العلمية التي شهدها عصره .

وذكر القفطي (وقال بعض المؤرخين كان قسطا بن لوقا فاضلا في العلوم ،مليح الطريقة في التصنيف ،فلو قلت حقا ،قلت انه افضل من كتابا بما احتوى عليه من العلوم والفضائل وما رزق من اختصار الالفاظ وجمع معاني)[1] .

وقد ترجم البعلبكي الكثير من كتب فلاسفة اليونان الى اللغة العربية وخصوصا كتب ارسطو طاليس وعن اخبار قسطا بن لوقا في اواخر ايامه انه (قد رحل الى أرمينية وأقام بها ،وكان بأرمينيا أبو الغطريف (من اهل العلم والفضل) فعمل له قسطا كتبا كثيرة جليلة نافعة شريفة المعاني مختصرة الالفاظ في اصناف من العلوم ومات هناك ،فدفن وبني عليه قبة واكرم قبره كاكرام قبور الملوك ورؤساء "الشرائع")[2] .

وهكذا استطاع قسطا من إن يؤثر حقيقة في عملية الترجمة والنقل في هذا العصر وذلك بسبب نقوله الكثيرة وجودته في هذه النقول[3] .وفيما يلي أهم مؤلفاته وما قام به من ترجمة لكتب ارسطو طاليس :

أ. ترجمة كتاب لسماع الطبيعي لارسطو طاليس .

ب. ترجمة مقالة الاولى من كتاب الكون والفساد في جملة كتب المنطق والطبيعيات والالهيات والاخلاق لارسطو طاليس.

ج. المدخل الى الهندسة على المسألة والجواب بارع في فنه .

د. المدخل الى الهيئة وحركات الافلاك .

5. **يعقوب بن اسحاق الكندي** : وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق بن الصباح ،كان ابوه اسحاق بن الصباح اميرا على الكوفة في فترة خلافة المهدي والرشيد ،وكان يعقوب بن اسحاق الكندي عظيم المنزلة عند المأمون ،وكان الكندي عربيا مسلما[4] . وقد ذكر ابن ابي اصيبعة (وكان عالما بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق وتاليف اللحون والهندسة وطبائع الاعداء وعلم النجوم ،ولم يكن في الاسلام فيلسوف غيره احتدى في تواليفه حذو ارسطو طاليس ،وله تواليف كثيرة في فنون من العلم وترجم من كتب الفلسفة الكثير واوضح منها المشكل ،ولخص المستصعب وبسط العويص ،وقال أبو معشر في كتاب المذاكرات لشاذان ،وحذاق التراجمة في الاسلام اربعة :حنين بن اسحاق ويعقوب بن اسحاق ويعقوب وثابت بن قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري)[5] .

---

[1] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 214.

[2] القفطي، مرجع سابق، ص 267.

[3] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 172.

[4] البيهقي، مرجع سابق، ص 16.

[5] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 183.

وكان يعقوب الكندي على معرفة تامة باللغة اليونانية حيث كان ينقل منها المصنفات اليونانية الى اللغة العربية وكان ملما بعلوم اليونان والفرس والهنود وفلسفاتهم ،وقد وقع عليه اختيار المأمون فعهد له بترجمان مؤلفات ارسطو طاليس وغيره من المفكرين الاغريق الى العربية ،ولم تقتصر نقول الكندي على الكتب اليونانية الفلسفية وانما شملت ايضا مصنفات اخرى وفي مواضيع متباينة ،وهذا امر طبيعي عند الكندي نتيجة اتجاهه العام الى جميع فروع العلم والمعرفة السائدة في عصره[1] .

وكان الكندي انتقائيا في فلسفته ،فحاول على الطريقة الافلاطونية الحديثة ان يوفق بين اراء افلاطون وارسطو وكان يرى ان رياضيات الفيثاغوريا الجديدة هي اساس العلوم وكتب الكندي الثلاثة او الاربعة في نظرية الموسيقى هي اقدم كتب موجودة في اللغة العربية وهي التي تدل مدى تاثره بالكتب اليونانية في ذلك الموضوع ويطلق عليه فيلسوف العرب[2] .وكان الكندي مقربا عند الخليفة المأمون بوصفه مترجم وعالم في وقت واحد.

وكان الكندي مترجما بارزا ،خدم حركة الترجمة بترجماته العديدة لتراث اليونان الفلسفي خاصة والفلكي عامة وقد ساعدته معرفته بلغة اليونان على الاجادة والتمهر في ترجماته .فضلا عن انه كان مصلحا لترجمات غيره من النقلة غير الموجودين ،هذا الى جانب انه كان كثير التفاسير والشروح لاشهر فلاسفة اليونان (ارسطو طاليس)امتاز الكندي في علم الفلسفة ،ومن ناحية اخرى فان الكندي قد خدم حركة الترجمة في مجال اخر وهو تكليف البعض من النقلة بان يترجموا له ما كان يطلبه من مؤلفات لم يكن يسمح بها وقته من التفرغ لترجمتها[3].

وينسب اليه عدد لايقل عن (265) مؤلف ولكن معظمها ضاع لسوء الحظ[4] ،وفي ما يلي عناوين بعض لمؤلفات الكندي[5]:

أ. كتاب الفلسفة الاولى فيما دون الطبعيات .

ب. كتاب في الفلسفة الداخلية .

ج. كتاب في قسمة القانون .

د. كتاب المدخل المختصر .

[1] القفطي، مرجع سابق، ص 268.

[2] نفسه، ص 448.

[3] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 124.

[4] القفطي، مرجع سابق، ص 149.

[5] ابن نديم، مصدر سابق، ص 411.

6. **يوحنا بن ماسويه** : كان نصرانيا سريانيا في ايام هارون الرشيد وهو الذي جعله الخليفة الرشيد امينا على الترجمة

وولاة ترجمة الكتب الطبية القديمة التي وجدها بانقرة وعموريا وسائر بلاد الروم حين فتحها المسلمون ،وعين له مجموعة من الكتاب وكانوا مهرة يكتبون بين يديه واستمر عمله في عهد المأمون الى ايام المتوكل[1] ،وذكر ابن ابي اصبيعة (كان طبيبا ذكيا فاضلا خبيرا بصناعة الطب ،وله كلام حسن وتصانيف مشهورة وكان مبجلا عند الخلفاء والملوك...قال يوسف بن ابراهيم :كان مجلس يوحنا بن ماسويه اعمر مجلس كنت اراه بمدينة السلام المتطبب او متكلم او متفلسف ،لانه كان يجتمع فيه كل صنف من اصناف اهل الادب)[2] ،وكان مع المأمون في كثير من اسفاره ورحلاته[3] ،وقد قيل :ان يوحنا من بين هؤلاء التي نفذهم المأمون الى بلاد الروم لجلب الكتب القديمة والمفيدة ،وكان الكندي له قدرة عالية على ترجمة الكتب اليونانية[4] ،وقد خلف لنا ابن ماسويه اقدكتاب نظامي في علم الرمد في اللغة العربية .

وقد توفي يوحنا بن ماسويه في سامراء سنة 243هـ/857م ،وترك لنا مجموعة غير قليلة من الكتب والتصانيف في شتى العلوم ،وكان عددها لكثر من اربعين كتابا ومن اشهرها ما بين التاليف والترجمة كالاتي:

1. كتاب الكمال والتمام .
2. كتاب الكامل .
3. كتاب دفع ضرر الاغذية .
4. كتاب الاسهال .

[1] القفطي، مرجع سابق، ص 381.
[2] ابن نديم، مصدر سابق، ص 382.
[3] القفطي، مرجع سابق، ص 241.
[4] ابن أبي صبيعة، مرجع سابق، ص 172.

الخاتمة :

أدت الترجمة دوراً بارزاً في نمو وازدهار الفكر والعلم في العصر الذهبي، وعادة ما يقصد بالعصر الذهبي للحضارة والثقافة الإسلامية العصر العباسي الأول الذي استمر من منتصف القرن الثامن الميلادي وحتى القرن الثالث عشر الميلادي. وكان للترجمة دورها في التعرف إلى علوم شعوب وحضارات أخرى واقتباس كل ما يناسب الفكر العربي.

ومن أهم العلوم التي كان للترجمة دور كبير في تقدمها؛ الطب وعلومه. فقد بدأ عصر نضج الطب وعلومه بحركة الترجمة الواسعة التي قادها خلفاء وأمراء مستنيرون أنشأوا في مدن عديدة مراكز للعلم والمعرفة والترجمة.

ومن المعروف أن العرب عندما فتحوا بلاد الفرس والشام وجدوا بها خزائن العلم اليوناني والروماني والفارسي منتشرة فأمر الخلفاء بنقل بعضها إلى اللغة العربية، وبدأت حركة الترجمة الواسعة للعلم اليوناني من اليونانية إلى السريانية، ومن السريانية إلى العربية.

ويلاحظ أن معظم أطباء العصر الأموي والعباسي كانوا من النصارى الذين يجيدون السريانية، وثمة عدد منهم كانوا ممن درسوا في مدرسة جنديسابور أو في (الرها) و(نصيبين). وكانت شهرة مدينة جنديسابور في ميدان الطب عظيمة، وكان لمدرستها لتعليم الطب شهرة مدوية تحت إشراف النساطرة، ولهذا فإنه لما أصيب المنصور العباسي (159 هـ – 775م) بمرض ولم يفلح في علاجه أطباء بغداد؛ استقدم (عام 148 هـ – 775م) جورجيس بن بختيشوع (ت 771م) رئيس أطباء جنديسابور، الذي نجح في علاج المنصور، وأصبح طبيبه الخاص، وأصبح أحفاده أطباء الخلفاء العباسيين لنحو ثلاثة قرون.

الفصل الثالث : بيت الحكمة ودوره في تطور حركة الترجمة في العصر العباسي الأول

قام العباسيون عشية توليهم الحكم بتأسيس مكتبة في بغداد ستكون الأشهر على الإطلاق، بعد تلك التي أنشأها البطالمة (العائلة الحاكمة في مصر أنذاك) في الإسكندرية. في زمن الخليفة العباسي الثاني المنصور (754-775) أطلق على هذه المؤسسة المكتبية اسم "خزانة الحكمة". لتصبح بذلك بمثابة مستودع وكمكان للعمل الفكري لكبار مثقفي البلاط الذين كانوا يقصدونها للقراءة من أجل الكتابة. فيما يتعلق بكتب أرسطو، فالمؤكّد أن الجاحظ يكون قد اطلع على كتاب تاريخ الحيوان، وكتابي المقولات والتحليلات فيها. وهناك أيضا، ربما يكون قد تعرف هذا الكاتب البصري المستقر في بغداد على مؤلفات أقليدس الذي يذكر له كتاب "العناصر"، ولجالينوس الذي أخذ عنه "وصف الدب"، وعن ابوقراط كتاب "الأمثال"، والهندي صاحب كتاب سدهانتا في الفلك المعروف في العربية تحت اسم سند-هند. لكن إذا كانت المكتبة غير متاحة لكل القراء فإن المفارقة أن كتبها كانت متاحة إذ قام أصحابها بتبني طريقة مبهرة في التكفل بتعريف علماء الإمبراطورية بتلك الكتب أينما كانوا، وهذا بمجرد ترجمتها تنسخ وتوضع في الوراقات. في سنة 820 بيع كل من كتابي الماجسطي لبطليموس والعناصر لاقليدس بـ 20 دينار في نسخة جميلة مجلدة من طرف ورّاق بغدادي، وتمَّ تدريسها في بيت أحد الفلكيين المقربين من بيلاط المأمون. مدفوعا برغبة في الحصول على ذينك الكتابين قام أحد الفلكيين المستقبليين للمأمون بسرقة النسخة الأصلية من والده (أحمد بن يوسف الكاتب، كتاب المكآفأة، 141-142).

يعد بيت الحكمة أنموذجًا رائعًا لعصر التألق الفكري والإبداع الإنساني حيث تحول إلى منارة للعلوم بما قدم للإنسانية من تراث فكري رائع وترجمات لثقافات البلاد والشعوب بكافة أطيافها، فاستفادت منها البشرية، وكان بيت الحكمة بذلك دليلًا على نهضة حضارية إسلامية وعربية حقيقية ولا نبالغ إذا قلنا: إنه كان أكاديميةً عالميةً توفر العلوم للمريدين ومنارةً تمنح الضوء للضالين.

المبحث الأول: تأسيس بيت الحكمة

المطلب الأول: تعريف بيت الحكمة

علم الحكمة هو علم يبحث عن حقائق الأشياء ما هي عليه في نفس الأمر، بقدر الطاقة البشرية. وموضوعه الأشياء الموجودة في الأعيان والأذهان. وعرفه بعض المحققين بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بقدر الطاقة البشرية [1].

ان الترجمة في العصر العباسي كانت تتم في اماكن مختلفة يمكننا ان نذكر منها بيوت الحكمة العامة، وبيوت الحكمة الخاصة ودور العلم والمكتبات الخاصة، ومكتبات المساجد وخزائن المراصد الفلكية والمستشفيات، والمدارس والجامعات في البلاد الاسلامية كافة. ان هذه المعاهد لم تكن بوجه عام للترجمة والتعريب فقط بل كانت في كثير من الاحيان تتخذ اماكن للتأليف والمطالعة والانتساخ والتوريق بالاضافة الى خزن الكتب المترجمة والمصنفة، والمصورات الجغرافية والفلكية، والخطوط المختلفة، وهي تدل على النشاط العلمي الذي قام به المسلمون خلال العصور. ان بيوت الحكمة العامة هي خزائن الكتب التي اسسها الخلفاء الفاطميون من امراء المسلمين، اما بيوت الحكمة الخاصة فهي خزائن الكتب التي انشأها العلماء والادباء والأعيان في دورهم وكان يستفيد منها الناس، ومن اشهر الخزائن العامة بيت الحكمة البغدادي[2].

ان المكتبات كانت طريقة القدماء في نشر العلم، ولما كان يتعذر على الاغنياء اقتناء الكتب نظرا لانها كانت مخطوطات غالية الثمن لجأ من احب تعليم الناس الى انشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ويفتح ابوابها للناس، كما فعل البطالسة في مكتبة الاسكندرية، والعباسيون في بيت الحكمة وبيت الحكمة كان اول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الاسلامي، بل انه كان اول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون، ولجأ اليها الطلاب، فكان بذلك اول مركز علمي يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا، ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة ، وقد عنى الخلفاء المسلمون منذ فجر العهد الاموي بالكتاب العربي ونشره [3] وغيرها بين الناس وانشاء الخزائن التي تضم الكتب والدفاتر والسلات كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة لتكون مرجعا لهم ولاولادهم، وكانوا يزودون المساجد الجامعة في كل اقليم بالخزائن التي تضم المصاحف وكتب العلم. وكان العلماء منذ زمن قديم يقفون كتبهم واواراقهم ومخطوطاتهم على خزائن المساجد ودور العلم [4]يتقربون بذلك الى الله ويرجون نشر العلم ومعونة اصحابه ويوصف بيت الحكمة بأنه بناية

---

[1] مصطفى بن عبد الله المشهور (حاجي خليفة)، **آشف الظنون عن اساس الكتب والفنون**، ج1 ، مطبعة بالاوفست 1 منشورات مكتبة المثنى بغداد، ص: 676

[2] ناجي معروف، المرجع السابق، ص 437 .

[3] احمد شلبي، المرجع السابق، ص: 184 - 163

[4] عبد الله عبد الدائم، **التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين**، بيروت – دار العلم للملايين، 1973، ص 157 .

كبيرة فيها عدد من القاعات، والحجرات الواسعة موزعة في اقسام الدار وتضم مجموعة من خزائن الكتب في كل خزانة مجموعة من الاسفار العلمية الخاصة التي تنسب في الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المأمون[1].

وان الذي وضع نواة لهذا البيت هو ابو جعفر المنصور، فقد جمع الكتب التي ترجمت له في الطب والنجوم والهندسة والاداب، كما الفت له بعض الكتب في الحديث والتاريخ والادب، فجمع المنصور هذه الكتب في خزانة كانت النواة لبيت الحكمة .

نجد المأمون رأى في منامه رجل حسن الشمايل فقال من انت فقال انا ارسطو فسأل عن الحسن فقال ما حسن في العقل وما حسن الشرع فكان هذا المنام من اول الاسباب في اخراج الكتب وكان بينه وبين ملك الروم مراسلات وكتب المأمون يسأله ارسال ما يختار من الكتب القديمة المخزونة بالروم فأجاب الى ذلك بعد امتناع فخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة فأخذوا ما اختاروا وحملوه اليه [2].

واطلق المأمون على الدار التي ضمت الاف الكتب المتنوعة اسم بيت فالخزانة كلمة معروفة وهي اسم الموضع الذي يخزن فيه الشئ، الحكمة استعملوه للدلالة على المكان الذي حفظت فيه الكتب. وقد اطلقوا بيت المال على المكان الذي يحفظ فيه مال الدولة، فلا يبعد ان يكونوا قد اطلقوا كذلك (بيت الحكمة) على المكان الذي حفظت فيه الكتب، اما كلمة (الحكمة) فقد استعملوها فيما يرادف فلسفة، فالظاهر انهم اطلقوا خزانة الحكمة وبيت الحكمة على مكان المجموعة من هذه الكتب، لان كلها او اكثرها ليست الكتب الدينية، بل من الكتب التي عنى بنقلها عن الامم الاخرى، واكثر هذه كتب فلسفة او حكمة[3].

اما بنو العباس فقد اهتموا اهتماما كبيرا بالعلم وكتبه. وانتشرت في عهدهم وكان بيت الحكمة اعظم شأنا لما تحتويه من الكتب النفيسة في المكتبات العديدة شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات والنصوص وهكذا صار في بيت الحكمة دوائر علمية منوعة لكل منها علماؤها وتراجمتها، ومشرفون يتولون امورها المختلفة[4].

[1] ناجي معروف، المرجع السابق، : ص 437 .

[2] سعيد الدياجي، **بيت الحكمة**، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، الموصل، (1392 هـ - 1972)، ص: 31.

[3] نفسه، ص: 32.

[4] نفسه، ص: 33.

موقع بيت الحكمة وتخطيطه :

لم تشر المصادر الى مكان بيت الحكمة وذلك خلوا مصادر خطط عن الإلشارة إلى وجود بناء خاص لهذا البيت،إلا أن في العادة جرت ان تكون خزائن الكتب جزء من القصر كما هو الحال في قصر قرطبة وقصر الخليفة الفاطمي العزيز بالله وفارس من قبل[1].

الا أن يرجع ان يكوف ببيت الحكمة في بداية انشائه في عصر الرشيد جزء من قصر الخليفة وكان بناية المستقلة غير انه كان دارا خاصة بالكتب ضمن قصور الخلافة وهي دار ملحقة بقصر الخليفة في مكاف خارجي ولما زاد عدد الكتب المترجمة والمؤلفة في زمن المامون اصبح من الضروري ان يكون هناك بناية كبيرة فيها عدد كبير من القاعات والفراءة والحجرات المخصصة للمترجمين والمؤلفين والدارسين بالإضافة الى الدواوين الواسعة ولهذا نقلت الى الرصافة بالقرب من باب الشماسية واضاف اليها مرصدا فلكياً[2].

اما عن التخطيط المعماري لبيت الحكمة فقد توصل الدكتور محمود احمد درويش الى وضع تخطيط لبيت الحكمة من خلال دراسته لقصر الذب الذي انشاه المنصور،بالإضافة الى المعلومات القليلة التي وردت عن البيت فبين انه يتكون من ساحة تحيط بها قاعات من طابقين على الجوانب الأربعة تتقدمها سقيفة على صف من الأعمدة ، ويتوسط كل جانب من الجوانب الأربعة للساحة إيوان يعلوه قبة نصف ذارعاً اسطواني يرتفع إلى 25 ذراعا إما الإيوان الرئيسي الملاحق للجدار القبلي فيؤدي إلى قاعة مربعة تعموه قاعة أخرى يبلغ ارتفاع القبة التي تعلوه عن سطح الأرض 80 ذ ارعاً = 44.80 م وترتفع فيو القاعة العميا بمقدار 50 ذ ارعاً= 28 م ويعلوه تمثال فارس يمسك برمح يدور مع الرمح [3] .

أما القاعات فان الطابق السفلي يضم قاعات خاصة بخزائن الكتب واقسام الترجمة والنسخ والتاليف والتجليد والمطالعة والدراسة في كل مجالات من مجالات المعرفة والعمو. والآداب أما قاعات الطابق العموي فكانت خاصة باقامة المؤلفين والمترجيف والدارسيف والعاملين وغيرهم [4].

[1] إبن البار، أبو عبدالله احمد بن ابي بكر ، **الحلة السيراء** .– الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة – 1963 ، ج1. ص 200 .

[2] امين احمد ، **ضحى الإسلام**، مطبعة المعارف،القاهرة ، 1963 ،ص62 .

[3] -**اصول التخطيط المعماري للمدارس الإسلامية**،وقائع الندوة العلمية لبيت الحكمة،بغداد ،2000 .، ص 417 .

[4] -العش، يوسف، **دور الكتب العربية شبه العامة لبلاد العراق ومصر في العصر الوسيط** ، دار الفكر العربي المعاصر، بيروت–1991، ص438 .

المطلب الثاني : تاريخ تأسيس بيت الحكمة :

ان بيت الحكمة الذي اسسه العباسيون في بغداد هو اول بيت حكمة عرف عند المسلمين ،كما كان اعظمها شأنا لما يحتويه من الكتب النفيسة في شتى العلوم والمعارف في مختلف اللغات .والنصوص التي وقفنا عليها من هذه المؤسسة الثقافية لا تساير الباحث ،بل نجدها متفرقة في بعض المصادر ،ومن الصعب ان نقف على تاريخ معين أو محدد من تأسيسها .

والذي نراه أنه في خلافة ابي جعفر المنصور (135هـ/158//752م/774م) ترجمت له كتب كثيرة في الطب والنجوم والهندسة والآداب كما ألفت له بعض الكتب في التاريخ والحديث والادب ،فقد ترجم جرجيس بن يختيشوع مؤلفات كثيرة في الطب من اليونانية الى العربية حيث كان يجيد اليونانية والعربية بالاضافة الى لغته السريانية فخصص المنصور له خزانات لهذه الترجمات وغيرها من المخطوطات القيمة[1].

وكان المنصور شديد الحرص على هذه الكتب ووصى بها الى ابنه ولي عهده محمد المهدي قليل العناية بالكتب وخاصة بعد انتشار حركة الزنادقة ببغداد التي شغلته فضعفت حركة الترجمة في عهده ،وتجنب العلماء ترجمة كتب الحكمة والنجوم والكتب التي تبحث في الملل والنحل والاهواء والمعتقدات[2] .

ولكن حينما جاء الخليفة هارون الرشيد (170هـ/193هـ//786م/808م) وكان كثير الاهتمام بعلوم الحكمة وترجمة كتبها من اللغات المختلفة ،فاتسعت دائرة الترجمة وزاد عدد الموظفين المشتغلين بها وتألق في عصره أنجم عدد من العلماء أمثال الاصمعي النحوي المشهور وجبريل بن يختيشوع[3] .

فتجمعت لدى الرشيد عدد كبير من الكتب فرأى إنشاء مكانا لتحفظ فيه هذه الكتب التي جمعها فأنشأ بيت الحكمة مما ساعد على انتشار التعليم[4] .

هكذا فان تاريخ تاسيس بيت الحكمة يرجع الى الخليفة هارون الرشيد فقد ذكر ابن النديم[5] في كلامه عن ابي سهل الفضل بن نوبخت انه كان في خزانة الحكمة لهارون الرشيد ،وذكر في ترجمة علان الشعوبي انه كان منقطعا الى البرامكة وينسخ في بيت الحكمة

---

[1] ابن القفطي:مصدر سابق، ص383 .

[2] الطرازي الفيكنت **فيليب،خزائن الكتب العربية في الخافقين**، دار الكتب اللبنانية –بيروت _ب ت، ج1، ص99 .

[3] سيد امير علي،**مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي**، طبع بمصر –القاهرة، 1938، ص217 .

[4] خوا بخش (صلاح الدين) ،(**الحضارة الاسلامية**) ،تر : علي حسني الخربوطلي ،دار احياء الكتب العربية –القاهرة 1965م، ص160 .

[5] ابن النديم ، مصدر سابق ،ص382 .

للرشيد والمأمون والبرامكة[1] .وحتى يتم مشروع ترجمة الكتب الاجنبية وحفظها في بيت الحكمة ولى عدة علماء أمرها ،فعهد الى الفضل بن نوبخت[2] أمر العناية بالكتب الفارسية والى يوحنا بن ماسويه وهو شيخ النقلة في عصره ،ويقول ابن ابي أصيبعه :كان يوحنا بن ماسويه سريانيا قلد الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجده بأنقرة وعموريه وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينا على الترجمة[3] .ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم وقد منح مرة لأحد العلماء مائة ألف درهم[4] .

ومعظم الكتب التي وصلت عن الهنود في الطب والفلك والرياضيات وقد تم الانتهاء من نقلها في عصر الرشيد ،وكان بعض علماء الهنود قد وفدوا الى بغداد منذ عهد المنصور سواء من تلقاء أنفسهم أو يدعوهم الخلفاء للحضور[5] .وقد وجهت العناية في بداية أيام الرشيد الى الكتب الفارسية والهندية[6] .

فكما ذكرنا سابقا أن الرشيد هو الذي اسس بيت الحكمة وجعلها مقرا لنقل الكتب اليونانية والفارسية الى العربية ،بل لعله هو الذي بدأ تلك الحملات العسكرية ذات الهدف العسكري ،وفي نفس الوقت ذات الهدف العلمي بقصد جلب نفائس المخطوطات اليونانية الى بغداد لتعريبها .ذلك أن الرشيد دأب على غزو الروم في عقر دارهم في غزوات أسماها الصوائف وكان يكسر شوكة الروم ويمنعهم من التفكير في الهجوم على ديار المسلمين ،وفي نفس الوقت يوجه غزواته الى المدن اليونانية المشهورة لانها معاقل الثقافة كعمورية وأنقرة ،وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة التي كان سكانها قد جهلوا قيمتها[7] ولما جاء المأمون بعد ذلك فكانت له في العلم رغبة لما كان ينتحله فانبعث بهذه العلوم حرصا ،واوفد الرسل الى ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربي ،وبعث المترجمين لذلك فعكف عليها النظار من اهل الاسلام وخدموا في فنونها وانتهت الى الغاية أنظارهم فيها ،وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الاول أرسطو واختصوه بالرد والقبول .ودونوا في ذلك الدوواين ،واربوا على من تقدمهم في هذه العلوم[8] .

وبهذا نرى ان نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته في عهد المأمون الذي كان واسع الثقافة حر الفكر ولعل احسن وصف للمأمون والحركة التي نشأت في عهده وغذاها بماله ونفوذه وجهده وعلمه وجهاده هو قول القاضي صاعد الاندلسي[9] في كتابه "طبقات الامم"

---

[1] المصدر نفسه ص154 .

[2] ابن القفطي ، مصدر سابق ،ص309

[3] ابن ابي أصيبعة ،مصدر سابق، ج2 ص124 .

[4] السيوطي ،مصدر سابق، ص285 .

[5] جلال مظهر ،**حضارة الاسلام واثرها في الترقي العلمي** ، القاهرة 1974م، ص247 .

[6] عبد الله عبد الدايم ، **التربية عبر التاريخ** ، بيروت، ط 2، 1975، ص158 .

[7] محمد البرقوقي ، **الخوارزمي العالم الفلكي الرياضي** ، الدار القومية للطباعة والنشر –القاهرة 1964م، ص78 .

[8] ابن خلدون ، مصدر سابق، ص892 ص893 .

[9] صاعد بن احمد الاندلسي ، **طبقات الامم**، طبعة مصر، د ت ، ص47 .

حيث يقول :"ثم لما افضت الخلافة منهم الى الخليفة السابع منهم يقصد بني العباس عبد الله بن المأمون بن الرشيد بن محمد المهدي بن ابي جعفر المنصور فتم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم في مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة..." .

ولقد بنى الخلفاء والامراء دورا للعلم والحكمة كانت تحوي كلا منها مكتبة تفتح لطلاب العلم ،وبعضها يجري فيها أرزاق على المشتغلين بالعلم وبعضها كانت مراكز للنقل والترجمة[1] وذلك لما طرأ على حركة التأليف من نشاط في العصر العباسي وكذلك تقدمت صناعة الورق ،فكثرت المكتبات التي كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والادبية .

كان علي بن المنجم هو اول من اسس مكتبة عامة وفتح ابوابها للراغبين في تلقي العلم ،وعين فيها موظفين يتقاضون رواتبهم من ماله الخاص لمساعدة الوافدين عليها كما تفعل البلاد المتحضرة اليوم .ولم يكتف بهذا بل بنى أجنحا في قصر له بضواحي بغداد لاقامة الراغبين في التعليم ومطالعة الكتب ،فكانوا يأكلون على نفقته وكأنما اراد ان يجعل من مكتبته جامعة عامة .

ولعلي بن يحي المنجم فضل يفوق كل فضل في هذا المضمار لانه كان فردا واحدا ،وضع على عاتقه هذا العبء الكبير مقطوعا كما كانت داره في (سرّ من رأى) مضافة لكل اديب وعالم يمنحهم الهبات وينتزع العطايا من الكبراء ويقربهم الى الخلفاء والامراء .

وقال ابو علي التنوخي في كتابه "نشوار المحاضرة" :"كانت لعلي بن المنجم نفيسة وقصر فيه خزانة كتب عظيمة نسميها خزانة الحكمة، يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها صنوف العلم والكتب مبذولة في ذلك لهم "[2] .

وكان يحي بن المنجم قد خدم المأمون نادما واتصل علي في أيام شبابه بمحمد بن اسحاق المصعبي من زعماء ذلك العصر ثم اتصل بالفتح بن خاقان وزير المتوكل وصديقه واسس له مكتبة كبيرة من الكتب ،يستنسخ لها الكتب القيمة بنفسه أو يستأجر من يفعل ذلك تحت اشرافه حتى بلغت مبلغا كبيرا واتصل بعد ذلك بالمتوكل وحظي عنده حظوة عظيمة فكان لا يفترقان تقريبا[3] .

وقد اسس الخليفة المعتضد ايضا دورا ومقاصد للتعليم وكانت دور الكتب سواء العامة او الخاصة عامرة بالكتب من جميع فروع العلم والمعرفة .

وبلغ عدد الكتب في بعضها أكثر من مليون كتاب ،والى جانب دور الكتب انتشرت محال الوراقة كمراكز للعلم والمعرفة والثقافة ،اذ كانت تعمل في نسخ الكتب وتجويد الخط ،بالاضافة الى اهميتها كمراكز أدبية . وكانت خزانة سابور بن اردشير مركزا ثقافيا ممتازا يلتقي فيه

[1] حسن ابراهيم حسن ،**تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** ،طبعة مكتبة النهضة المصرية –القاهرة 1953، ج2، ص258 .

[2] التنوخي ،ابو علي الحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم ،**نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة**، دمشق 1348هـ، ج8، ص108 .

[3] زكرياء هاشم زكرياء ، مرجع سابق ، ص282 ،285 .

العلماء والباحثون للقراءة والدرس ،وطالما أخذت فيها المناظرات والمناقشات ،وذكر ان عدد كتبها يزيد على عشرة آلاف مجلد في شتى العلوم والمعارف فنجد منها كتب الادب والفقه والحديث والفلسفة وغيرها .

ومما يدلنا على اهميتها العلمية ان بعض المؤلفين كانوا يخلدون ذكرهم بتقديم نسخة مما يؤلفونه من الكتب القيمة الى دار العلم ومنهم جبرائيل بن عبد الله بن يختيشوع فقد وقف نسخة من كتابه "الكافي" على دار العلم المذكورة[1] .وهناك ايضا مكتبة اسحاق بن سليمان العباسي ،وكانت تمتلئ بالكتب والاسفاط والرقوق والدفاتر والمساطر والمحابر، واضخم منها مكتبة يحي بن خالد البرمكي ويقال انه لم يكن في مكتبته كتاب الا وله نسخة[2] .

وربما فاق هذه المكتبة عظما وضخامة مكتبة الواقدي المؤرخ المشهور المتوفي 207 هـ وكانت تشتمل على ستمائة صندوق مملوءة بالكتب[3]، وكان له مملوكان يكتبان له ليلا ،ولعل في ذلك ما يدل دلالة واضحة على أن الكتب اصبحت مادة اساسية للمعرفة، والحق الخلفاء والامراء وبعض الوزراء بقصورهم وبيوتهم مكتبات ضخمة .

وكان للخليفة الناصر لدين الله مكتبة كبيرة جدا ،كما كان الخليفة المستعصم بالله مكتبة ضخمة في داره نفائس الكتب في مختلف العلوم[4].

ومكتبة المستعصم بالله وهو آخر الخلفاء العباسيين وقتله المغول عقب سقوط بغداد 656 هـ عظيمة جدا تحدثت عنها المراجع المختلفة حديثا ينبئ عما كان من عظمة وجلال .

ويقول ابن الفوطي[5] ان الخليفة أمر في سنة 641 هـ بعمل خزانة للكتب في داره وكتب على جهاتها اشعارا منها ما نظمها صفي الدين عبد الله بن جميل فيقدم شعر الديوان :

أنشأ الخليفة للعلوم خزانة صارت بسيرة فضله أخبارها

أهدى مناقبه لها معتصم بالله من لألفه أنوارها

---

[1] ابن القفطي :المصدر السابق، ص105 .

[2] المصدر نفسه ج1 ص60 .

[3] ياقوت الحموي :مصدر سابق، ج8 ، ص218 .

[4] محمد عجاج الخطيب ، **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر**، مؤسسة الرسالة –بيروت لبنان، 1389هـ /1969م ، ط6، ص39 .

[5] ابن الفوطي ،ابو الفضل عبد الرزاق ،**الحوادث الجامعة والتجارب النافعة**، تح: مصطفى جواد ، بغداد –المكتبة العربية، 1932م، ص184 .

كما انه في ذلك الوقت كانت الكتب تستهوي الناس اكثر مما يستهويهم الاستماع الى المدرس هكذا .ومن هذا النوع دار العلم التي أنشأها بالموصل ابو القاسم جعفر بن محمد الموصلي وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفا على كل طالب علم ،ولا يمنع أحد من دخولها . واذا جاءها غريب يطلب الادب وكان معسرا أعطاه ورقا وورقا .وكانت تفتح في كل يوم ويجلس فيها اذا عاد من ركوبه ويجتمع اليه الناس ويملي عليهم من شعره وشعر غيره[1] .

وكان كثير من العلماء يوقفون نسخا مما يملكون على دار العلم هذه ،وقد فضل ذلك حمد بن علي خيران الكاتب المصري ،فقد ارسل جزئين من شعره ورسائله يستشير في تجليدهما بدار العلم وأبدى استعداده أن ينفذ بقية الديوان والرسائل ،ان علم ان ما انفذه منها أرتضي واستجيب[2] .

وكذلك فعل جبريل بن يختيشوع فانه لما اتم مؤلفه الذي سماه الكافي وقف نسخة منه على دار العلم ببغداد كالتي بالبصرة [3] .

ونتيجة للحركة التي بدأها في بغداد بانشاء بيت الحكمة فقد أخذت معظم المدن[4] الاسلامية في انشاء المكتبات الكبرى التي تضم امهات الكتب .

[1] ياقوت الحموي ،**معجم الادباء**، ج،2 ص420 .

[2] نفسه ج1، ص442 .

[3] المقدسي ،شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر، **احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم**، ليدن ،مطبعة بريل 1968م، ص413 .

[4] عباس صالح طاشكندي ، **مخطوطات الحرمين الشريفين قطعة من تراثنا**، مجلة الفيصل العدد الاول، السعودية، 1397هـ/1977م ، ص9،10 .

المطلب الثالث: الاهداف المراد تحقيقها من تأسيس بيت الحكمة

ولم تكن الكتب والمساجد كل ما هيأ لازدهار الحركة العلمية حينئذ فقد هيأ لها أيضا مجلس الخلفاء والوزراء والامراء والسراة اذ تحولوا الى الى مايشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صنف على نحو مايروى من مناظرة الكسائي والكوفي بين يدي المهدي[1] .

فبيت الحكمة مفتوحة على مصراعيها ودور اخرى كثيرة ودكاكين الوراقين ايضا تعرض على كل ما يطلبه القارئ ،وحلقات المساجد تموج بالحاضرين في مختلف فروع العلم ،ولكل شخص الحق في ان يستمع الى مايرغب بسماعه من هذه المحاضرات وصنعوا بالمثل مع الوزراء وذوي النباهة والشأن .

ومر بنا في حديثنا عن خزانات الكتب ما اقام علي بن يحي المنجم في صنيعه له من خزائن ضخمة للكتب كان الناس يؤمونها من كل بلد فيجدون فيها نفقتهم ،وما يشاءون من كتب لا تكاد تحصى وكان الخلفاء منذ المتوكل يصبغون عليه عطايا جزيلة فكان ينفقها على مكتبته وعلى الناس من شعراء وغير شعراء[2] .

كما ازدانت بغداد ببيت الحكمة التي اكسبتها مجدا وعزا وجذبت اليها العلماء ،والطلاب من مختلف اقطار العالم الاسلامي الكبير ففي تاريخ دار العلم او بيت الحكمة ببغداد لا تكاد تعثر على اسم امراة في خدمة هذا الصرح العلمي الا عبارة وردت في رسالة الغفران تشير الى امة عير عربية اسمها "توفيقة السوداء" كانت تخدم دار العلم ببغداد فتقدم الكتب الى النساخ وهذه الوظيفة تقابل في المكتبة الحديثة المناولين[3] .

فالتشجيع العلمي واقبال الامة على العلم وتفتح القلوب للاسلام عقيدة وعبادة وشريعة واخلاق .كل ذلك ولد نشاطا علميا واسعا في مختلف ميادين العلم والمعرفة في الدولة الاسلامية في القرون الستة الاولى نشاطا لم يعهد التاريخ مثله ،فحق الازدهار العظيم الذي خلد اعمال العلماء المسلمين وأمد التراث الانساني بذخيرة علمية قيمة لا يزال العالم مدينا لها حتى هذا العصر .

ولكن سنة الحياة التي جعلت من عصور القوة في الدولة الاسلامية عصور ازدهارها لحضارتها العلمية والفنية والعمرانية ،هي نفسها التي عرضت تلك الدور العلمية لمثل ما تعرضت له الدولة في عصور ضعفها وانحطاطها وواجهت معها نهاية واحدة .

---

[1] شوقي ضيف، **العصر العباسي الاول**، دار المعارف بمصر-القاهرة، 1963م، ص103 .

[2] شوقي ضيف ، **العصر العباسي الثاني**، دار المعارف بمصر-القاهرة ، ط2 1973م، ص189 .

[3] عائشة عبد الرحمن ، **رسالة الغفران**، دار المعارف بمصر -القاهرة، 1963م، ص287 .

وبحكم ارتباطها فهي مجتمعة بمصير واحد وبدأ التحول مع نهاية القرن الرابع الهجري الذي هو في حساب المؤرخين عصر القوة .وقد استمرت خزائن الحكمة في العمل وتأدية رسالتها بعد المأمون ولكنها مع مرور الزمن فقدت شيئا كثيرا من أهميتها[1] .وقد كانت لاتزال موجودة في اواسط القرن الرابع للهجرة عندما ألف ابن النديم كتابه (الفهرست) اذ انه استعمل مواد كانت موجودة في بيت الحكمة كما يذكر هو نفسه ذلك أثناء حديثه عن القلم الحميري[2] .اما بيت الحكمة فيغلب الظن انه ظل موجودا طوال العصر العباسي وانه دمر ضمن ما دمر عندما احتل المغول بغداد[3] سنة656 هـ . ومن اهم الاهداف التي سعى مؤسسو بيت الحكمة وعلى راسهم الرشيد والمأمون لتحقيقها لاقامة هذا الصرح العظيم هو تنشيط حركة التاليف والترجمة والتصنيف .فقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية أوجها فازدهرت ازدهارا عظيما في العصر العباسي ،حيث وصلت الى المستوى الحضاري الذي تفخر به الامم والشعوب حيث كانت الآثار المكتوبة والفكرية يعني الكتب والتاليف وسيلة لقياس المستوى الحضاري[4] .

ولو رجعنا الى مادة الفكر والتاليف لراينا العرب بلغوا من الدرجات ما لم يبلغ الغرب مثلها الا في العصر الاخير ومن ثم يصبح القول بأن التصنيف ابتدأ في العصر العباسي معنى هذا أن تصنيف الكتب على اسلوب دقيقبدأ في هذا العصر الا ان الكتابة والتاليف والجمع حدث قبل العصر العباسي وأيا كان الامر ،فالحركة العلمية في العصر العباسي كانت قوية لدرجة تذهل الانسان ،فهذه البصره تؤلف الكتب وتستخرج الآراء ،وتضع النحو .وهذه الكوفة تكتب في التاريخ والادب وتؤلف في النحو وهذه بغداد تضم عددا هائلا من العلماء يتكاثرون في المساجد ويكتبون العلم حتى اذا ما وصلنا الى عصر المأمون رأينا معظم المتعلمين ينكبون على اخراج الكتب .

واستفاد خلفاء بني العباس من المدارس الموجودة في عهدهم ،فنشطت حركة التاليف والترجمة حيث قاموا بالاتصال بعلماء هذه المدارس واستدعوهم الى بغداد ،وكانوا ينفقون عليهم الاموال الكثيرة لترجمة الكتب الى اللغة العربية ،ودامت هذه الاعمال ،اعمال الترجمة المحضة بين عام (750-900م) وفي هذه الفترة عكف المترجمون على نقل امهات الكتب من السريانية واليونانية والفهلوية والسنسكريتية وكان على رأس أولئك المترجمين المقيمين في بيت الحكمة هو حنين بن اسحاق(809-873م) وقد ترجم وحده كما يقول هو نفسه الى السريانية مئة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العالمية والى اللغة العربية تسع وثلاثون رسالة اخرى ،وبفضل هذا نجت بعض مؤلفات جالينوس من الفناء .وكاد المأمون ان يفلس بيت المال حين كافأ حنين على اعماله بمثل وزن الكتب ذهبا .

ومن هنا يتضح لنا كيف حافظت بيت الحكمة على التراث العالمي وانقذته من الفناء وخير مثال على ذلك مؤلفات جالينوس وهذا من احدى أهداف بيت الحكمة .

---

[1] المرجع نفسه، ص288 .

[2] ابن النديم، مصدر سابق، ص8 .

[3] القلقشندي ، **صبح الاعشى في صناعة الانشأ**، المطبعة الاميرية –القاهرة، 1913م، ج1، ص466 .

[4] يوسف العشي ، **تاريخ عصر الخلافة العباسية**، دار الكتاب ، دمشق، 1968م ، ص223 .

وقد أنشأ المأمون في بغداد مدرسة لتخريج المترجمين ،وهي مكملة لدار الحكمة وعني بها المأمون وجعل سهل بن هارون أمينا عليها[1].

وكانت رسالة بيت الحكمة الاساسية ترجمة الكتب اليونانية الى العربية على يد يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق ،وسلم خازن بيت الحكمة في زمن المأمون ،وممن حاضر فيه والقى دروسا الامام الخوارزمي[2] .فقد زخرت خزائن بيت الحكمة بالكتب المترجمة واقبل الناس على قراءة هذه الكتب والتمعن فيها فأدى ذلك الى حركة فكرية جديدة في التاليف والنشر ،هذه الحركة أنتجت ثقافة واسعة مبنية على القديم والحديث .

كما كان من اهداف بيت الحكمة نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين فانشاء هذا المعهد العالي ان جاز لنا التعبير كان نتيجة لهذا التقدم العلمي في العصر العباسي[3] ،ومما لا شك فيه انه ساعد على نشر التعليم بين جمهور المسلمين ولم يكن انشاء دور الكتب مقصورا على العراق بل قامت في مصر والاندلس دور كتب خاصة ،يعهدها الخلفاء والامراء والوزراء فكانت عاملا كبيرا في تسهيل دراسة العلم والتعليم. كذلك لم يكن التعليم مقصورا على الجوامع والمساجد فكثيرا ما كانوا ينسقون حلقات التدريس بالمستشفيات والرباطات وغيرها من الاماكن[4] .

وبانشاء بيت الحكمة تم ادخال نظام جديد على العالم الاسلامي للمكتبات ،فقد كان لمحمد بن يحي بن عبد الله العباسي بن محمد بن صول ابو بكر المعروف بالصولي وهو احد العلماء بن شاذان يقول :"رايت للصولي بيتا عظيما مملوءا بالكتب وهو مصفوفة وجلودها مختلفة الالوان ،كل صف من الكتب لون ،فصف أحمر و آخر أخضر وآخر أصفر وغير ذلك . قال وكان الصولي يقول هذه الكتب كلها سماعي[5] ". وهذا الترتيب البديع هو أحدث نظام متبع في ترتيب مكتبات أوروبا .

ومن اهداف بيت الحكمة حرصها الشديد على المحافظة على الكتب والمصنفات التي تترجم أو تصنف .فقد كان قد ارتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها في بغداد المحافظة على الكتب والمصنفات .ومن هنا جاء دورها الهام باقامة جهاز اداري يتولى الاشراف والتنسيق داخل بيت الحكمة .وكان العلماء في الدولة الاسلامية يودعون نسخا من مؤلفاتهم في بيت الحكمة[6] على ان يقوم الجهاز الاداري بالمحافظة

---

[1] محمد غفراني خراساني ، **عبد الله بن المقفع**، مكتبة نهضة مصر بالفجالة- القاهرة، 1970م، ص36 .

[2] محمد عبد الجواد الاصمعي، **ابو الفرج الاصفهاني** ، دار المعارف، بمصر- القاهرة، 1923م، ص46 .

[3] نقولا زيادة، **صور من التاريخ الاسلامي**، دار العلم للملايين -بيروت لبنان ، ب ت ، ص243،241 .

[4] جرجي زيدان ،**تاريخ التمدن الاسلامي**،مراجعة وتعليق حسين مؤنس، طبع دار الهلال- القاهرة 1902م، ج3 ، ص200 .

[5] البغدادي ،**تاريخ بغداد او مدينة السلام** ،مطبعة السعادة ،القاهرة ،1932،ج3،ص431 .

[6] عصام الدين عبد الرؤوف ،**الحواظر الاسلامية الكبرى** ،دار الفكر العربي ،القاهرة 1976م ،ص247 .

على تلك المؤلفات من الضياع .وفي عهد العباسيين "نراهم مستودع الذخائر العلمية في العالم ،كما نرى وكلاء الخلفاء ينقبون في كل بلد من بلاد العالم عن كنوز الثروة القديمة ثم يجلبون الى العاصمة بغداد ويعرضونها على الناس فينظرون بعين الاعجاب والتقدير[1]" .

كما كانت تقام ببيت الحكمة المراصد ،وتستخدم فيها اساليب التنجيم ،واستطاع الخليفة المأمون أن يجعل من هذا البيت كعبة للعلماء وان ينظمهم التنظيم الدقيق .

وكانت بيت الحكمة التي عني بها الرشيد والمأمون مد يديه وعينيه ،فكانت تكتظ بكتب الفلسفة وعلوم الاوائل فانقض عليها انقضاضا يقرأ ويستوعب ويتمثل تمثلا نادرا.

اما الاستفادة من مزج الثقافات المختلفة والمعارف المتباينة ،فقد كان من اهم اهداف بيت الحكمة ،وساعدها على ذلك دخول الموالي والبرامكة وغيرهم من الطوائف الاخرى في احضان الدولة العباسية .

فقد كان يعمل في بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافاتهم ومعارفهم فسهل بن هارون صاحب خزانة بيت الحكمة كان حكيما شاعرا ،وجدير بالذكر انه فارسي شعوبي المذهب شديد العصبية على العرب ويصف الجاحظ براعته وفصاحته وله عدة كتب ،وازداد عدد الكتب في عهد الخليفة المأمون فلم تكن الكتب اليونانية هي التي حرص على نقلها الى بيت الحكمة بل نجد المأمون يطلب من يحي بن البطريق على علم بهذه اللغة .وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا في مختلف اللغات ومختلف العلوم[2] .

وقد ساعد الموالي بدخولهم في احضان الدولة العباسية على أن يكون هذا العصر هو العصر الذهبي في تاريخ الترجمة والنقل عند العرب، واستطاعوا ان ينقلوا الى اللسان العربي كل ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الامم المتدينة لاتقانهم السريانية واليونانية[3] .واضاف البرامكة الى هذه الخزائن الكثير من الكتب وخصوصا الفارسية في آخر عهد الرشيد ضمت خزائن بيت الحكمة كثيرا من الكتب بلغات متعددة منها العربية واليونانية والفارسية والسريانية وبعض اللغات الهندية .

كما انفق المأمون اموالا طائلة في جلب الكتب من الدولة البيزنطية .فبيت الحكمة هو مجمع علمي ومرصد فلكي ومكتبة عامة انفق في انشائه مائتي الف دينار .فأقام فيه طائفة من المترجمين وأجرى عليهم الارزاق من بيت المال .

---

[1] سيد امير علي ،**روح السلام** ،تر: امين محمود الشريف ،مكتبة الاداب،القاهرة 1963م ،ج2،ص256 .

[2] ابن القفطي:مصدر سابق ص280 .

[3] د.خليل طوطح ،**تاريخ التربية عند العرب** ،القدس، 1933م،ص15 .

ويدلنا على عظمة بيت الحكمة واهميتها ما يقوله ابن خلدون[1] "ان الاسلام مدين الى هذا المعهد العلمي باليقظة الاسلامية الكبرى التي اهتزت لها ارجاؤه والتي تشبه في اسبابها –وهي انتشار التجارة ،واعادة كشف كنوز اليونان –وفي نتائجها –وهي ازدهار العلوم والفنون" .نقول انها تشبه في اسبابها ونتائجها النهضة الاوروبية التي أعقبت العصور الوسطى .

المبحث الثاني: الحياة العلمية ونشاط الترجمة في بيت الحكمة

المطلب الأول: هيكلة بيت الحكمة والعاملين فيه

يقترن بيت الحكمة البغدادي بذكر عدد من الاعلام المشهورين كالرشيد والبرامكة والامين والمأمون والمتوكل. كما يرد فيها ذكر عدد من العلماء والخزان والموظفين.

وكان يدير بيت الحكمة البغدادي مديرون وامناء على الترجمة ومعهم كتاب حذاق، كما كان يشتغل فيه علماء ونساخون وخزان ومجلدون من مختلف الاديان والاجناس والمذاهب والثقافات .

- **الهيكل التنظيمي لبيت الحكمة :**

كان لبيت الحكمة نظاما خاص به إلا أن المصادر لم ترشدنا الى معلومات مفصلة عنو سوى بعض النتف القليلة التي ذكرتها المصادر والتي منها نستشف أن هناك نظام خاص يضبط هذا العمل .

وتبين المعمومات التي وصلت الينا هي مؤسسة كما هي بقية المؤسسات القائمة في عصر المامون و نستدل على ذلك من خلال صاحب بيت الحكمة وهذا اللفظ يطلق على اصحاب المراتب العليا في الدولة آنذاك مثل : صاحب البيمارستان صاحب بيت الضرب وصاحب الأرصاد (مدير االرصاد الفلكية) صاحب الديوان (مدير ديوان الوزارة) [2].

ويدعى المسؤوث عف بيت الحكمة بالخازن لإدارة شؤون وصيانة كنوزه وكان لا يتولى هذا المنصب إلا من العلماء النابهين والحاذقين الكبار ومن الذين برعوا في عموم عديدة لما لهذا المنصب من اهمية كبيرة انذاك ويتكو بيت الحكمة من عدة اقسام :[3]

---

[1] ابن خلدون ،مصدر سابق، ص426 .

[2] العش يوسف، مرجع سابق، ص 438.

[3] -خليفة شعبان عبد العزيز، **الكتب والمكتبات في العصور الوسطى** ، الشرق المسلم الشرق الأقصى ،الدار المصرية اللبنانية لنشر، بيروت –1997، ص289 .

المكتبة بعد أن تكونت مكتبة هائمة من الكتب المترجمة والمؤلفة والمخطوطات وكتب اليونان والفرس والهند، أنشئت بناية كبيرة فيها عدد كبير من القاعات والغرف التي ضمت هذه الكتب والتي قسمت على شكل مجموعات اذ كل مجموعة علمية تخص علم من العلوم في خزانة وهذه الخزانة مقسمة على شكل رفوف وكل رف مقطع بحواجز[1].

وكانت هذه الكتب مفهرسة على النحو الذي هو عليه المكتبات الحديثة من حيث تنظيم فهرسة واضحة لعناوين المؤلفات والكتب ، اذ تجمع كتب الموضوع الواحد في مكان واحد على الرفوف تجاورها الكتب الوثيقة الصلة بالموضوع، مما يسهل للقارئ الإهتداء الى الكتب التي يبغيها بالإضافة الى ذلك فانه عمل فهارس ليذه الكتب ولكل موضوع على حده، وقد وقف المأمون على هذه الفهارس وكان يقلبها بين الحين والآخر ويتطلع اليها، فضلاً على ذلك فإن عدد من العلماء عملوا فهارس لكتبهم كالبيروني الذي اعد قائمة بكتبه وبكتب محمد بن زكريا الرازي ، وكذلك كتاب الفهرست لإبن النديم الذي يعد اهم المصادر التي يعتمد عليها كل من تناول بيت الحكمة[2] . وارتبطت بالمكتبة عدة اقسام منها :

أ. **الإيداع :**

يطلق على الكتب المودعة في بيت الحكمة لفظ " التخميد " والكتب التي تودع في المكتبة بعدة طرق منها الكتب المؤلفة والتي يكون فيها المؤلف في غاية السرور اذا أودع كتابه في بيت الحكمة أو عن طريق الترجمة، او عن طريق شراء الكتب فقد كلف المأمون جماعة لشراء الكتب من بلاد الروم واضافتها الى خزانة كتبه [3].

ويعلق الدكتور حسن احمد محمود على هذا الموضوع قائلا : كانت الدولة العباسية تعقد الصفقات لشراء كتب وتدفع في سبيلها أغلى الأثمان وخاصة في عهد المأمون حكيم بني العباس الذي سخر كل الإمكانيات وطرق كل السبل ليعثر على الكنوز الفكرية الحبيسة في مكتبات القسطنطينية وقبرص.

[1] حسن رشاد حسن ، **المكتبات ورسالتها**، مطبعة المعارف، القاهرة – 1996 ، ص6.

[2] كرد محمد علي، **رسائل البلغاء** ،مطبعة دار الكتب، القاهرة ،1935، ص479 .

[3] خليفة، شعباف عبد العزيز، **الببليوغرافيا أو علم الكتاب : دراسة في اصول النظرية الببليوغرافية وتطبيقاتها النظرية العامة**،الدار المصرية اللبنانية لنشر ،ط2 ، القاهرة،-1998، ص524 .

ب. الإعارة :

ويوجد في بيت الحكمة حجرة فيها القراء وعمى بابها الخدمة لتقديم الخدمة لمن يرتاد تلك الدار وكذلك كانت فيها اعارة خارجية إلا ان هذه الكتب لا تعطى إلا لمن يعرف قيمة هذة الكتب ،وعند الإعارة يأخذ رهن بقيمة الكتاب المعار من اجل الحفاظ على الكتب[1].

ج. النسخ والتجليد :

ارتبطت حركة النسخ والتجليد بحركة التأليف والترجمة ،إذ بعد إن ينتهي المترجم أو المؤلف من الكتاب يقدمه الناسخ، وكان في البيت نساخ عرفوا بجودة الخط وان المأمون بنفسه يقف على هذه الخطوط وطالب بتعديل الألقاب المستعملة وأمر بان تجمع حروف القلم المسمى "النصف" ويباعد بيت سطوره وسمي بالقلم الرياسري وبعد إن يكمل نسخ يذهب للتجليد والتزويق وينسخ الكتاب بأكثر من نسخة من اجل توزيعها على المكتبات خارج بغداد كبيت الحكمة التونسي في رقادة ودار الحكمة في القاهرة[2] .

وكان النساخ والمجلدين في بيت الحكمة يتمتعون بمكانة خاصة لدى الخلفاء الذين أغدقوا عليهم بالكثير من الأموال والهبا والعطايا .

د. الخرائط والمصورات :

حفظت المكتبة عددا من الخرائط الجغرافية والمصورات الفلكية التي ينتفع منها الجغرافيون منفعة كبيرة ،ومن هذه المصورات التي

شاهدها المسعودي هي الصورة المأمونية التي اجتمع على صنعها عدد كبير من حكماء عصر المأمون، وصور فيها العالم بأفلاكه ونجومه وبره وبحره ومساكن الأمم والمدن وأيضاً الصورة التي رسمها احد العلماء للخليفة هارون الرشيد للدنيا كلها ببحورها وجبالها وأوديتها وأقاليمها وسائر امكانها[3] .

هـ. قسم الترجمة والتأليف:

كان قسم الترجمة مقسما إلى عدة دوائر بحسب الموضوعات المراد ترجمتها ، وكل دائرة مسؤول عليها عالم كبير ولم يكن بيت الحكمة

[1] حمادة ماهر حمادة، **المكتبات والإسلام نشأتهاوتطورها ومصائرها** ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط2 ، بيروت–1970، ص130 .

[2] ابن النديم، مصدر سابق، ص11 .

[3] نفسه، ص 10.

مقتصرا على الترجمة فقط، بل فيه العديد من العلماء والأدباء الكثير من كتب الأدب واللغة والتاريخ والفقة وعلن الكلام، وإن بعض من هذه الكتب أُلفت بطلب من الخلفاء أنفسهم لكي توضع في بيت الحكمة.

وقدم البيت ايضاً خدمات ثقافية مثل عقد المجالس والمناظرات العلمية والتي وجد فيها العلماء والأدباء والفلاسفة الحرية التامة في الحديث وابداء الرأي.

✦ **العاملون في بيت الحكمة :**

عمل في البيت الكثير من العلماء الكبار الذين كان لديهم دور كبير في الحياة العلمية والفكرية آنذاك والذين تولوا مناصب عديدة قي البيت ، وتميز العاملين فيه بلباس خاص بهم ويعد أبو يوسف القاضي أول من غير لباس العلماء لتميزهم، واقترح أن يلبسوا عمامة سوداء وطيلسانا ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الزي ضروريا للمدرسين والفقهاء[1].

ذكرت المصادر العديد من أسماء العاملين في بيت الحكمة سواء كانوا من المترجمين اوالنساخ أو المجلدين أو المناولين وانتهاءا بالمركز الإداري الأول في البيت هو "صاحب بيت الحكمة" وكان من معايير اختيار العاملين هي الموضوعية والكفاءة العلمية المشهودة لهم .

ويمكم تقسيم العاملين في البيت بحسب الإشارات التي وصلت إلينا، وسنسلط الضوء على عدد منهم :

1. **مدراء بيت الحكمة وذكرت المصادر أسماء خمسة فقط وهم :**

أ. سهل بن هارون :كان من فصحاء بيت الحكمة وبلغائه ويعد من الذين يعتمد عليهم المأمون في الكثير من الأمور.

ب. سلم صاحب البيت هكذا جاء ذكره في الفهرست وترجم الكثير من الكتب الفارسية إلى العربية وكذلك ترجم الكتب اليونانية وسافر مع الوفد إلى الروم لجلب الكتب والمخطوطات[2].

ج. سعيد بن هريم الذي كان شريكا سهل بن هارون في البيت وكان من المترجمين البارزين في البيت وله العديد من المؤلفات مثل كتاب " الحكمة ومنافعها".

د. الحسن بن مراد الضبي واحمد بن محمد [3].

[1] المسعودي ،**علي بن الحسين،346هـ–956م التنبيه و الإشراف** ، بيروت، دار التراث، 1968 . ص30 .

[2] ابن نديم، مصدر سابق، ص 139– 200.

[3] نفسه، ص 134.

2. **العاملون في النسخ والتجليد :**

أ. علان الشعوبي: ويعد من اشهرالنساخين في زمانه وكان ينسخ للرشيد والمأمون في بيت الحكمة.

ب. ابن أبي حريش كان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون.

ج. سلمة بن عاصم النساخ .

د. أبو نصر بن جهم النساخ.

هـ. أكثر الأسماء التي ارتبط ذكرها ببيت الحكمة هم الذين عملوا في الترجمة وقد لعب ابن النديم دورا كبيرا في وصول هذه الأسماء إلينا،حيث ذكر حوالي 65 مترجما وبلغت الكتب التي ترجموها حوالي 632 كتابا.[1]

[1] نفسه، ص 254 .

المطلب الثاني: دور المترجمين في تنشيط حركة التأليف والنقل والترجمة

لم يكن الخلفاء وحدهم من يهتمون ويباشرون حركة التأليف والنقل والترجمة، وينفقون عليها بل جاراهم ونافسهم في ذلك كبار رجال الدولة وبعض العائلات الميسرة مثل البرامكة وبنو سهل ومن أبرز المترجمين في بغداد والذين كان دورهم محوريا في حركة الترجمة والتأليف وكان عرينهم هو بيت الحكمة .

1. أولاد شاكر "أحمد ومحمد والحسن" :

كان لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة وكتب الأوائل، وأفنوا أنفسهم في شأنها ونفذوا إلى بلاد الروم من إشتراها لهم

وأحضروا النقلة من كل أصقاع الأرض والأماكن البعيدة فظهرت عجائب الحكمة وأهم العلوم التي قاموا بترجمتها كالهندسة والنجوم والفلسفة، وكان الطب أهم العلوم التي عني المترجمون بترجمته وأكثر ما عنوا به بعد الطب الحكمة، أي القصص الجميلة ذات المغزى الخلقي والنوادر أو الأقوال الحكيمة وكان يترجم هؤلاء العلماء ما يعجبنا نحن إذ كانوا يعجبنا نحن إذ كانوا يعجبون بهذه الأقوال ويجمعونها لما تحويه من حكمة أو لجمال أسلوبها وحسن غرضها [1] .

كما كان بنو موسى بن شاكر من أنشط العناصر التي كانت في بيت الحكمة فلازموا التعلم بها، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك والحركات الفلسفية، ولما علا كعبهم أثبتوا في بيت الحكمة مع العلماء والمترجمين فكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم، واشتهر أكبرهم أبو جعفر محمد بن موسى المتوفى سنة 259هـ-872م فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة، وله كُتَّاب بين يديه ومترجمين للكتب التي يختارها وممّن يساعده في عمله يحي بن أبي منصور الموصلي المنجم، وكان أحد خزنة بيت الحكمة [2].

والجدير بالذكر أن أبناء موسى بن شاكر الثلاثة كان يدفعون للنقلة كحنين بن إسحاق وحبيش بن الحسن خمسمائة دينار للنقل والملازمة [3].

واشتهرت بعض المكتبات الخاصة بالحرص على النقل والترجمة، ومن هذه مكتبة بني شاكر وأولاده كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلازمون العمل في مكتبتهم ومنهم حبيش بن حسن وثابت بن قرّة [4].

---

[1] ابن خلكان، مصدر سابق، ج4، ص 247.

[2] ابن النديم، مصدر سابق، ص 383.

[3] ابن ابي صبيعة، مصدر سابق، ص 187.

[4] ابن القفطي، مصدر سابق، ص 31.

وولع أهل ذلك العصر والخلفاء بالعلم فعمل ذلك على تنشيط حركة النقل والترجمة والتأليف وممّن عني بإخراج الكتب محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر، وهؤلاء من نفذوا لبلاد الروم فأحضروا المخطوطات الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية القديمة، ولم يتوانوا عن دفع المبالغ الطائلة من أجل ذلك وبهذا يكونوا بنو موسى من الذين دفعوا بعجلة الحكمة للأمام[1] .

ووجه الواثق عناية كبيرة للمترجمين الذين نقلوا الذخائر الأجنبية للسان عربي وكان إبن ماسويه يده اليمنى في ذلك فأغدق عليه نعماً وخيرا وفيرا، وفي احدى المرات أعطاه دراهم تساوي 300000 روبية [2]، وكان عطاء محمد بن عبد الملك الزيّات للنقلة والنُساخ في كل شهر 2000 دينار[3] .

بعد الواثق توقف نشاط الترجمة وأصبح صعب الوصول لذكر المترجمين في المكتبات العامة أو الخاصة، ولعل السبب في ذلك أن النشاط الكبير الذي حظيت به الترجمة من قبل قد نقل الى اللغة العربية أمهات الكتب في الفنون الجميلة أو أن المسلمين بعد ان اطلعوا على ما ترجم في بيت الحكمة وما عاصرها من مكتبات استطاعوا أن ينتجوا بلغتهم ثقافة وعلما وفلسفة كانت مجالا لنشاطهم العلمي في العهود التالية .

ويبدو أن البعثة التي كانت تتكون من طوائف ثلاثة بعثت الكتب الفلسفية يرأسها يوحنا بن البطريق ،وكان فيلسوفا أكثر منه طبيبا، وقد تولى ترجمة كتب ارسطو خاصة .فأخرج ترجمة قصة طيماوس لافلاطون وأنه ترجم أيضا كتاب الحيوان وأجزاء مأخوذة من كتاب النفس وترجم كتابه في العالم[4] .

وهناك طائفة للكتب الفلكية والرياضية ويرأسها الحجاج بن مطر وكان مختصا في هذا الفرع وهو الذي نقل المجستي واقليدس، وطائفة للكتب الطبية برئاسة يوحنا بن ماسويه[5] وبهذا عادت هذه البعثة محطة بكتب تشمل علوما مختلفة .

أما قسطا بن لوقا البعلبكي توفي حوالي 300هـ-912م مسيحي النحلي من أصل يوناني، ولذا يعد من فلاسفة اليونان المتأخرين وكان له ولع بالعدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية كما كان ماهرا في الطب، وقدذكر ابن العبري انه "دخل الى بلاد الروم ،وحصل من تصانيفهم الكثيرة وعاد الى الشام"[6] .

---

[1] ابن النديم، مصدر سابق، ص 397.

[2] ابن ابي صبيعة، مصدر سابق، ص 206.

[3] أحمد شلبي، مرجع سابق، ص 163 .

[4] ابن القفطي، مصدر سابق، ص 279.

[5] نفسه، ص 380 .

[6] ابن العبري، مصدر سابق، ص 259 .

كما ذكر ابن القفطي انه :"استدعي الى العراق ليترجم كتبا ويستخرجها من لسان يوناني الى لسان العرب"[1] .

كما أسند اليه الاشراف على ترجمة المراجع الاغريقية في بغداد[2] كان قسطا جيد النقل لانه كان فصيحا باللغة اليونانية جيد العبارة العربية[3]، وقد أصلح قسطا نقولا كثيرة كما ألف "رسالة قصيرة في الفرق بين النفس والروح ترجمت الى اليونانية ،وبقيت الى ايامنا وقد ذكرها الباحثون وانتفعوا بها"، ولم تؤثر الثقافة اليونانية في العرب الا عن طريق الرياضيات والطبيعيات والفلسفة وقد عرفوا شيئا عن أطوار الفلسفة اليونانية ،ولكن هذه المعرفة كانت مشوبة بأساطير كثيرة .

وكان إقدام المأمون عب الترجمة لكتب الفلسفة أثر في نفوس الأثرياء من رعيته فاحتذوا بحذوهم في طلب هذا العلم وكتبه والإغداق على مترجميها ومن هذا البعض بنو موسى شاكر في القرن الثالث الهجري ويروي : "أن عيسى بن يحي قد ترجم لأحمد بن شاكر كتاب الأخلاق لأبقراط"، وهناك أيضا عمر الفرخان الطبري الذي ترجم الكثير من كتب الفلسفة وفسر الكتب الأربعة لبطليموس .

فكان بيت الحكمة يحوي كل نادر وغريب يقصده المؤلفون ويجدون فيه خير معين لما يرغبون به من علوم مختلفة، وكان حنين بن إسحاق العبادي من الذين خدموا في بيت الحكمة فقد كان يعمل بين يديه عدّة مترجمين، تولاه في زمن المتوكل فسعى في توسيعه وترجم هو ومن يشتغل بين يديه كتبا عديدة في الطب والفلسفة والمنطق وكانت دائرته التي يرأسها في بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة بني موسى بن شاكر السالف ذكره [4] وإلى جانب هؤلاء المترجمين تفتحت في بيت بني موسى عبقرية خلاقة إحتلت فيما بعد مكانة مرموقة بين جموع العلماء وهي "ثابت بن قرة" أحد أتباع الصائبة وهو ممن إكتشفهم محمد من سفرة لليونان بحثا عن مخطوطات قديمة والتقاه في "كفرتوما" حيث كان بارعا في علم الحساب متضلعا في الترجمة فاصطحبه محمد معه لبغداد وأدخله داره ليطلب العلم ثم تعرف الخليفة المعتضد على النابعة الصائبي فقربه منه وفضله على غيره من العلماء، وترجم عددا كبيرا من الأعمال الفلكية والرياضية لأبولونيوس وأرخميدس وإقليدس وأفلاطون وجالينوس وأبوقراط، كما أنه صحح ترجمات حنين بن إسحاق وولده ثم شرع في وضع مؤلفات ضخمة وصل لمائة وخمسين مؤلفا عربيا وعشر مؤلفات باللغة السنسكريتية في الفلك والرياضيات والطب فتبوأ المحل الأعلى بين العلماء المسلمين في مختلف الأزمان[5].

---

[1] ابن القفطي، مصدر سابق، ص 173.

[2] ابن النديم، مصدر سابق، ص 424.

[3] ابن ابي صبيعة، مصدر سابق، ص 244.

[4] ابن القفطي، مصدر سابق، ص 47-57-112-117.

[5] زيغريد هونكه، **شمس العرب تسطع على الغرب**، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، 1964، ص ص 125-126.

وهناك العديد من العلوم لولا العرب ولولا حركة الترجمة لما وصلت إلينا هاته العلوم ومنها مخطوط إقليدس في علم التوازن ومخطوطة "ساعة الماء" وقانون العوم لأرخميدس[1] .

لقد دُفعت ملايين وأموال طائلة للكتب فلقد خصصت مكتبة النظامية وهي المدرسة العليا الشهيرة ببغداد سنويا ما يعادل مليونا ونصف من الفرنكات لشراء الكتب والمخطوطات، وفتحت اللهفة على إقتناء الكتب أمام مئات الآلاف من الناس لكسب عيشهم فأصبح النسّاخ والخطاطون فنانين ووظفت كل مكتبة أول متجر للكتب عددا من هؤلاء فكان أغلبهم من الطلبة وأنصاف المتعلمين أرادوا كسب رزقهم بهذه الطريقة، فالعلوم والآداب كانت هواياتهم كما يعشق الناس اليوم لعب الكرة وكان ينظر لمن يساهم في تلك النهضة نظرة فيها كثير من الإزدراء[2] .

يمكننا القول أن عصر الترجمة هو تنشيط لحركة التأليف بل هو عصر إنتاج وابتكار أثبت العرب فيه أنهم لم يكتفوا بإقتباس تراث فارس واليونان وهضمه بل حولوا التراثين لحاجتهم الخاصة وطرق تفكيرهم، وأضافوا إليهما ما استطاعوا أن يستنبطوه وقد ظهرت مآثرهم في الطب والفلسفة لكنها تجلت بنوع خاص من الكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافيا، بل لقد تفردوا بمذهب في البحث والإبتكار في ميادين الشريعة وعلوم الدّين وفقه اللغة وعلومها فإن حركة النقل في تاريخ الثقافة لا تقل أهمية عن حركة الإبتكار نفسها، فلو أن أبحاث أرسطو وجالينوس وبطليموس فقدت لكان العالم في إفتقاره إليهما بالوضع نفسه كما لو كانت غير موجودة[3] .

[1] نفسه، ص 384 .

[2] نفسه، ص 387 .

[3] نفسه، ص 392 .

المطلب الثالث: ترجمة التراث والفكر العالمي للغة العربية

إن باستطاعتنا تتبع أولئك الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر على حركة الترجمة أن نتبين أن النقل كان يحدث إما من السريانية إلى العربية مباشرة، وكانت الترجمة من اليونانية للغة السريانية ثم إلى العربية[1] .

ومما يستحق الملاحظة أن ترجمات سريانية أحسن وأحدث كانت تعد في الوقت الذي كانت تبدأ فيه الترجمات العربية، وقد دامت الترجمة إلى السريانية طالما بقيت مدرسة جنديسابور، أي أن عمل الترجمة كان من شقين، فقد كانت توضع الترجمات في العربية وفي السريانية على السواء، وهذه الترجمات السريانية كان الغرض من وضعها أن تغني عن الترجمات السريانية المعيبة المتداولة بين الناس، ويذهب ماكس مايرهوف إلى : "الترجمة في النصف الأول من القرن الثالث الهجري والتاسع ميلادي كانت غالبا إلى السريانية وفي النصف الثاني إزدادت حركة الترجمة للعربية وقام المترجمون أيضا بإصلاح التراجم القديمة[2] .

وقد كان معظم النقلة كما رأينا سريانياً، يقول ديبور: "لقد كان هؤلاء جميعا نصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية " [3]، وهكذا كان السريان هم حلقة الإتصال بين الفلسفة الإغريقية والعلوم الإغريقية والإسلام، وبذلك تحتم على الثقافة اليونانية أن تعبر عقولهم، وتمر بأقلامهم قبل أن تصل إلى العقل العربي، وقد نقلت الكتب الطبية أولا عن طريق الترجمات السريانية، وكذلك كان الأمر في بعض الكتب الرياضية والفلكية على الأقل، ولكن الرجوع إلى الأصول اليونانية رأسا كان أسبق من هذين النوعين والسبب في ذلك غير بعيد وهو أن الدّقة الشديدة في المصطلحات الرياضية على غاية من الأهمية .

يقول فيليب حتّى: "لما كانت تعترض المترجمين قطع صعبة في الأصل فإنهم كانوا يعمدون للترجمة الحرفية، فإذا لم يجدوا مرادفا عربيا كانوا يعمدون للنقل اللفظي اليوناني بحروفه مع إدخال شيء من التحوير" [4]، ومن ثمّ نجد كلمات مثل قاطيغورياس أي العبارة، باري أرمانياس أي العبارة، أنالوطيقا أي تحليل القياس، ريطوريقا أي الخطابة، أبوطيقا أي الشعر، أرثماطيقي أي الحساب" [5].

---

[1] أحمد عيسى، **التهذيب في أصول التعريب**، مطبعة مصر، القاهرة، 1923، ص 72.

[2] ماكس مايرهوف، **من الإسكندرية إلى بغداد**، تر: عبد الرحمن بدوي، بيروت، 1949، ص 58.

[3] نفسه، ص 57 .

[4] أحمد عيسى، مرجع سابق، ص 113.

[5] فيليب حتّى، **تاريخ العرب المطول**، تر: إدوارد جرجي وجبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت، لبنان، 1965، ج3، ص 386.

وكانت الترجمة الحرفية تغلب في المصطلحات ذلك لأن اللغة العربية كانت تفتقر إلى المصطلحات الفنية التي يصطنعها علما اليونان، فكانت المصطلحات اليونانية تكتب أحيانا كما هي بحروف عربية، ولكن هذه المصطلحات تدل في أحيان كثيرة على أنها مرت في وسط آرامي "سرياني" في طريقها إلى العرب، وهذه الظاهرة أكثر حضوراً في الكتب الطبية منها في الكتب الرياضية الفلكية [1].

يقول القفطي وهو يتحدث عن كتاب "الكون والفساد" لأرسطو وقال أهل العلم بالسرياني فوق العربي جودةً، ولا شك في أن ناقله إلى العربي قصر في الترجمة [2]، وعندما تقدمت حركة الترجمة أحس المترجمون بما كانوا قد وقعوا فيه من أخطاء، فأخذوا يعيدون النظر عيما نقل ويتناولونه بالترجمة من جديد أو يصلحون ما لمسوه فيه من أخطاء .

بالنظر إلى حنين بن إسحاق في كلامه على ترجماته في شبابه قال إنها كانت مشوهة وعندما وصل للأربعين أراد إصلاحها، ويقول إسحاق نقلت كتاب أرسطو لعلم النفس إلى العربية من نسخة رديئة، فلما كان بعد الثلاثين وجدت نسخة في نهاية الجودة فقابلت بها النقل الأول وهو شرح ثاسطيوس" [3]، وبديهي أن يكون هناك تفاوت بين النقلة مرده إلى تفاوتهم في المعرفة باللغات المترجم منها وإليها وإلى تمكنهم من المادة العلمية التي تعالجها من موضوعات الكتب التي يترجمونها .

يقول إبن أبو أصيبعة: "وجدت بعض الكتب الست عشر لجالينوس، وقد نقلها من الرومانية للسريانية سرجس المتطبب، ونقلها من السريانية للعربية موسى بن خالد الترجمان، فلما طابقتها وتأملت ألفاظها فتبن لي بين نقلها وبين الستة عشرة التي هي نقل حنين تباين كثير وتفاوت بيّن وأين الألكن من البليغ والثرى من الثريا ؟[4].

لقد ترتب على تبادل الكتاب الواحد في أيدي أكثر من مترجم أن أثارت الريبة حول الكتب المنقولة، ولم يعد الناس يرتاحون لها ويطمئنون إليها، يقول الجاحظ: "ولا يزال الكتاب تداوله الأيدي الجانية والأغراض المفسدة، حتى يصير غلطا صرفا وكذبا فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالإفساد وتتعاوره الخطاب بشر من ذلك أو بمثله" [5]، ولا غرابة أن يشك الجاحظ فيما تضمنته الكتب المترجمة ويثور القلق في نفسه فلا يدعه يصدق كل ما يُترجم أو دفعه إلى ذلك أن "الترجمان لا يؤدي ما قال الحكيم على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه ودقائق إختصاراته وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها ويؤدي الأمانة فيها ويقوم بما يلزم"[6]، وقد أعاب الجاحظ كثيرا على التراجم الحرفية وهذا لقُصور المعرفة والإحاطة بهذه العلوم والمفاهيم والثقافات.

---

[1] ابن نديم، مصدر سابق، ص 361-380.

[2] ابن القفطي، مصدر سابق، ص 30.

[3] ابن نديم، مصدر سابق، ص 366.

[4] إبن أبو أصيبعة، مصدر سابق، ص 189.

[5] الجاحظ، مصدر سابق، الحيوان، ص 79.

[6] نفسه، ص 75-76.

سهل العباسيون على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية البارزة التي ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغة العربية ،وصرف في سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها المبالغ الكبيرة فذلل الخلفاء للناس سبيل المطالعة والدرس في بيت الحكمة الذي أنشئ لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الامم الاخرى والتي رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقفوا على حقائق الأمور، وتراث الأمم التي تقدمتهم في شتى النواحي الفكرية والعلمية[1]، إن المسلمين في عصرهم الذهبي نقلوا إلى لسانهم معظم ما كان شائعا من العلم في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والآداب، واتخذوا من كل أمة أحسن ما لديها ولكنهم إختاروا من اليونان فلسفتهم وتركوا آدابهم ولقد كانت تلك المؤلفات التي نقلت إلى اللغة العربية هي النواة التي نبتت ونمت ثم إزدهرت وأثمرت وأتت أطيب الفوائد للمسلمين وغيرهم ممن إندمجوا في مدينتهم[2].

وكان من نتائج الترجمة المهمة نشوء الوراقة والوراقين ببغداد وانتاج الكتب المترجمة المزايا التي اتصفت بها الترجمة العباسية .

ويقول ابن خلكان :"لولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان...لا جرم كل كتاب لم يعربوه، باق على حاله ولا ينتفع به الا من عرف تلك اللغة"[3] .

يقول جوستاف لوبون :"وقد وجد العرب في بلاد فارس وسوريا حينما استولوا عليها ،خزائن من العلوم اليونانية ،فأمروا بنقل ما في اللغة السريانية منها الى اللغة العربية ثم أمروا بأن ينقل اليها من اللغة اليونانية ما لم يكن قد نقل الى اللغة السريانية فأخذت بذلك دراسات العلوم والاداب تسير قدما نحو الرقي ولم يكتف العرب بما نقل الى لغتهم فقد تعلم عدد غير قليل منهم اللغة اليونانية ليستقو منها علوم اليونان ،وقد كانت معارف اليونان واللاتين القديمة أساسا لثقافة متعلمي العرب .ولكن العرب المفطورين على قوة الابداع لم يكتفوا بحال الطلب ،ولم يلبثوا أن تحرروا ،بما عرف عنهم من النشاط ،حتى عاد الاغريق وهم ليسوا أساتذة العرب" [4] .

فكان من أهم نتائج الترجمة أيضا اشتغال الكثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت الى العربية ،اذ لم يكتف العرب بحال الطلب الذي اكتفت به اوروبا فب القرون الوسطى[5] ،بل عملوا على تفسير تلك الكتب المترجمة والتعليق عليها واصلاح أخطائها كما فعل الكندي وغيره .

---

[1] ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، مطبعة محمد علي صبح، القاهرة، 1953، ص 48.

[2] رمزية محمد الأطرقجي، **أهم المترجمين في بيت الحكمة البغدادي**، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العراق، ع 14، 1980، ص 342-343.

[3] ابن خلكان،مصدر سابق،وفيات الاعيان،ج1،ص217 .

[4] جوستاف لوبون،**حضارة العرب**،تر: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب لعربية ، القاهرة، 1956، ط3، ص460 .

[5] نفسه، ص 434.

ومن أهم الدوافع التي ساعدت على ازدهار حركة الترجمة نمو العلاقات الدولية في العصر العباسي الاول والجهود التي بذلها العباسيون في فرض الاسلام ،والمبادلات التي وصلت الذروة في عهدهم والتي حملت التجار الى كل سوق ،ودفعت السفن العربية الى كل بحر .وقد كانت الدولة العباسية تعقد صفقات لشراء الكتب وتدفع في سبيلها أغلى الاثمان[1] .

ثم تتابعت جهود الخلفاء في طريق هذا التبادل الثقافي ويشير أبو الفرج الاصبهاني الى قدوم امبراطور الدولة البيزنطية الى بلاط الرشيد فسألوا عن الشاعر ابي العتاهية وأنشدوا وأشعارا له ،وكان الرسول يحسن العربية فلما نقل الرسول الى الامبراطور خبر ما رأى وما سمع كتب الى الرشيد يسأله أن يوفد اليه أبا العتاهية وأن يأخذ فيه من الرهائن من يريد واعتذر أبو العتاهية[2].

وثمة عامل آخر كان من أهم حوافز حركة الترجمة وهو أنه مع مطلع العصر العباسي لم تعد الترجمة حركة فردية ،وانما أصبحت حركة تظفر بعناية الدولة وتشجيعها تساعدها وتنفق عليها الاموال الطائلة ،فاستجاب كثيرون لذلك ودفعهم التشجيع الادبي والمادي للاجادة.

وثمة أمور أخرى كان لها اثرها في الاقبال على المعرفة القديمة و ورود مواردها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقافة العربية ،فنشأت العقبات التي لا تقنع بالثقافة التقليدية الموروثة انما ترنوا الى المزيد لتعطشها الى المعرفة ،فكان المورد الاغريقي الذي عبوا منه[3] .

ويمكننا أن نضيف الى ذلك كله حقيقة اخرى هامة ،وهي ان اهل الذمة هم الذين تزعموا حركة الترجمة وبرعوا فيها واخلصوا لها كل الاخلاص ولم يكن من المعقول ان ياتي ذلك عفوا انما ياتي بعد ان الف اهل الذمة الحياة العربية ،وشاركوا في الحياة السياسية ،ولم يفقدوا حرياتهم الدينية ونعموا بحسن المعاملة وطيب المعاشرة ووجدوا ان الدين لم يحل بينهم وبين تطلعاتهم المتنوعة.

كما انه لا بد ان يمضي وقت طويل ليستعرب اهل الذمة على نطاق واسع الا في العصر العباسي، ويتحدث ابن النديم[4] عن اهل الذمة الذين أسهموا في حركة الترجمة ونقل التراث والفكر العالمي الى اللغة العربية وهم :يوحنا بن ماسويه ،وحنين بن اسحاق ،وابنه اسحاق وقسطا بن لوقا وابن البطريق وابن ناعمة وغيرهم كثير .

تلك هي اهم الدوافع التي شدت من أزر حركة الترجمة واتاحت للعرب هذه المناهل الغزيرة من العلم والمعرفة واننا لنقف مطأطئي الرؤوس امام اولئك المترجمين .

---

[1] ابن خلدون،مصدر سابق،ص401 .

[2] ابو الفرج الاصبهاني، **الأغاني**، مصدر سابق،ج13،ص179 .

[3] المرجع نفسه ص272 .

[4] ابن النديم، مصدر سابق، ص340،341 .

المبحث الثالث: أثر بيت الحكمة في إزدهار النهضة العلمية

في سنة 830م انشأ بيت الحكمة في بغداد وهو عبارة عن خزانة كتب ودار علم ومكتب ترجمة. فكان هذا المعهد من وجوه عدة اعظم المعاهد الثقافية التي انشئت، وفي ايام المأمون وخلفائه تمركزت الترجمة في هذا المعهد الجديد، ولقد دام عصر الترجمة هذا ما يقرب من قرن ابتداءا من سنة 750م، ولما كانت الارامية (السريانية) لغة اعظم المترجمين فقد نقل كثير من الكتب اليونانية اليها اولا قبل صوغها الى العربية .

وبيت الحكمة الذي اسسه العباسيون ببغداد هو اول بيت حكمة عرف عند المسلمين، كما كان اعظمها شأنا لما يحتويه من الكتب النفيسة في شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات والنصوص التي وقفنا عليها من هذه المؤسسة الثقافية لا تساير الباحث بل نجدها متفرقة المصادر، ذكرت عرضا ومن الصعب ان نقف على اخبارها بصورة متسلسلة، وكان في بيت الحكمة ما الفه العلماء والادباء في اللغة والتاريخ والفقه وعلم الكلام وغيرها وبعض هذه الكتب الفت بطلب من الخلفاء انفسهم لكي توضع في بيت الحكمة .

المطلب الأول: اثر بيت الحكمة في العالم الإسلامي (المدارس)

كان لبيت الحكمة دور ايجابي وكبير في ربط وتعميق العلاقات بين اقاليم العالم الإسلامي في المشرق والمغرب، وتعريف التراث بشكله الشامل لجميع المسلمين والعمل على حفظه من الضياع والنسيان .

ولهذا نال بيت الحكمة شهرة كبيرة في العالم الإسلامي لأنه كان اول مكتبة علمية ذات شأن يجتمع فيه العلماء والمترجمون للبحث والدراسة وعلى هذا الأساس أصبح مثلاً يحتذى به من قبل الخلفاء والأمراء الذين أسسوا مكتبات ودور حكمة على غرار بيت الحكمة في الأمصار الإسلامية المختلفة،وارادوا من ذلك منافسة بيت الحكمة وقد حققت هذه المنافسة تطوراً فكرياً وعلمياً على جميع الأصعدة في العالم الإسلامي ومن هذه المكتبات :

1. **بيت الحكمة الأغلبي**: الذي أنشأه الأمير إبراهيم بن احمد الأغلبي 261-289 م في رقاده،عرف عن الأمير إبراهيم حبه

للعلماء ورعايته لهم ادراكا منه لاهمية العلم ورجاله في المجتمع، وكان الامير إبراهيم يسعى جاهدا لجعل عاصمته رقادة ترقى إلى مستوى بغداد وسامراء، لذلك جلب اليها نفائس المخطوطات والادوات العلمية، والذي كانت له السفارتان في السنة تذهب إلى بغداد لتجديد الولاء للبيت العباسي وفي هذه السفارتان يكلف اعضاء السفارة باقتناء نفائس ما يوجد في بغداد مما لا نظير له في انحاء المغرب[1].

[1] إسماعيل محمود، **الأغالبة**، مطبعة النجاح الحديدة،الدار البيضاء، 1978، ص 60.

والاعمال التي قام . بها بيت الحكمة الاغلبي هي نفس الاعمال التي قام . بهابيت الحكمة من تشجيع العلماء على الترجمة والتاليف وتوفير الخدمات والمختلفة لمن يرتاد المكتبة[1] فقدكان لهذا البيت دور كبير في نشر العلماء والتلاميذ في انحاء المغرب والاندلس والذين عملوا على نشر العلم والفكر الذي تعلموه فيه .

اما نهاية البيت ومكتبته فانه آل إلى الامارة العبيدية بعد أن انهوا دور الامارة الغلبية من مسرح السياسة في افريقيا في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)[2] .

2. **دار الحكمة الاندلسي** : والتي انشاها الخليفة الاموي في الاندلس الحكم لذي المستنصر(350-366هـ) الذي وصف بكونه

عالم الامويين لانه كان ملماً بمختلف صنوف المعرفة وجمع من الكتب مالم يجمعه احد من قبله، والتي غدت قرطبة في عصره من اهم مراكز الحضارة الانسانية والتي امتازت بالتطور و الازدهار في جميع ميادين العلم والفن والعمران.

أما عن تأسيس دار الحكمة في زمن الحكم فبعد ان تكونت لدى الحكم من الكتب بلغت حوالي اربعمائة الف مجلد اذ كان يرسل البعوث والخبراء الى مختلف ارجاء العالم يجمعون له الكتب المختلفة المواضيع [3]، لذا قرر ان ينشئ مكتبة تظم هذه الكتب فانشأ دار ضخمة أطلق عليها "دار الحكمة" والذي نهج منهج بيت الحكمة البغدادي في مجالات فنية وتنظيمية منها:

أ. إحتضانه عدد من العلماء والخزان والنساخ، وان الحكم استقدم من بغداد عدد من النساخ والمزخرفين والمجلدين .

ب. وأشرف على البيت أخيه عبد العزيز والذي عرف "بصاحب البيت" .

ج. وكانت الكتب مفهرسة في المكتبة حتى قيل ان كتب الأدب وحدها في خزائن دار الحكمة كانت تحتوي من الفهارس

فهرس في كل فهرست منها ورقة ليس فيها إلا ذكر اسماء الدواوين .

د. وكان في البيت امين للترجمة يتولى الإشراف على كتاب في الترجمة واختار الحكم لهذا الغرض ابرز الموهوبين في هذا

المجال.

هـ. عملت دار الحكمة بنظام الإستعارة سواء كانت استعارة داخلية او خارجية حتى قيل ان الحكم كان يعير الكتب

[1] عبد الوهاب حسن حسني، **ورقات عن الحضارة العربي بافريقية وتونس**، تونس، 1965، ص193.

[2] بروفنسال ليفي، **حضارة العرب في أسبانيا**، تر: ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، ص70 .

[3] نفسه، ص 71.

لمن هو خارج البلاد الأندلسية كما حصل لو مع احد فقهاء مصر[1] .

3. **دار الحكمة في القاهرة** : وكانت بداية تاسيسها يعود الى زمن العزيز باللهالفاطمي (365 هـ-386 هـ) الذي عرف بحبه

لمكتب وجمعها اذ اصبحت لديه مكتبة عامرة والتي حرص أن يكون فيها كل نسخة من كل مؤلف او مترجم يضمه بيت الحكمة ببغداد،وكان الوراقون يتقربون لو بتقديم نسخ من نفائس الكتب التي تظهر في بغداد، أما تأسيس الدار فكان بعيد الحاكم بأمر الله (386هـ -411هـ/ 996م-1021م) الذي عمل على جمع العلماء فيها من جميع الفنون والعلوم واجرى لهم مرتبات عالية،وهيأ لهم الوسائل المختلفة ليتفرغوا للبحث والتأليف فضلاً عن مكتبة الدار التي لم يجتمع مثله في مكتبة اخرى في ذلك العهد، واعدت للملتحقين بدار الحكمة من طالب ومطالعين أرزاق كافية ووضع تحت تصرفهم الأوراق والمواد المختلفة[2].

4. **المدرسة النظامية ببغداد** : ان أول مؤسسة علمية متخصصة في ديار الاسلام استهدف غاية محدودة، وافردت لتدريس العلوم

والشريعة والادب، وهيأت للطلاب اسباب العلم والميسرة ورفاهية العيش، واصبحت مثالا لما قام بعدها من دور العلم، هي المدرسة نظام الملك وزير الب ارسلان السلجوقي في بغداد في اواسط القرن الحادي عشر النظامية التي بناها ، وجعل لها فروعا في نيسابور وبلخ وهراة واصفهان والبصرة والموصل، عرفت جميعها بهذا الاسم [3].

وقد وضع لها نظاما جامعيا محكما غدا من بعد نظاما قياسيا لمؤسسات العلم الكبرى، ووجه برامجها لمقاومة التعليم الشيعي، ونشر مذهب اهل السنة ومناصرة المنهج الاشعري، وقد ذهب احد الباحثين المعاصرين الى ان المدرسة النظامية كانت تقع على شاطئ نهر دجلة فوق دار الخلافة العباسية، بينها وبين المستنصرية، وقد عمدت على جزء من دار مؤنس المقتدري التي كانت على دجلة في الجانب الشرقي من بغداد، ولقد اشرف على بناء هذه المدرسة العميد ابو سعيد احمد بن محمد النيسابوري الصوفي، ويبدو ان بناء هذه المدرسة كان بناءا محكما [4].

اما هيكل البناء كانت مستطيلة البناء متناسبة الزوايا والارجاء، فيها محل واسع للدروس، وآخر مثله معد للمذاكرة ولترويح النفوس، ومصلاها يسع من المصلين الالوف، وفيها مواضع لرؤساء العلم والمدرسين وافنية للذخائر وادوات الطباخين، وكانت تشتمل على طبقتين من البناء وفيها من الحجر والبيوت عدد كثير، عدد غرفها التي كانت معدة للطلاب والمعلمين لكل قسم من اقسام العلوم ثلاثمائة وخمس

[1] الحسيني عبد العزيز، **الحياة العلمية في الدولة الإسلامية**، مطبعة الكويت، الكويت، 1984،ص99 .

[2] حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والإجتماعي**، مطبعة السعادة، القاهرة، 1955، ج2، ص343 .

[3] مريزن سعيد ميزن عسيري، **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي**، مكتبة الطالب الجامعي، 1407 هـ - 1987م، ص 262-263.

[4] نفسه، ص 264-265.

وستون غرفة هذا عدا قاعات التدريس ومحافل المطارحات العلمية واماكن الراحة، وكانت المدرسة مرفوعة الجدران مشيدة الاركان، قد عقد في جوانبها قاعات مستديرة الشكل وقد فرشت ساحتها بالمرمر وسورها مؤزر بمثله .

❋ **التعليم في المدرسة النظامية:**

من المتخصصات التي كانت تدرس في المدرسة النظامية يتبين ان التعليم فيها كان عدة اقسام، فكان هناك قسم للاقراء ودراسة القرآن، وقسم لتعليم الفقه والاصول، وآخر لتدريس الحديث والوعظ، وفرع لتدريس اللغة العربية وآدابها[1] .

أ. المدرسون:

كان المدرسون في المدرسة النظامية يعينون بمرسوم خاص، والظاهر ان هذا النوع من المراسيم او التوقيعات التدريسية لم تظهر الا بعد انشاء المدارس في هذا العصر، وبعد ان خصصت المعاليم للمدرسين، وكانت هذه المناشير تصدر من الخلفاء او السلاطين السلاجقة او الوزراء بتعيين الاساتذة في المدرسة النظامية، وكان لتولية احد العلماء التدريس بالنظامية مراسيم معينة[2].

ب. المعيدون بالمدرسة النظامية:

المعيد هو الذي يعيد المحاضرة بعد القاء المدرس لها على الطلبة، ووظيفة المعيد لم تظهر في تاريخ التعليم عند المسلمين الا مع ظهور المدارس فالمصادر التاريخية لم ترد ذكرا لهذه الوظيفة قبل منتصف القرن الخامس الهجري[3]، وكان المعيدون في المدرسة النظامية يعينون من قبل ناظر المدرسة وادارتها، وكان يشترط في المعيد بالمدرسة النظامية كما هو الحال مع المدرسين ان يكون شافعي المذهب. والراجح ان اغلب المعيدين كانوا يعملون مع علماء الفقه والاصول والعلوم الشرعية.

ج. الوعاظ بالمدرسة النظامية:

والطبقة الثالثة من المكلفين بالتدريس بالمدرسة النظامية هي وظيفة الواعظ، والذي اشترط فيه نظام الملك ان يكون شافعيا، ولقد تناثرت اخبار الوعاظ بالمدرسة النظامية في تضاعيف الكتب والمصادر المختلفة، ويبدو ان الواعظ بالمدرسة النظامية كان يعقد مجلس وعظه بعد اوقات الصلاة ولقد تولى الوعظ بالمدرسة النظامية عدد كبير من الوعاظ خلال فتراتها المتتابعة.

[1] نفسه، ص 269.
[2] نفسه، ص 270.
[3] نفسه، ص 272.

د. طلاب المدرسة النظامية:

لقد درس بالمدرسة النظامية خلال فترة العصر السلجوقي الالاف من التلاميذ والمتفقهة الذين كانوا يفدون اليها من سائر انحاء العالم الاسلامي لما حصلت عليه المدرسة من شهرة علمية [1].

هـ. الدراسة في المدرسة النظامية:

انشأ نظام الملك المدرسة من اجل تحقيق حالة الانسجام في المجتمع الاسلامي، والغاء الفرقة والدفاع عن الامة وعقيدتها ازاء ما يتهددها من اخطار، وذلك عن طريق تعليمهم اصول الدين الصحيحة، ان التعليم في المدارس النظامية او غيرها من مدارس العصر لم تكن الا امتداد لحركة التعليم الاسلامي في المساجد،وهكذا فإن التعليم في المدرسة النظامية في مبدأ افتتاحها كان يركز على تدريس الفقه الاسلامي واصول الدين والعقيدة.

5. مدرسة مشهد ابي حنيفة:

وقد اسسها العميد السلجوقي ابو سعد المستوفي الملقب بشرف الملك، وقد شيدها 459 هـ 1066م، وقد اقامها على مشهد الامام ابي حنيفة في شمال بغداد الشرقية في محلة باب الطائف وكانت تدرس الفقه الحنفي، وقد سارع مستوفي المملكة شرف الملك ابوسعد محمد بن منصور الخوارزمي بالحضور الى بغداد عازما على انشاء مدرسة مماثلة فيها لاتباع المذهب الحنفي، فاختار ان يكون موقعها بجوار ثرية مشهد الامام ابي حنيفة[2]، وامر بهدم مسجد النعمان امام المذهب، فاشترى ما يحيط بالقبر من ابنية وارض كان بجوار المقبرة فسوي ارضا فسيحة، وجاء بالمهندسين والقطاعين، وحفر اساسا لقبة كبيرة تقام فوق القبر، وبعد ان تم بناء ذلك عمل بازائها مسجدا جامعا واسعا ومدرسة عظمى لتدريس الفقه الحنفي، وانزل الفقهاء ورتب لهم مدرسين وقد استعجل مستوفي المملكة اتمام بنائها وافتتاحها، فلقد كان حريصا على ان يتم ذلك قبل افتتاح المدرسة النظامية، وتم ذلك فقد افتتحت قبل افتتاح المدرسة النظامية باربعة اشهر وثلاثة عشر يوما وذلك سنة 459هـ – 1066م ، ولقد اوقف مستوفي المملكة الوقوف على المسجد والمدرسة لاستاذها وتلاميذها وخزانة كتبها التي انشئت عام 459هـ ووقفت لها كتب كثير، وكان فيها اكثر مؤلفات الجاحظ كما جزلة الطيب اوقف فيها مكتبة[3] .

[1] مريزن سعيد ، المرجع السابق، ، ص: 272 – ص 274 .

[2] نفسه، ص 279 .

[3] نفسه، ص 283.

6. المدرسة المستنصرية:

فقد انشأها المستنصر، ويروى ان هندسة المدرسة المستنصرية واثاثها كان من الفخامة والعظمة مما جعل لا نظير لها. كانت المدرسة تحتوي على اربعة اقسام مستقلة، قسم لكل مذهب من المذاهب السنية الاربعة يرأس كل منها عالم يتولى امر تعليم خمسة وسبعين طالبا.ويتلقى العلماء الاربعة راتبا شهريا، كما يمنح كل طالب الثلثمائة دينار ذهبيا. ويقدم المطبخ الكبير الملحق المدرسة الى اسرة المدرسة ما يلزمهم من خبز ولحم، وبها مكتبة تحوي كتبا نادرة في مختلف العلوم، وقد وضعت نظم تمكن جميع الطلبة من الاطلاع عليها بسهولة، ونسخ ما يريدون من المخطوطات ومن حسن الحظ ان المدرسة المستنصرية مثلها مثل المدرسة النظامية نجت من تخريب المغول وتم بناء المدرسة عام 630هـ ،اما خزانة المدرسة المستنصرية فقد افتتحت سنة 631 هـ – 1233م، وكانت مرجعا لطلاب المستنصرية ومدرسيها وشيوخها كما كانت مرجعا عاما لطلاب العلم والعلماء خارج المستنصرية ولطالما قصدها الكثير منهم وترددوا عليها وافادوا من كنوزها العلمية والادبية نحو قرنين من الزمان[1].

وقد كان لإنشاء المدارس نتائجه البعيدة فقد حققت اغراض كثيرة فانها ساعدت على نشر الثقافة والعلم بشكل عام وعملت على تلقين مفاهيم المذهب الشافعي بشكل خاص كما امدت اجهزة الدولة بالعناصر المتعلمة منظما وفق مناهج مرتبة ونظم معينة، فكانت تلك العناصر قد اعدت اعدادا موجها لخدمة الدولة وتحمل المسئوليات الرسمية، وكانت لحركة انشاء المدارس النظامية اثر كبير في بغداد والعراق فقد انشئت مدارس عديدة في بغداد والعراق .

والخلاصة ان حركة التعليم كانت حركة طيبة وقد بذل السلاجقة والعباسيون جهودا كبيرة في انشاء امكنة التعليم الى جانب المساجد، وقد عملت كل من المساجد والمدارس والربط ودور العلم (المكتبات) على نشر الثقافة العربية الاسلامية، فكانت نتائجها كبيرة، فارتفاع المستوى الثقافي وانتشار العلماء في الافاق وازدياد حركة التأليف والتصنيف لم يكن ذلك الا بالجهود الطيبة المخلصة التي عملت على انشاء تلك الامكنة والتي تضافرت على خدمة الدين وعلومه ونشر الثقافة بين الناس.

[1] مريزن سعيد، المرجع السابق،ص 292 .

المطلب الثاني: دور بيت الحكمة في إنقاذ التراث العالمي من الإندثار

في العصر العباسي أصبحت الدبلوماسية وسيلة لتبادل العلاقات الودية بين الدول وغيرها وتقدم فن الدبلوماسية، فأصبح التمثيل السياسي بين الخلفاء العباسيين وأباطرة الروم ذو طابع يجعل نطاق العلاقات الدولية متعددة الاغراض بين السفارات حتى اصبحت وسيلة لتقوية العلاقات التجارية والثقافة وكانت الاغراض الاخرى مثل تبادل الاسرى ،وفض المنازعات وقيام المعاهدات حتى تعددت السفارات بين الدول الاسلامية والقسطيطينية ودولة الفرنجة والهند والصين[1] .

كان السفراء العرب يختارون على اسس غاية في الدقة لا تختلف كثيرا عن النظم التي تتبع الآن .وكان الخلفاء يقومون بأنفسهم باختيار المرشحين للسفارة بعد ان ينتهي رجال الدولة من بحوثهم ودراساتهم عن اولئك المرشحين وكان رئيس ديوان الرسائل يتولى التمهيد لاختيارهم واعداد الكتب التي يحملونها .واهتمت مصر ولا سيما في العهد الفاطمي بهذا الذي عرف باسم "ديوان الانشاء"[2] وصار يقوم بالمهام التي تقوم بها وزارة الخارجية في العصر الحديث وحرص الخلفاء بالرغم من هذه الادارات الدقيقة على أن يتولوا هم انفسهم اختيار السفراء ،فكان يتصف من يقع عليه الاختيار بالذكاء ونفاذ الرأي وسعة الثقافة ،تجعله يستنبط غوامض الامور ،ويستشف سرائر القلوب ويجب ان يكون فصيحا ليعجب السامع بحديثه ويسحره بحلاوة لسانه ،ثم ليكون كلامه ممتعا انيقا يوصل الى الهدف المطلوب .

وقد اختير كثير من القضاة والفقهاء والمتصوفين لاعمال السفارات كما انتخب من موظفي الدولة كالوزراء والكتاب والاطباء من يصلح لمهام الوفادة[3] .وقد امتد نشاط السفراء العرب الى غربي اوروبا حين ولي شارلمان شؤون دولة الفرنجة وبعث بسفارة الى الخليفة هارون الرشيد لعقد تحالف معه .

واستدعى هارون الرشيد احد خاصته وعهد اليه .وقال له :أتانا من ملك الفرنجة رسول يقرئنا منه السلام ،ويلتمس جميع رعايتنا بمن يحج الى بيت المقدس ،فرأينا ان نوجهك بهدايا تطلب اليه ان يتقبلها في سبيل المودة .وكان الخلفاء وأباطرة الروم يتبادلون السفارات الخاصة لدراسة الكتب النادرة واستقدام كبار العلماء للاسهام في الحركة العلمية او لتسهيل مهمة بعض الطلاب لتلقي العلم في الجامعات الكبرى في عواصم دول العرب والروم ،ولا سيما اذا كانت تتعلق بأمور تفيد الناحية الحربية[4]"

ولم تقصد السفارات الثقافية الى طلب الكتب النادرة وغيرها فحسب وانما امتدت الى دراسة الاماكن التاريخية التي تتعلق باحداث العرب أو بما ورد ذكره في القرآن الكريم تلك السفارة التي أرسلها الخليفة الواثق الى افسوس بآسيا الصغرى .وكانت تابعة لدولة الروم لتزور

[1] إبراهيم العدوى، **السفراء العرب إلى أوروبا في العصور الوسطى**، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص 75.
[2] نفسه، ص 150.
[3] نفسه، ص 151.
[4] نفسه، ص 153.

الكهف الذي آوى اليه من فروا بدينهم في عهد الامبراطور دقلديانوس ،ومنح امبراطور الروم ميخائيل الثالث تلك السفارة العربية اذنا بهذه الزيارة[1] .

وكان عندما يتم تجهيز بعثة السفير وتتهيأ لمغادرة البلاد الإسلامية يزود السفير وهو رئيس البعثة بخطاب إعتماد يحرره ديوان الرسائل بإسم الدولة الإسلامية مخاطبا رئيس الدولة الموفد إليها السفير مبينا إسم السفير وأعضاء البعثة مع بيان ألقابهم[2] .

وقد أدرك الخلفاء العباسيين بثقب بصيرتهم أن الثقافة من أهم العوامل التي ترتكز عليها النهضة الصحيحة ومن أمتن الأسس التي تشيد عليها صروح المجد، ومن أقوى مقومات الشخصية الدولية أن الإسلام قد جعل العلم فريضة على كل مسلم وأوصالهم بطلبه من المهد إلى اللحد وحثهم على السعي وراءه أينما كان ومن أي وعاء جاء[3]، لذلك خرج الخلفاء من الإطار الديني المحدود وراحوا يولون العلوم كل عنايتهم مستمدينها من أربعة مصادر: الهندية والفارسية واليونانية والسريانية وذلك عن طريق نقل ثقافات هاته الأصول إلى لسانهم [4].

عندما فتح الرشيد عمورية وأنقرة أمر بالمحافظة على مكاتبها وإنتدب العلماء والتراجمة من بغداد لإختيار الكتب القيمة منها، والتي يندر وجودها عند غيرهم من الأمم فاختاروا الكتب النفيسة النادرة الوجود من كل المجالات ونقلوها لبغداد لكي تتم ترجمتها[5]، ولم يختلف مسار المأمون عن ما قام به والده في الترجمة والنقل والحفاظ على نفائس الكتب من كل أصقاع المعمورة وخاصة البلاد التي تمّ فتحها[6].

بالكلام عن البعثات الإستكشافية عن كنوز الكتب لم تترك مكانا أيعنت فيه الثقافة الهيلينية إلا وذهبت إليه وكانت هاته الصفقات والرحلات يزكيها شغف المأمون بالفكر الإغريقي حيث سعى للحصول على هاته العلوم بكل الطرق فكان يبتعث العلماء من أجل التفتيش عن الكتب النادرة المعروضة للبيع فجمعوا منها كل نادر ونفيس.

فصارت بغداد قبلة العالم الإسلامي لكل العلوم والمعارف إجتمع فيها علماء أعلام خدموا التراث الإنساني أجل خدمة بما ترجموه من الكتب الغالية، وكذا ما ألفوه من العلوم المختلفة وما أبدوه من آراء ونظريات، فاجتمع في بين الحكمة ببغداد نخبة ممتازة من العلماء

[1] ابن القفطي، مصدر سابق، ص 249.
[2] المسعودي، مصدر سابق، ص 48.
[3] ابن نديم، مصدر سابق، ص 339-340.
[4] صاعد الأندلسي، مصدر سابق، ص 67.
[5] ابن نديم، مصدر سابق، ص 380-384.
[6] نفسه، ص 410-411.

والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات والحرف، وترجموا مختلف الكتب التي تبحث في شتى العلوم والفنون والمعارف والصناعات وبلغ بيت الحكمة ومنتهى التقدم في عهد المأمون[1] .

اما اسبانيا فقد انتشرت معاهد العلم انتشارا كبيرا حتى ليقال ان قرطبة وحدها كان بها عدة مئات من هذه المعاهد، وفي اكثر دور العلم هذه كانت تدرس الفلسفة والادب والتاريخ والعلوم بفروعها المختلفة بجانب الدراسات الدينية. وقدظهرت في اسبانيا معاهد للدراسات العالية، كتلك التي يطلق عليها الان جامعات، ومن اشهر الجامعات الاسبانية جامعة قرطبة واشبيلية ومالقة وغرناطة، والى جامعات اسبانيا هذه كان يفد الطلاب الاوربيون للتعلم والدراسة كانت صناعة الورق البلدية في الاندلس، وهي من اهم ما اسداه الاسلام الى اوربا لما راجت سوق الكتب الى هذا الحد. ومن مراكش التي ادخلت اليها هذه الصناعة من الشرق انتقلت الى اسبانيا في منتصف القرن الثاني عشر، ومن الالفاظ التي نذكرنا بهذه الحقيقة (رزمة) العربية التي دخلت محرفة الى لغات اوربية كثيرة، ثم تطرق فن صنع الورق الى ايطاليا نحو سنة 1270م بفضل تأثير المسلمين في صقلية على الراجح. اما في فرنسا فالفضل الاول في ظهور مصانع الورق يعود الى تأثير اسبانيا لا الى تأثير الصليبيين العائدين كما ادعى بعضهم، ومن هذه البلدان انتشرت هذه الصناعة الى سائر انحاء اوربا وكان من اهم المواطن التي نشطت فيها حركة الترجمة هي مدينة طليطلة في اسبانيا[2].

وهكذا كانت أهم وجوه النشاط العلمي في العالم تجري في بيت الحكمة البغدادي من أجل إنقاذ التراث العالمي من الإندثار بجلب وإستقطاب كنوز المعرفة من أنحاء العالم[3] .

وكان للفنون العربية ايضا اثر ما في نهضة اللاتين. ففي الموسيقى نقلوا الى اللاتينية الكثير من الكتب التي وضعها العرب، اشهرها كتاب الفارابي اجله في تاريخ الموسيقى. وفي الادب نجد من ازجال الاندلس وموشحاتها اثرا في الشعر البروفنسالي ونجد لقصة ابن طفيل، طلا في حكاية كليلة ودمنة اثرا في اقاصيص لافونتين، وفي الكوميدية الالهية لونا من حديث المعراج ورسالة الغفران، اما في النثر والحكايات والروايات والقصص الادبية التي اخذت تزدهر في اوربا الغربية خلال القرن الثالث عشر يظهر فيها بلا ريب تأثير الكتب العربية السابقة سواء اكانت هندية ام فارسية الاصل. والحق ان العرب اتحفوا الغرب بعدة اراء جديدة ومعلومات واسعة النطاق في الجغرافية الفلكية والرياضيات. ففي اسبانيا عظم الاقبال على العلوم الفلكية ونقلت معظم كتب الفلك الاسلامية في اسبانيا الى اللاتينية، ومن دراسات العرب للنجوم جاءتنا اسس علم المثلثات الكروية والاستوائية. فالعرب هم الذين وضعوا علم المثلثات كما وضعوا علمي الجبر والهندسة التحليلية [4].

[1] ابن القفطي، مصدر سابق، ص 173-240.
[2] فيليب حتي، المرجع السابق ، ص 187 .
[3] ابن خلكان، مصدر سابق، ص 136-138.
[4] فيليب حتي، المرجع السابق ، ص 192 .

المطلب الثالث : سقوط بيت الحكمة

بينما كان فريق من التتار يعمل على قتل المسلمين وسفك الدماء اتجه فريق آخر من التتار لعمل إجرامي آخر.. عمل ليس له مبرر إلا أن التتار قد أكل الحقد قلوبهم على كل ما هو حضاري في بلاد المسلمين.. لقد شعر التتار بالفجوة الحضارية الهائلة بينهم وبين المسلمين؛ فالمسلمون لهم تاريخ طويل في العلوم والدراسة والأخلاق.. عشرات الآلاف من العلماء الأجلاء في كافة فروع العلم.. الديني منها والدنيوي.. لقد أثرى هؤلاء العلماء الحضارة الإسلامية بملايين المصنفات.. بينما التتار لا حضارة لهم.. ولا أصل لهم.. إنهم أمة لقيطة.. نشأت في صحراء شمال الصين، واعتمدت على شريعة الغاب في نشأتها.. لقد قاتلت هذه الأمة كما تقاتل الحيوانات.. بل عاشت كما تعيش الحيوانات.. ولم ترغب مطلقاً في إعمار الأرض أو إصلاح الدنيا.. لقد عاشوا حياتهم فقط للتخريب والتدمير والإبادة.. شتان بين هذه الأمة وبين أمة الإسلام، بل شتان بين أي أمة من أمم الأرض وأمة الإسلام.. وهذا الانهيار الذي رأيناه في تاريخ بغداد من المستحيل أن يمحو التاريخ العظيم لهذه الأمة العظيمة..

لقد أثرت الفتن والحروب وما تحمله معها من أحقاد وضغائن على وجود الكتاب العربي، فكثيراً ما كان يعمد الغزاة بعد اجتياحهم لبلد من البلدان إلى إعدام كل ما يمت بصلة إلى حضارته وثقافته[1].

فقد شهد القرن (السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) كارثة غزو المغول لحاضرة الخلافة العباسية "بغداد" سنة (606هـ – 1258م)، حيث استهدف المغول مكتبة بغداد العظيمة وهي أعظم مكتبة على وجه الأرض في ذلك الزمان، وهي الدار التي كانت تحوي عصارة فكر المسلمين في أكثر من ستمائة عام، جمعت فيها كل العلوم والآداب والفنون وعلوم شرعية كتفسير القرآن أو الحديث والفقه والعقيدة، والأخلاق ومن علوم حياتية، كالطب والفلك والهندسة والكيمياء والفيزياء والجغرافيا وعلوم الأرض، ومن علوم إنسانية كالسياسة والاقتصاد والاجتماع والأدب والتاريخ والفلسفة، وغير ذلك، هذا بالإضافة إلى ملايين الأبيات من الشعر، وعشرات الآلاف من القصص والنثر، فإن أضفت إلى كل ما سبق الترجمات المختلفة لكل العلوم الأجنبية سواء اليونانية أو الفارسية أو الهندية أو غير ذلك، علمت حجم الخسارة الحضارية التي منيت بها الإنسانية [2].

حمل التتار الكتب الثمينة، ملايين الكتب القيمة، من بيت الحكمة وما في غيرها من مكتبات بغداد وخزائنها، وألقوا بها جميع في نهر دجلة، يقول ابن خلدون (ت.808هـ) " واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها علي ما لا يبلغه الوصف وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعها في دجلة"، ولا يحصره الضبط والعد[3].

---

[1] ابن خلدون، مرجع سابق، ص 663.

[2] يوسف العش، مرجع سابق، ص 210.

[3] ياقوت الحموي، مصدر سابق، ص 2266.

ويذكر القلقشندي (ت.821) هـ تدمير بيت الحكمة بقوله: "ويقال إن أعظم خزائن الكتب في الإسلام ثلاث خزائن: إحداها خزانة الخلفاء العباسيين في بغداد، فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة، ولا يقوم عليه نفاسة، ولم تزل على ذلك إلى أن دهمت التتر بغداد،.... فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها، وأعفيت آثارها"[1].

ألقى المغول بمجهود القرون الماضية في نهر دجلة، ويذكر قطب الدين وا أيض النهروالي (ت.998هـ) أن المغول رموا أيضا كتب مدارس بغداد في بحر الفرات ،فكانت لكثرة عددها تشكل جسرا يمر عليه قوات المشاة من الجنود والفرسان ،[2] وتحول لون المياه الى اللون الاسود من أثر مداد الكتب والمخطوطات ،وكان الفارس المغولي يعبر فوق المجلدات الضخمة من ضفة الى ضفة اخرى ، وهذه جريمة في حق الانسانية، وخسارة للثقافة والمعرفة والحضارة الاسلامية .

بل إن حكايات ألف ليلة وليلة تحدثت عن الموضوع وبخاصةً حكاية علاءالدين والفانوس السحري، فقد ورد فيها ما معناه: "أثناء الليل كانوا يغلقون أبواب بغداد خوفا من ان يدخل اليها الزنادقة ويسيطروا عليها ،وخوفا من ان يرموا كتب العلم في نهر الفرات" ولعله من الدلائل التي تؤكد وقوع هذه الجريمة الشنعاء في حق التراث الإسلامي، وجود دليل مادي يثبت جريمة التتار وهو كتاب في المكتبة القادرية الموجودة في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني في بغداد، استطاع أحد المسلمين في أيام احتلال بغداد انتشاله من نهر دجلة من بين الكتب التي قذفها التتار فيه.ويستطيع كل قارئ أن يطلع على هذا الكتاب، وعلى ما هو مسجل فيه، وعلى أثر البلل الذي لحق بالكتاب فأربك الحبر في بعض صفحاته .

ويبدو أنه وقع التمييز بين الكتب قبل إتلافها، فلم يتلف في هذه الواقعة سوى كتب الإسلام مثل التفسير والحديث والفقه، وهو ما ينبه إليه شيخ الإسلام ابن تيمية (ت.728 هـ) حينما قال: "لما استولى التتار على بغداد وكان الطوسي منجما لهولاكو ، استولى على كتب الناس الوقف والملك، فكان كتب الإسلام مثل التفسير والحديث والفقه والرقائق يعدمها، وأخذ كتب الطب والنجوم والفلسفة والعربية فهذه عنده هي الكتب المعظمة"[3].

فقد أمر هولاكو (ت.660 هـ) ببناء مرصد فلكي في مراغه (إحدى مدن أذربيجان) وعهد به إلى العالم الفلكي والفيلسوف نصر الدين الطوسي(ت. 672 هـ) الذي رافق هولاكو في حملته على بغداد، ويقال إن عدد الكتب التي انتهبها ليجعلها في مكتبة المرصد الفلكي كان يربوا على الأربعمائة ألف مجلد[4].

---

[1] القلقشندي، مصدر سابق، ص 573.

[2] ابن تيمية، **مجموع الرسائل الكبرى لإبن تيمية**،دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ص 155.

[3] ابن أبي أصيبعة، مصدر سابق، ص 163.

[4] نفسه، ص 400-401.

وقد أدى جهل بعض أفراد المجتمع بقيمة الكتب في ضياع مؤلفات نفيسة،مثل ما حدث في القرن الثاني عشر الهجري، حيث تلفت وأغرقت كتب الشيخ عبدً العزيز النجفي (ت.1180 هـ)، وهو السيد عبد العزيز بن السيد أحمد، أديبا من افاضل عصره ،جمع كتبا نفيسة طلبها من العراق والهند ،وكانت تعد بالالوف ،ومنها مخطوطات مذهبة ،وبعد وفاته تفرقت بين ورثته،فباع فريق منهم حصته ،واهمل الفريق الآخر حصصه حتى أمست فريسة للارضة[1]، فتلف اكثرها على مر الاعوام ،والقيت جملة منها في بحر النجف وفي الآبار[2] .

ومما لا شك فيه ان التدمير الذي اصاب الكتب في بغداد او انتهى بها في اثناء الغزو المغولي انما يراد به تدمير خزائن كتب الخلفاء. اما خزائن المساجد والمدارس نجد انها لم تتأثر كثيراً في العهد المغولي بدليل وجود دور الكتب في اغلب المدارس التي استأنفت الدراسة فيها بعد الغزو المغولي لبغداد كخزانة الكتب في المستنصرية والنظامية والبشيرية ومدرسة ابي حنيفة.

فقد فوض نصر الدين الطوسي أمر خزائن الكتب ببغداد الى موفق الدين بن ابي الحديد وأخيه عز الدين وان جل ما اصاب هذه الخزائن من تدمير وتخريب انما كان في عهد تيمور لنك الذي خرب بغداد مرتين في سنة (795هـ -. 1392م) و (803 هـ - 1400م) اي بعد هولاكو بنحو قرن ونصف القرن[3] .

[1] الأرضةُ أو النمل الأبيض، أو "دابة الأرض" هذه هي التسمية المستعملة في اللغة العربية، فتسمى «أَرضة » بفتح الهمزة بعدها راء مفتوحة وضاد معجمة مفتوحة اسم دودة بيضاء تشبه النملة .

[2] ابن تيمية، مصدر سابق، ص 155.

[3] محمد صبيح ، **مواقف حاسمة في تاريخ القومية العربية** ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1965م ، ص: 288

خاتمة:

إن التراث العربي والإسلامي الضخم من المخطوطات يمثل أكبر ثروة عرفها العالم، ولكن هذا التراث العظيم لم يسلم من الرزايا والبلايا، فقد عانت الأمة العربية والإسلامية على مدار تاريخها الطويل من فقد الكتب ، وقد أوضحت الدراسة الدور الذي لعبه الماء بيد السلطة في اختفاء جزء معتبر من التراث العربي المخطوط.

كما أن النصوص التي ذكرتها الدراسة من المصادر الأصيلة تميط اللثام عن أغلب الدواعي لإتلاف للكتب، حيث تمثلت مبررات غسل السلطة للكتب في: خوف مضاهاة الكتب بالقرآن والاشتغال بها عنه، خوف الاتكال وإ همال الحفظ، وعدم نشر الكتب الباطلة لما فيها من ضلال، تحريم الاقتناء والمطالعة، الخصومة والحسد، تأديب المؤلف، وتمثلت مبررات إغراق السلطة للكتب في: الانتقام الشخصي، الجهل بقيمة الكتب، الحروب والغزو الخارجي .

قامت دار الحكمة بجهد فريد من نوعه في تاريخ القرون الوسطى وكانت اداة لنقل الحضارة القديمة والحضارة العربية الى الغرب ومنطلق العلم الحديث كما كانت اساسا لتلك المدرسة العلمية الكبيرة التي عرفت باسم مدرسة بغداد وظل اثر هذه المدرسة قائمة في اوربا حتى النصف الثاني من القرن الخامس عشر فدخل هولاكو بغداد وامر بالقاء كتبها في مياه نهر دجلة. فكان سقوط بغداد والقضاء على الخلافة العباسية وكانت كارثة عظمى اطاحت بالقيم الحضارية الاسلامية التي حملت بغداد لواءها طيلة عصر الخلافة العباسية .

الخاتمة

الخاتمة

النتائج والتوصيات :

في الختام نقول أن معالجة ظاهرة حضارية مهمة وفعَّالة في مسار الأمم العلمي والفكري والثقافي من خلال العناية بالنقل والترجمة إلى اللغة العربيَّة من اللغات الأخرى التي سبقَتْها في بناء الحضارة الإنسانيَّة ومن خلال هذا العرض لظاهرة النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية بشكل عام والعصر العباسي بشكل خاص أمكننا أن يستنتج هذه المجموعة من النتائج، التي قد تقودُ في مجملها إلى توصيات؛ رغبةً في مزيد من البحث والتوسُّع في الطرح والتغطية :

- ✓ انتشار العلوم والمعارف في جميع انحاء الاقاليم الاسلامية وذلك يسبب تقدم وتطور وازدهار حركة الترجمة التي نتج نشاط مهنة الوراقة والوراقين في بغداد ،واخذوا يستنسخون الكتب المترجمة لعدد كبير من الناس الذين يرغبون في اقتنائها أو بيعها اذ كانوا يعنون بدراسة هذه الكتب ومناقشتها في المجالس الادبية والعامة.
- ✓ اتسعت اللغة العربية بالمصطلحات العلمية والتعابير الفلسفية ،وتطور الادب العربي بما دخل عليه من افكار وتعابير وخصائص ومعاني جديدة فضلا عن تسرب عدد من المجازات الشعرية الادبية والاستفادة من المقاييس والمدارك الاجنبية في معالجة عدد من العلوم الشرعية واللغوية.
- ✓ أن الخلفاء المسلمين قد شجَّعوا حركة النقل والترجمة، وكان معظمهم يُعد في مصافِّ العلماء، فأغدقوا على النقلة والمترجمين والمؤلفين والورَّاقين، وقرَّبوهم، واستعانوا بهم في أمور الخلافة، فكان لهذا أثرُه على العلم: نقلًا وتأليفًا، وفي هذا تأكيدٌ على قوة أثر ولاة الأمر في توجيه دفَّة العلم.
- ✓ اعترى نقل العلوم اليونانية وترجمتها شيءٌ من الخلط؛ نتيجةَ الاعتماد على وسيط ثالث، تمثَّل في اللغة السُّرْيانية، ووقعت فيه أخطاء فاحشة، استدعت المراجعة والتنقيح والنَّقد، وشمل هذا نسبة بعض الأعمال إلى غير أصحابها.
- ✓ وفرت حركة الترجمة مادة حضارية اتاحت لعلماء العصرين الوسيط والحديث استكمال وابداع ما قدموا للعالم من اختراعات وابتكارات وتطورات علمية في شتى الميادين،فقد عرف الغربيون هذه الترجمات سواء كان ذلك بنصها العربي أو بترجمتها اللاتينية .
- ✓ نتيجة لحركة الترجمة تقدم المسلمون في دراسة علم الكيمياء الذي عرف بعلم الصنعة والذي كان لهم منه خدمات كبيرة.
- ✓ مع تقدم في دراسات الطب والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها ،فانتقلوا بذلك ادوارا بالترجمة والاطلاع على ما عند الامم الاجنبية من علوم ومعارف ثم إلى الابتكار والاصالة في بناء صرح حضارتهم التي امتازت بالديمومة وبعناصر تختلف عن الحضارات السابقة وهذا ما ميز الحضارة الاسلامية بالاصالة والشمول وجعلها في مستوى رقى من الحضارات الاخرى التي عرفها التاريخ .

الخاتمة

- ✓ ظهور عبقريات علمية ساعدت على تكوين هذه الحضارة الجديدة،وذلك بفضل سعة مداركهم وتوفر الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهم ،الذي مكنهم ليس من الترجمة والنقل والشرح والتخليص فحسب ،وانما من الابداع والخلق في شتى المجالات الفكرية والعلمية.

- ✓ تغيير نطاق الجدل الديني في البحث إلى الاهتمام بالابحاث العلمية والفلسفية فاخذ العلماء يترجمون رغبتهم في العلم والدراسة بدلا من المال والمنصب ،ثم بدأت مرحلة التاليف.

- ✓ تأثر المأمون بمذهب الاعتزال دفعه إلى ايجاد حركة نقل وتأليف قوية وكان من نتائج اقبال العرب وغيرهم على تلك المؤلفات انه تولد عندهم علم الكلام والفلسفة الأفلاطونية الجديد.

- ✓ اخذ العرب والمسلمون يطبقون العلم على العمل ،فعملوا آلات الرصد وانشئوا المراصد في كثير من البلدان وكان من أقدمها المرصدان اللذان امر المأمون بانشائهما احدهما كان في الشماسية ببغداد والثاني بسفح دمشق وجهزهما بالات دقيقة صنعها الفلكيون واخذوا يرصدون الكواكب وكانت الات الرصد تصنع بمدينة حران ثم انتشرت صناعتها في البلاد.

- ✓ المأمون نشأ في قصر الخلافة وتهيأت له من وسائل التربية والتثقيف ما لم تتهيأ لغيره ،الأمر الذي أدى إلى اهتمامه بالعلوم كافة ،ومنها الترجمة ورعاية حركتها والعمل على تشجيعها بكافة الوسائل ،فعملت على انتشار العلوم والمعارف في جميع أنحاء الأقاليم الإسلامية كما اتسعت اللغة العربية بالمصطلحات العلمية والتعابير الفلسفية ،فضلا عن تطور الأدب العربي إلى جانب دراسة العلوم والكيمياء والطب والفلك والرياضيات والفلسفة وغيرها من العلوم الأخرى .

- ✓ أن الثقافة الإسلامية قد أفادت من ثقافات الغير القائمة إبَّان قيام الحضارة الإسلامية، مما رأته مناسبًا لها، ولمبادئها، ومنطلقاتها، فلم تفِد من آثار لم يكن لها قوة التأثير؛ كالأدب، والفن، والسحر، والشعوذة، والكتب الدينية الإغريقية (اليونانية)؛ لاعتمادها – في معظمها – على الخرافة والوثنيَّة .

- ✓ لم تكن ظاهرة النقل والترجمة إيجابيةً كلَّها، بل لقد كانت لها آثار سلبية على الثقافة الإسلامية، لا سيما فيما يتعلَّق بعلم الكلام، الذي أوجد شرخًا في وحدةِ الأمة العَقَديَّة، ومزَّقها إلى فرقٍ، اشتدَّ ساعد بعضها فأرادت رميَ الإسلام، دون توفيق يذكر.

- ✓ ما زال هناك خلط عند الحديث عن ظاهرة النقل والترجمة، من حيث النشأةُ والزمان والمهمات؛ وهذا ناتج – فيما يبدو — عن

الخاتمة

تناقلِ المراجع بعضِها من بعض، مما يدعو إلى الرجوع إلى المصادر القريبةِ من الأحداث، والتحقيق فيما تذكرُه، والوصول إلى نتائجَ عملية. ومع هذا فإن أدبيَّات النقل والترجمة في الحضارة الإسلامية تكاد تُجمع على أن انطلاقة النقل والترجمة كانت على يد الخليفة الأُموي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

- ✓ لم يكن العربُ المسلمون مجردَ نَقَلة لتراث الغير، بل لقد طبعوا ما نقلوه بما لديهم من علم، وأخضعوه لما لديهم من خلفية إسلامية، فجاء مصقولًا منقَّحًا، تُدرك فيه اللمسات الإسلامية، من حيث التأصيل الإسلامي للعلوم.
- ✓ أثبتت ظاهرة النقل والترجمة قدرة اللغة العربية على استيعاب المصطلحات، ووقوفها مع المستجدَّات، وشمولها للعلوم والمعارف والآداب، ومرونتها في احتواء الجديد من المصطلحات المعرَّبة والمنحوتة، يقول محمود فيصل الرفاعي: "من يستعرضُ بعض مصنفات العلماء في المرحلتين الأولى والثانية – يرى قوة اللغة العربية العلميَّة، وتعدُّد المفردات الجديدة، لقد أصبحت بذلك اللغة العلميَّة الناضجة التي لم يستَطِع عالم بعد ذلك الكتابة بغيرها".
- ✓ كان المفهومُ الشامل للمكتبة موجودًا، في العصور الأولى للإسلام، فلم تكن مجرد خزانة كتب، وإنما تحقَّقت فيها ما يدعو إليه علماء المكتبات والمعلومات اليوم من وظائف ومهمات؛ أهمُّها في مجالنا: اللغة والترجمة، بالنقل من اللغة إلى اللغة، وتعليم اللغة الأم، وتعلُّم اللغات الأخرى، والنسخ (الوراقة)، والتجليد.
- ✓ لا بدَّ من القول بضرورة تعلم اللغات الأخرى، لينقل منها وإليها، ولن تقومَ حضارة إذا لم يسعَ المسؤولون عنها من علماء وولاةٍ، إلى التوكيد على تعلُّم اللغات الغنيَّة بالإنتاج العلمي والفكري، دون أن يكون ذلك على حساب تعلُّم اللغة الأم وإتقانها، مما يؤكِّد على الإلمام باللغة الأم، وهي هنا اللغة العربية، ومن ثَمَّ الانطلاق.
- ✓ تطور التعليم عن طريق المساجد ومجالس المناظرة.
- ✓ دراسة الاسباب ادت الى النهضة العلمية في العصر العباسي اضافة الى ظهور بيت الحكمة الذي طور التعليم.
- ✓ عن طريق بيت الحكمة نشطت حركة الترجمة والنقل وظهر اهم المترجمين والمؤلفين.
- ✓ ظهر اثر بيت الحكمة في ازدهار الحركة العلمية وانتشار الحضارة العربية الى الغرب.
- ✓ اهم نتيجة مباشرة لظهور بيت الحكمة ظهور المدارس في بغداد.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

❖ **المصادر** :

- ابن ابي اصيبعة :موفق الدين ابو العباس احمد بن قاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ،عيون الانباء في طبقات الاطباء،شرح وتحقيق نزار رضا ،دار الحياة ،مكتبة الحياة ،بيروت ،1965 م.
- ابن تيمية، مجموع الرسائل الكبرى لإبن تيمية،دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت .
- ابن خلدون :عبد الرحمن بن بكر ،كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في ايام العرب والعجم والبربر ،ج7 ،المكتبة التجارية الكبرى ،بدون تاريخ.
- ابن خلكان :ابو العباس احمد بن محمد بن ابراهيم بن ابي بكر ،وفيات الاعيان وانباء الزمان ،حققه اصوله وكتب هوامشه د.يوسف علي طويل و د.مريم قاسم طويل ،ج6 ،الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ،1419 هـ _1998 م.
- ابن كثير :ابو الفداء الحافظ ،البداية والنهاية ،ج7 ،دار الريان للتراث ،1408 هـ- 1988م.
- ابن النديم :محمد اسحاق ،الفهرست ،بدون طباعة ،بدون تاريخ.
- ابن الطقطقا :محمد بن علي بن طباطبا ،الفخري في الاداب السلطانية،بيروت ،1386 هـ-1966م.
- ابن قتيبة الدينوري :ابو محمد عبد الله بن مسلم ،كتاب المعرفة ،دار الكتب العلمية ،1407 هـ-1987م.
- ابن ماجة :محمد بن يزيد القزويني ،سنن ابن ماجة ،تحقيق حمد فؤاد عبد الباقي ،ج1،الطبعة الثانية ،تونس ،دار سحنون ،1413هـ-1992م.
- ابن سعد: الطبقات الكبرى – 9مج – بيروت: دار صادر، د.ت .
- ابو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار احياء التراث العربي ، بيروت.، 1975 ، ج20 .
- احمد بن عبد الله الأصفهاني، حلبة الأولياء وطبقات الأصفهاء، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1985، ج9.
- السيوطي :جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر ،تاريخ الخلفاء ،المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة ،1964م.
- الطبري :ابي جعفر محمد جرير ،تاريخ الامم والملوك ،ج8 ،مطبعة الاستقامة ،1358هـ -1939م.
- القفطي :جمال الدين علي بن يوسف ،اخبار العلماء باخبار الحكماء ،ليبزك ،1903م.
- القلقشندي :ابو العباس احمد بن علي ،صحيح الاعشى في صناعة الانشاء،ج14 ،مطابع كوستاتوماس وشركاؤه ،القاهرة.
- المسعودي :ابو الحسن علي بن الحسين بن علي ،مروج الذهب ومعادن الجوهر ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،ج4،الطبعة الثالثة ،مطبعة السعادة بمصر ،1377هـ -1958م .
- عمرو بن بحر الجاحظ ، البيان والتبيان ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، ج2 .
- ياقوت :الحموي الرومي ،معجم الادباء ،تحقيق احسان عباس ،ج7 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت –لبنان ،1993م.

❖ **المراجع** :

- ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، آتاب المعارف، دار الكتب العلمية، (1407هـ -1987) .

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد مختار العبادي، التاريخ العباسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ت.
- احمد امين ،ضحى الاسلام ،ج4 ،الطبعة الثانية ،مكتبة النهضة المصرية ،1962م.
- أحمد اسماعيل الجبوري:علاقة الخلافة العباسية بالعلماء في العصر العباسي الاول،دار الفكر،ط1،عمان،2009م .
- أحمد محمد علي الجمل :أثر جهود السريان على الحضارة العربية الإسلامية ،كلية اللغات والترجمة ،جامعة الأزهر، القاهرة،2005م .
- أحمد فؤاد، التراث العلمي للحضارة الإنسانية، دار المعارف، القاهرة، 1983.
- احمد شلبي ، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ، ج3، الطبعة السادسة ، القاهرة 1978 .
- أحمد كنعان، خلاصة تاريخ ابن كثير، تاريخ الدولة العباسية وما رافقها من الممالك، القسم الأول، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، د ت .
- إسماعيل محمود، الأغالبة، مطبعة النجاح الحديدة،الدار البيضاء، 1978.
- الزبيدي محمد بن حسن، طبقات النحويين اللغويين، دار المعارف، القاهرة، د ت .
- السيد عبد العزيز سالم ،محاضرات في تاريخ الحضارة الاسلامية ،مؤسسة شباب الجامعة ،الاسكندرية ،2000م.
- التنوخي ،ابو علي الحسن بن علي بن محمد بن ابي الفهم ،نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، دمشق 1348هـ، ج8.
- لزركاني،خير الدين،الاعلام،ط10،نشر دار الملايين،(بيروت:1962م)،ج7
- الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط9، 1990، ج2 .
- إنعام بيوض منور، الأساليب التقنية للترجمة " دراسة مقارنة لأساليب الترجمة من منظور فيناي دربلناي " ، رسالة ماجستير، معهد الترجمةن جامعة الجزائر، ماي 1992 .
- أنور الجندي: حركة الترجمة – القاهرة: دار الاعتصام، 1978م .
- أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية – ط 3 – دمشق: دار الفكر، 1406هـ/ 1986م .
- بشير رمضان التليسي، د. جمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي، 2002م.
- توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية – المنصورة: دار الوفاء، 1408هـ/ 1988م .
- جرجي زيدان،تاريخ التمدن الاسلامي،دار مكتبة الحياة(بيروت:د.ت)،ج2 .
- جلال مظهر ،حضارة الاسلام واثرها في الترقي العلمي ، القاهرة 1974م، ص247 .
- جوستاف لوبون،حضارة العرب،تر: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب لعربية ، القاهرة، 1956، ط3.
- حاجي خليفة :مصطفى بن عبد الله ،كشف الظنون عن اساس الكذب والفنون ،ج2،مطبعة بالاوفست ،منشورات مكتبة المثنى ،بغداد.
- حسن ابراهيم حسن ،تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ،ج4 ،الطبعة الثالثة عشر ،دار الجيل -بيروت (1411هـ -1991م).
- حسن احمد محمود ،احمد ابراهيم الشريف ،العالم الاسلامي في العصر العباسي ،الطبعة الثالثة ،دار الفكر العربي

قائمة المصادر والمراجع

1977م.

- حسين امين ،تاريخ العراق في العصر السلجوقي ،مطبعة الارشاد –بغداد ،(1380 هـ–1965م) .
- حسن رشاد حسن ، المكتبات ورسالتها، مطبعة المعارف، القاهرة – 1996 .
- خضر أحمد عطا الله: بيت الحكمة في عصر العباسيين – القاهرة: دار الفكر العربي، (1989م) .
- حسين أمين:نشأة الحركة التعليمية في العراق وأثرها في نهضة الادب والعلوم،مجلة المؤرخ العربي،ع4،بغداد،1977م.
- حمادة ماهر حمادة، المكتبات والإسلام نشأتهاوتطورها ومصائرها ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ط2 ، بيروت– 1970.
- خليفة شعبان عبد العزيز، الكتب والمكتبات في العصور الوسطى ، الشرق المسلم الشرق الأقصى ،الدار المصرية اللبنانية لنشر، بيروت –1997.
- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، بيروت، 1964.
- سعيد إسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986 .
- سالم العيسى:الترجمة في خدمة الثقافة الجماهيرية تاريخها،قواعدها،آثارها،أنواعها،منشورات اتحاد كتاب العرب،دمشق،1999م
- سعيد الدياجي، بيت الحكمة، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، الموصل، (1392 هـ – 1972).
- شوقي ضيف، العصر العباسي الاول، دار المعارف بمصر–القاهرة، 1963م.
- شوقي ضيف:تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول ،دار المعارف،ط8،القاهرة،د.ت .
- سيد امير علي ،روح السلام ،تر: امين محمود الشريف ،مكتبة الاداب،القاهرة 1963م ،ج2.
- شاهين محمد، نظريات الترجمة وتطبيقاتها في تدريس الترجمة من العربية إلى الإنجليزية، مكتبة دار الثقافة والنشر والتوزيع، عمان، 1998 .
- صلاح النبراوي، هارون الرشيد، دار الرشيد، طنطا، 2002 .
- عاطف علي:الحضارة العربية الاسلاميةودورها في تكوين الحضارة الأوروبية،مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،لبنان،2009م .
- عباس محمود العقاد ،اثر العرب في الحضارة الاوروبية ،الطبعة الثانية ،منشورات دار الادب ،بيروت ،يناير 1965م.
- عبد الرحمن بدوي ،دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي ،الطبعة الثانية ،منشورات دار الادب –بيروت ،يناير 1965م.
- عبدالسلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام – ط 3 – د.م: المؤسسة العربية الحديثة، 1396هـ/ 1976م.
- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الاسلامية في العصور الوسطى، الطبعة الثانية، مكتبة الانجلو المصرية ،1973 .
- عبد اللطيف الصوفي، لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات، دار طلاس، دمشق، 1987 .
- عبدالحليم محمود: موقف الإسلام من الفن والعلم والفلسفة – القاهرة: دار الرشد، 1424هـ/ 2003م .

قائمة المصادر والمراجع

- عبد الفتاح رجب محمد :حركة الترجمة في العصر العباسي الأول(232-132هـ/750_847 م)،كلية الآداب،قسم التاريخ،جامعة عمر المختار،د.م.د.ت .
- عبد الحكيم سيف الدين:العلماءوالسلطة دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الاول،د.ط،د.م،2009م .
- عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، بيروت – دار العلم للملايين، 1973.
- عبد الله عبد الدايم ، التربية عبر التاريخ ، بيروت، ط 2، 1975.
- عصام الدين عبد الرؤوف ،الحواظر الاسلامية الكبرى ،دار الفكر العربي ،القاهرة 1976م .
- علي محمد راضي، عصر الاسلام الذهبي: المأمون العباسي، الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة، 1970م .
- علي عبد الرحمن العمرو، أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، القاهرة ، 1978 .
- علي حسين الخربوطلي، الحضارة العربية الاسلامية، المطبعة العربية الحديثة – القاهرة، 1975م.
- علي بن عبدالله الدفاع:رواد علم الطب في الحضلر العربي الاسلامية،مؤسسة الرسالة،ط1،لبنان،1998م .
- عمر فرُّوخ: تاريخ العلوم عند العرب – ط 4 – بيروت: دار العلم للملايين، 1984م .
- كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربي – ج 4/ نقله إلى العربية السيد يعقوب بكر ورمضان عبدالتواب – القاهرة: دار المعارف، 1983م .
- فيليب حتّى، تاريخ العرب المطول، تر: إدوارد جرجي وجبرائيل جبور، دار الكشاف، بيروت، لبنان، 1965، ج3.
- فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي. مج 1، ج 1: في علوم القرآن والحديث/ نقله إلى العربية محمود فهمي حجازي- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1403هـ/ 1983.
- محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق، الطبعة الثانية، القاهرة 1967 .
- مفتاح محمد ذياب، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، طرابلس، الهيئة القومية للبحث العلمي، 1992.
- محمود عباس حموده، تاريخ الكتاب الإسلامي في المخطوط، دار الغريب، القاهرة، د ت .
- محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الحلبي، القاهرة، 1969 .
- محمد فؤاد عبدالباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم – بيروت: دار إحياء التراث العربي، نقلًا عن مطبعة دار الكتب المصرية، 1364هـ/ 1945م .
- ماهر عبدالقادر محمد: انتقال التراث اليوناني إلى العالم الإسلامي ودوافع حركات الاستشراق، المشكاة – (الإسكندرية): دار المعرفة الجامعية، 1985م.
- محمد البرقوقي ، الخوارزمي العالم الفلكي الرياضي ، الدار القومية للطباعة والنشر –القاهرة 1964م.
- يوسف العشي ، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الكتاب ، دمشق، 1968م .
- محمد غفراني خراساني ، عبد الله بن المقفع، مكتبة نهضة مصر بالفجالة– القاهرة، 1970م.
- محمد عبد الجواد الاصمعي، ابو الفرج الاصفهاني ، دار المعارف، بمصر– القاهرة، 1923م.

قائمة المصادر والمراجع

- ماكس مايرهوف، من الإسكندرية إلى بغداد، تر: عبد الرحمن بدوي، بيروت، 1949.
- مريزن سعيد ميرزن عسيري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، 1407 هـ - 1987م.
- ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية – ط 3 – بيروت: دار الثقافة، 1395هـ/ 1975م .
- يوسف العش، الخلافة العباسية، دار الفكر، دمشق، 1998، ص 81 .

❖ **المجلات** :

- أحمد شحلان: دور اللغة العربية في النقل بين الثقافتين العربية واللاتينية – ص: 257 – 284. في: حلقة وصل بين الشرق والغرب – أبو حامد الغزالي وموسى بن ميمون – الرباط: أكاديمية المملكة المغربية، 1406هـ/ 1985م.
- جيهان سليم، عولمة الثقافة وإستراتيجيات التعامل معها في ظل العولمة – المستقبل العربي ع 293 مج 26 (2003/7م).
- عبدالهادي هاشم، مفهوم التعريب – مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق – مج 6 ع 2 (1408/8هـ/1988/4م).
- عبدالرحمن بدوي: تقويم عام لتحقيق التراث اليوناني المترجم إلى العربية. في: أعمال ندوة الفكر العربي والثقافة اليونانية بمناسبة مرور ألف عام على ميلاد ابن سينا وثلاثة وعشرين قرنًا على وفاة أرسطو، من 21 إلى 24 جمادى الآخرة 1400هـ، 7 إلى 10 مايو 1980م – الرباط: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، 1405هـ/ 1985م .
- عبدالحكيم حسَّان عمر، الترجمة الأدبية ومشكلاتها – الفيصل ع 239 (جمادى الأولى 1417هـ/ سبتمبر – أكتوبر 1996م) .
- رمزية محمد الأطربجي، بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية – مجلة المؤرخ العربي ع 14 (1980م) .
- شحادة الخوري: واقع الترجمة ومستقبلها في الوطن العربي – الفيصل ع 239 (جمادى الأولى 1417هـ/ سبتمبر – أكتوبر 1996م) .
- سليم طه التكريتي: بيت الحكمة في بغداد وأثره في النهضة الفكرية خلال العصر العباسي – العربي ع 213 (شعبان 1396هـ/ أغسطس 1976م) .
- لبانة مشوح ، الترجمة والتنمية الفكرية –القطاع الإداري نموذجا– ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 27 ، العدد 3-4، 2001.
- محمود فيصل الرفاعي: مبادئ من التراث لاستنباط مصطلحات اليوم لعلوم الهندسة – ص: 150 – 165. في: أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد بجامعة حلب من 21 – 25 نيسان 1987م، الموافق: 22 – 26 شعبان 1407هـ – ج 2 – حلب: الجامعة، 1987م.
- نشأت الحمارنة: إسهامات العلماء العرب في علم الكحالة – ص: 87 – 113. في: الموسم الثقافي الأول 1415 – 1416هـ/ 1995م – دبي: مركز جمعة الماجد للثقافة التراث، 1416هـ/ 1995م.
- يوسف عز الدين: الحضارة المعاصرة والترجمة – الفيصل ع 244 (شوال 1417هـ/ فبراير – مارس 1997م .